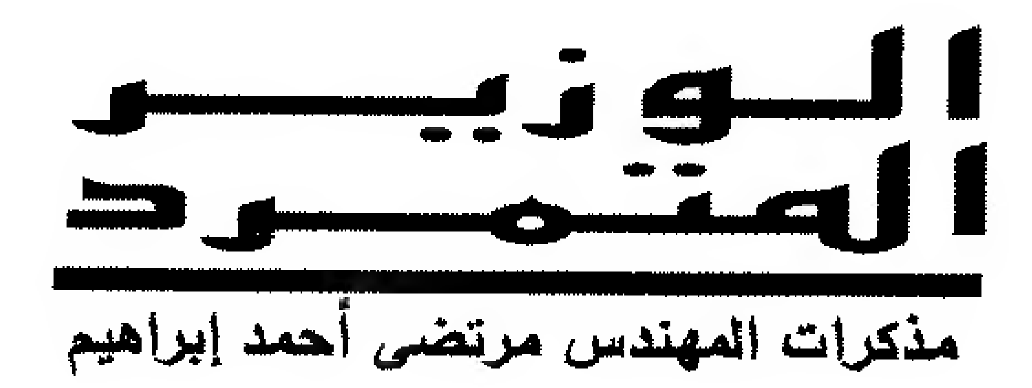
الوزير المتمرد

مذكرات المهندس مرتضى أحمد إبراهيم





إصدارات مركز الدراسات السودانية بالقاهرة

تنويه

أراء الكتاب لا تعبرّ بالضرورة عن إتجاهات ومواقف
مركز الدراسات السودانية

اهـــداء

لم أكن أعرف صلاح أحمد ابراهيم سوي أنه شقيقى الاصغر، الذي أكبره بسبع سنوات، وعليه أن يسمع كلامى، ويتبع ارشاداتى، وكما يقول المثل الانجليزى"Big Brother Knows Better"، ولكن صلاح -رحمه الله- ظل يركض خلفى مداعباً حيناً، ومحتجاً حيناً، فى ود ومحبة، وضحكة ونكتة، وبسمة ونظرة، يسقينى بها فكره، وهكذا دفعنى لأكتب، واقدم لك عزيزى القارئ كتابى عن "حياتى وجهدى وقدرى" وهو الجزء الثانى من ثلاثة أجزاء سأصدرها قريبا بإذن الله.

وفجأة، وصلاح يلاحقنى عبر الهاتف من باريس برأيه وارشاده فيما وصل اليه من فقرات، أدخل إلى المستشفى الأمريكى هناك، ولكن بعد أن اطمأن على اكتمال الكتاب وإرسال ملازمه للطباعة والنشر. وما هى إلا أيام قلائل، رحل صلاح عنا فى ١٧ مايو ١٩٩٣ وهو يحدثنى قبل رحيله بساعات بأنه بخير ولادامى للقلق أو المجئ اليه. وفجأة وأنا فى قمة الحزن والأسى عرفت الكاتب والشاعر وابن السودان البار -صلاح أحمد ابراهيم- فى صورة لم تخطر على بالى من قبل، عرفته من أصدقائه وأحبائه واخواته وقرائه الكثيرين من مختلف الفئات والأجناس، ومن مختلف الأعمار والتخصصات. وكنت وفاطمة ضيفين فى مأتمه، وهم أصحاب الفقد والعزاء، واكتشفنا أن صلاحا ذهب وبرنا بالآلاف من الأخوة والأصدقاء مما خفف علينا فجيعتنا الكبرى فى رحيله المفاجئ. من أجل ذلك، ومن أجل ما قدمه صلاح لى، أهدى كتابى هذا له ولذكراه الحبيبة العطرة. الا رحم الله صلاح وأسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين.

وهكذا ذهب صلاح ابن عائلة وعشيرة لها إرث من الحكمة والحلم وحب الآخرين وولاء حينما يكذب أهليه الأمين

إذ يقول فى قصيدته:

نحن والردى

ياذكيَّ العودِ بالمطرقةِ الصمّاءِ والفأسِ تشظى

وبنيرانٍ لها ألفُ لسانٍ قد تلظّى

ضُعْ على ضوئك في الناس اصطباراً ومآثرْ

مثلما ضوّع في الأهوال صبراً آلُ ياسرْ

فلئن كنت كما أنت عبقْ

فاحترقْ

* * *

يامنايا حوّمي حول الحمى واستعرضينا

واصطفي

كلَّ سمح النفس بسّام العشيات الوفي

الحليمَ العفَّ كالأنسام روحاً وسجايا

أريحيَّ الوجه والكفِّ افتراراً وعطايا

فإذا لاقاك بالباب بشوشاً وحفي

بضمير ككتاب الله طاهرْ

أنشبي الأظفار في أكتافهِ واختطفي

وأمانُ الله منّا يامنايا

كلما اشتقْتِ لميمونِ المحيّا ذي البشائرْ

فَزُوري

تجدينا مثلاً في الناس سائرْ

نقهر الموتَ حياةً ومصائرْ

* * *

هذه أجنابنا مكشوفةٌ فليرم رامي

هذه أكبادُنا لُكْهَا وزَغردْ ياحقودْ

هذه أضلاعنا مثلومةٌ وهي دوامي

وعلى النطع الرؤوسْ

فاستبدِّي يافؤوسْ

وادخُلي أبياتنا واحتطبي

وأديري يامنايانا كؤوساً في كؤوسْ

من دمانا واشربي..

مالذي أقسى من الموت؟ فهذا قد كشفنا سِرَّهْ

واستَسغْنَا مُرَّهْ

صَدِئَتْ آلاتُه فينا ولازلنا نُعافِرْ

ماجزعنا أن تشهَّانا ولم يَرْضَ الرحيلْ

فله فينا اشتياق واصطباح ومَقيلْ

آخر العمر، قصيراً أم طويل

كفنٌ من طرف السوقِ وشبر في المقابرْ

ما علينا.. إن يكن حزناً فللحزن ذبالاتٌ مضيئة

أو يكن قصداً بلا معنى، فللمرء ذهاب بعد جيئةْ

أو يكن خِيفَةَ مجهولٍ فللخوفِ وِقاءٌ وذريعة

مِن يقين ومشيئة

فهَلُمّي يامنايانا جحافِلْ

تجدينا لك أنداد المحافل

القرى منا وفينا لك، والديوان حافل

ولنا صبر على المكروه -إن دامَ- جميل

هذه أعمالنا مَرْقُومةً بالنور في ظهر مطايا

عَبَرت دنيا لأخرى تستبقْ

نَفَدَ الرملُ على أعمارنا إلاَّ بقايا

تنتهي عُمراً فعُمْرا

وهي نَدُّ يحترق

ما انحنتْ قاماتُنا من حِمْلِ أثقال الرزايا

فلنا في حلك الأهوالِ مَسْرَى

وطُرُق،

فإذا جاء الردى كَشَّرَ وجهاً مُكْفَهِرا

عارضاً فينا بسيفٍ دموىٍّ ودَرَق

ومُغِيرا

بيدٍ تحصُدنا، لمْ نُبْدِ للموت ارتعاداً وفَرَقْ

نترك الدنيا وفي ذاكرة الدنيا لنا ذِكْرٌ وذكرى

من فعالٍ وخُلُقْ

ولنا إرثٌ من الحكمة والحِلْمِ وحُبُّ الآخرين

وولاءٌ حينما يكْذِبُ أهليه الأمين

ولنا في خدمة الشعب عَرَق

* * *

هكذا نحن، مفاخِرُنا، وقد كان لنا أيضاً

سؤال وجواب

ونزوع للذي خلف الحجاب.

برهةً من سرمدِ الدهر أقمنا ومشينا

ما عرفنا بِمَ أو فيمَ أتيْنَا وانتهينا

وخبِرْنَا تفَهَ الدنيا وما في بهْرَجِ الدنيا الحقير

عَرَضاً فانٍ لفانينَ فما نَمْلكُهُ يفلتُ من بين يدينا

أو ذَهَبْنَا دونه حين بَقى

فكما كان لدينا، صار مِلكاً لسوانا، وغرور

لغرير غافلٍ يختالُ في الوهمِ الهويشي

في حبور

ربَّ من ينهلُ من بحر الغوايات ظَمي

والذي يملكِ عينين ولا لُبَّ - عَمي

والذي تسحَرهُ الدنيا ولم يرْوِ المصير

أبلهُ يمرحُ في القيد وفي الحلم يسير

ريثما توقظه السقطة في القاع ولايعرفُ أيْنَا

كل جيلٍ بعده جيل ويأتي بعد جيل

يَلبِسُ جِدَّتَهُ، مرتقباً في غبطةٍ أو غفلةٍ أو قلقٍ

فقعة الآمالِ في جيل بديلْ

طالعٍ أو طامعٍ مستَبِقٍ

أمس قد كنا سُقَاةَ القومِ بالكأس المريرْ

وغداً يحملنا أبناؤنا كي نستقي

فالذي تُخْلَى له مَضْيَفَةُ الدنيا سيُدْعى لرحيلْ

حين يبدو قادم في الأفق

وكلا الذاهب والقادمُ في دفترها ابن سبيلْ

* * *

كلُّ طفلٍ جاء للدنيا أتى من عدمِ

مُشرق الوجنةِ ضحّاك الثنايا والفمِ

يَسْرَجُ الساعات مُهْراً لاقتحام القممِ

سابحاً في نشوةٍ للهَرَمِ

فإذا صاح به الموتُ اقدمِ

كان فوْتَ الموت بعض المستحيلْ

عجبي من رمّةٍ ترفلُ بين الرمم

نسيت سوءَ مآل الأمم

وسَعَتْ في باطلٍ عقباهُ غيرُ الألم

ومُطيفِ العدم

والسأم

غصّةُ الموت، وإن مُدَّ لها في فسحةِ العمرِ قليلْ

فالذي يعقبه القبرُ وإنْ طالَ مدىً ليس طويلْ

والسؤالُ الحقُّ ماذا بعدُ؟ ماذا بعدُ؟ ماذا

بعدُ في هذا السبيلْ

يرتجيه الآدمي؟

إذا متْنا انتهينا للأبد

غير مايمسك دهرٌ أو طبيعةْ

أم بدأنا من جديد

كيف أو أين سؤال هائل لن نستطيعَهْ

أفَمَنْ يذهبُ منا سيعودْ

مثلنا تزعم شيعةْ

ثم هلْ عاد أحد ؟

أم له في داره الأخرى خلودْ

بعد أن يسترجع الله الوديعةْ

بكتابٍ وأمَدْ

حُلْمُه صار حكيماً وهو طفلٌ في سريرْ

فهو يزدادُ بما حاق بنا حُزْناً وحَزْماً ووقارا

وانفعالاً كلما عاثَ بنا دهرٌ وجارا

هكذا يطْرُقُ فولاذَ البطولاتِ ويُسقى بالعذابْ

فَلَهُ في غدهِ يومٌ كبيرْ

يوم أن يدلُج في وادي طُوىً يطلب نارا

والجاً هَوْلاً مَهُولاً، خائضاً نَقْعاً مُثارا

وغِمارا

ضاحكاً في حَنَكِ الموت عُتُوّاً واقتدارا

وقد استّلَ كسَيْفٍ بارقٍ جُرحاً عميقاً في الضميرْ

خبِّراني لهْفَ نفسي

كيف يخشى الموتَ من عاشَهُ الموتُ صغيرْ

* * *

في غدٍ يعرف عنّا القادمون

أيَّ حبٍّ قد حملناه لَهُمْ

في غدٍ يحسبُ فيهم حاسِبُون

كم أيادٍ قُدِّمت منَّا لهُمْ

في غدٍ يحكون عن أنَّاتنا

وعن الآلام في أبياتنا

وعن الجُرحِ الذي غنَّى لهم

كلُّ جُرحٍ في حنايانا يهُون

حين يغدو مُلهِماً يُوحِي لَهُمْ

جُرحُنا دامٍ ونحن الصامتونْ

حزننا جمٌّ ونحن الصابرونْ

فابْطُشي ما شئتِ فينا يامَنُونْ

كم فتىً في مكّة يشبه حمزة؟

* * *

بالخشوع المحضِ والتقديسِ والحب المقيمْ

واتّضاعٍ كاملٍ في حضرةِ الروحِ السماويِّ الكريمْ

التحياتُ لها

وبشوق أبديّ عارمٍ ينزفُ من جرح أليمْ

وامتنانٍ لا يفيه قدرهُ قولٌ ولا فعل حديثاً أو قديمْ

التحياتُ لهَا

ليتَ لي في الجمرِ والنيرانِ وقْفَهْ

وأنا أشدو بأشعاري لها

ليتَ لي في الشوكِ والأحجارِ والظلمةِ زَحْفة

وأنا أسقي بأشواقي لها

ليتَ لي في زمهريرِ الموت رَجْفَة

وأنا ألفظُ أنفاسي لها

ليت من آلم طاغٍ محنَةْ

وأنا أحمَلُ مصروعاً لها كهدية

فأنادي باسمها الحلو بلَهْفَةْ:

لك يا أمُّ السلامْ

وهي ترنو لي وتصغو للتحية

بابتسامْ

وجبيني في الرَّغامْ

والتحياتُ الزكيات لها، نفس زكيّة

رسْمُها في القلب كالروضِ الوسيمْ

صنعتنا من معانيها السنية

وستبقى منبعَ النورِ العظيمْ

ياقبوراً في عراء الله حَسْبُ الأبدية

أنكم من ذوقها العالي صميمْ

سنوات عشتموها أينعت

حُقُلاً بالخير والبرَّ الحقيقي

ومَضَيْتُم فتركتم أثراً

نَيْشَ اسماعيل في القفرِ السحيقِ

يا أحبائي ويانبض عروقي

كنتُم القدوةَ بالحب الوريق

فاهنأوا نحن كما أنتم على نفسِ الطريق

* * *

ربَّ شمسٍ غَرَبتْ والبدرُ عنها يُخبِرُ

وزهورٍ قد تلاشتْ وهي في العطرِ تعيشُ

نحن أكْفَاء لما حلَّ بنا، بل أكبرْ

تاجُنَا الأبقى وتَنْدكُّ العروشْ

ولنا ولِيَّ جميلٌ يؤثَرُ

ولنا وليَّ حديثٌ يُذكر

* * *



الشاعر صلاح أحمد إبراهيم - ١٩٣٣-١٩٩٣

توطئة

إليك أيها القارئ الكريم أقدم كتابي هذا وهو حلقة من سلسلة من الحلقات على درب حياتي وعمري خطوات مشيتها كتبت عليّ ومن كتبت عليه خطى مشاها

وأنا سعيد ومحظوظ إذ وجدت الوقت والمقدرة لالتفت إلى الوراء عبر عشرات السنين أبحث وأتأمل وأحلّل ما قطعته من مشوار في حياتي، متنوّع وطويل

وقلت لنفسي في هدوء وطمأنينة وراحة ضمير والله لو أعدت إلى نقطة البدء في حياتي لعملت نفس ما فعلته من قبل. ولنطقت بنفس ما قلته من قبل ولكنني والله يعلم لم أكن أفكر أصلا في كتابة تجاربي وما مررت به من محطات ومطبات، ولكنه شقيقي الشاعر الثائر الكاتب صلاح أحمد إبراهيم الذي استمع لقصصي وأحاديثي في مناسبة وغير مناسبة وكان يلح عليّ دوما أن أسجلها من أجل أبنائنا ومن أجل أجيال المستقبل أو هكذا كان يقول بل ذهب لأبعد من ذلك فأهداني عشرات الأشرطة التسجيلية أسجّل عليها، ملتزما أن يقوم بنفسه بتفريغها على الورق وحتى تلك المحاولة لم تنجح فلم أستطع أن أتحدث وحدي لمسجّل فقد كان يشعرني كأنني فقدت عقلي فحاول أخي مرة ثالثة مع زوجتي وشريكة حياتي لكي تتطوع بالإستماع إليّ وأنا أحكي ما مررت به من خبرات ومواقف. فاعتذرت قائلة له «شكرا ياصلاح، لقد استمعت ورافقت أخاك في دربه الطويل عبر ما يقرب من أربعين عاما، والآن أنا لا أملك الصبر أو الفسحة في الحياة لاستمع إليه للمرة المليون فلتجد لأخيك مستمعا غيري» وأخيراً وبالحاح منه بدأت الكتابة وهي عسيرة عليّ لأسجّل لك ياعزيزي القارئ هذه الذكريات وما تحويه من وقائع مرحلة في دروب حياتي، وأنا شاكر له جهده الكبير من أجل الحقيقة ومن أجل السودان

وكلي أمل أن تجد فيها ما يفيد وينفع ودعني أؤكد لك أنني اجتهدت في صبر وعناية في أن أنقِّب في ذاكرتي وأبحث في الماضي لأسجل لك في صدق وأمانة ما حدث من وقائع وما قيل من حديث وما حكي من قصص لكي تمتلك أيها القارئ العزيز الحقيقة كل الحقيقة إذ هكذا تربيت وهكذا نشأت لا أخاف في كلمة الحق لومة لائم. ومن أجل ذلك لابد لي أن أسجل شكري وعرفاني بفضل أهلي وعشيرتي، آل الفقيه إبراهيم جوّى وآل الناظر محمد أحمد فضل بيتيّ العلم والأخلاق، لما نشأت عليه من مسالك ومبادئ. كما كان لزوجتي وشريكة حياتي النمساوية الجنسية المسيحية العقيدة، الفضل كل الفضل في وقوفها بجانبي وفي دعمها لي في ساعات الشدة وأيام الحاجة والضعف. ولكل هذا فأنا محظوظ وشاكر ومقدر

الفصل الأول
البدايات والإنجازات الوطنية فى مجال الرى

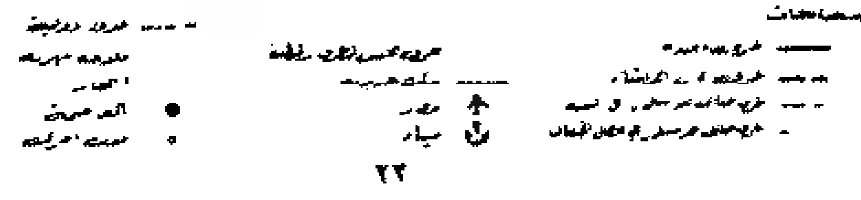
الفصل الأول
البدايات والإنجازات الوطنية في مجال الري

المهندس ميرغني حمزة:

كان المهندس ميرغني حمزه أول وزير للري بعد الإستقلال وكان وزيراً للري وللزراعة والتعليم في نفس الوقت ولهذا كان يسمى وزير الخضرة والماء والوجه الحسن. وهو رجل ذو علم وشخصية وبدأ في تنفيذ التنمية الزراعية على مستويات كبيرة لاستغلال حصة السودان من مياه النيل إذ كانت الرقعه المرويه قبل الاستقلال تنحصر في مشروع الجزيرة الذي تبلغ مساحته حوالي مليون فدان تروى من مياه التخزين خلف سد سنار الذي يقع على النيل الأزرق على بعد حوالي ٣٠٠ كيلو متر جنوب الخرطوم وتبلغ طاقته التخزينية حوالي مليار متر مكعب وقد بني هذا السد في عام ١٩٢٥ بتصميم وأشراف المهندس البريطاني فون لي، من الحجر والأسمنت الجيري وكان السد الوحيد الذي تملكه حكومة السودان لإستغلال مياهه في الزراعة فقط، أما السد الثاني فقد كان في جبل الأولياء على بعد حوالي ٤٠ كيلو متر جنوب الخرطوم على النيل الأبيض وتملكه الحكومة المصرية التي قامت بنشائه من أجل التحكم في تصرفات النيل الابيض وليس له اي قدرة تخزينية وفي عهد الإستقلال وبتوجيه السيد ميرغني حمزة تم تخطيط وتنفيذ مشروع المناقل الذي تبلغ مساحته حوالي مليون فدان ويروى من خزان سنار عبر ترعة كبيرة انشئ مدخلها وقنطرتها الرئيسية على جانب من بحيرة التخزين خلف السد دون المساس بالسد نفسه كما تمت برامج بناء سدى الروصيرص في المجابس العليا من النيل الآزرق بالقرب من الحدود السودانية الأثيوبية وتبلغ سعته حوالي ٣ مليار متر مكعب وسد خشم القربة على نهر عطبره وهو نهر منبعه في الهضبة الأثيوبية ويصب في نهر النيل على بعد حوالي ٢٥٠ كيلو متر شمال الخرطوم وتبلغ سعته التخزينية حوالي مليار وثلاثمائة متر مكعب كذلك تم تخطيط مواقع السدود للري ولتوليد الكهرباء المائية على النيل وفروعه

جمهورية السودان

ليبيا
تشاد
منطقة المشروع
بورتسودان
اثيوبيا
جمهورية افريقيا الوسطى
زائير
اوغندا
كينيا



دعم ميرغني حمزه للشباب ذوى التأهيل العلمى العالي:

عرف المهندس ميرغني حمزة بدعمه للشباب ذوى التأهيل العلمي لملء الوظائف القيادية والاطلاع بالمسئولية وقد وجهني بأن أرافق الفريق الألماني الذي جاء من شركة سيمنز لمسح مواقع السدود لتوليد الكهرباء في نهر النيل كما ايد سفرى لألمانيا لمواصلة العمل معهم للتخصص في هندسة توليد الكهرباء المائية وبعد عودتي من المانيا عملت مستشارا فنيا في مكتبه في وزارة الرى بالخرطوم حيث كنت استقبل العديد من السائلين عن مشروعات الرى المعدة للتنفيذ. وإذا كان من الممكن الحصول على تقارير أو مخططات فنية مسموح باخذها. وأذكر أن جاءنى ذات يوم مندوبان لشركات يوغسلافية يسألان عن مشروع كهربة خزان سنار. وقمت بالرد على جميع استفساراتهما. وفي نهاية الاجتماع طلبا أن أعطيهما نسخة من تقرير فنى فاجبيت بأن ذلك غير مسموح به فما كان منهما إلا أن قالا لي دون تردد أو خجل بانى إذا اعطيتهما نسخة فإن الشركة ستوجه لى دعوة لزيارة يوغسلافيا لأقضى أسبوعين على شاطئ الادرياتيك الجميل بصحبة أجمل الفتيات ممن اختار وتعلت أولا لجرأتهما كأنما الأمر عادي وكأنما أنهما متأكدان من معرفة اخلاقى بأنى رجل يقبل الرشوة من حيث المبدأ وأنى رجل من الذين يسيل لعابهم للرشوه بالجنس فانفجرت بصوت عال. قائلا «انكما تريدان إساءتى أم أن أحداً قد وجهكما بانى رجل من هذا النوع؟» فذهلا ولم يستطيعا الرد فواصلت هجومى عليهما قائلا "أخرجا من مكتبي وإلا استدعيت البوليس". فوقفا وهما في ذهول تام وقال لى أحدهما «نحن آسفان لذلك ولكن أخبرنا بأن كبار موظفى الحكومة يفضلون الرحلات إلى أوربًا في الصيف وقضاء أجازة ممتعة هناك ويفضلون أن تكون في صحبتهم مضيفة لارشادهم في كل شئ وهذا ما عنيناه» فقلت لهما أخرجا من مكتبي ولا تعودا مرة أخرى إلى هذه الوزارة.



لجنة مسح مواقع توليد الكهرباء على النيل، وهم من اليسار إلى اليمين المستر موريس مستشار وزارة الري، البروفسور راو من الهند، المهندس مرتضى، المهندس بنشتاين من شركة سيمنز الألمانية

١٩٥٧ - ١٩٦٤:

عدت من ألمانيا بعد قضاء سنة ونصف مع شركة "سيمنز" الألمانية في العمل بمكاتبها المتخصصة في هندسة توليد الكهرباء المائية في مدينة "إرلانجن" ERLANGEN بالقرب من مدينة نورنبيرج المشهورة. هناك درست الألمانية وتخرجت من معهد "جوته" بتفوق وفي هذه الفترة أحرزت عضوية جمعية المهندسين الألمانية VDI بتقديمي مشروع تصميم محطة توليد على نهر الراين كنت أقوم به أثناء عملي مع شركة "سيمنز" وفي هذه الفترة أيضا أحرزت عضوية جمعية المهندسين البريطانية M I C E بعد جلوسي للامتحان القسم (ج) في مقر الجمعية البريطانية بلندن

كانت وزارة الري قد استقدمت بتوجيه من لجنة ترأسها الوزير المهندس

مرغني حمزه وضمت المستر موريس المستشار بوزارة الري وهو مرجع عالمي في مياه النيل واستاذ هندسة هندي، فريقا من المهندسين الالمان للقيام بدراسات نيلية كنت اعمل بدأ بيد مع المهندسين الالمان (الذين توطدت بيني وبينهم صلات وصداقات قوية امتدت لأكثر من ثلاثين عاماً) في دراسة مصادر القوى الكهربائية على نهر النيل من "نمولي" في حدود السودان الجنوبية حتى الشلال الرابع شمال مدينة ابي حمد. وإذ كنت المهندس الملازم لهم حين قاموا بالمسح الحقلي لهذه المواقع في السودان فقد تقرر سفري معهم لالمانيا لمواصلة الدراسات المكتبية ووضع المخططات الهندسية لمحطات التوليد الكهربائي المقترحة في تلك المواقع، بالإضافة للتوليد الكهربائي من خزان سنار الذي كان قد عهد به لشركة أخوان قرونر/ GRUNER BRS السويسرية

من المانيا عينت فنياً في مكتب وزير الري والقوى الكهربائية وكنت مسؤولا عن الجوانب الفنية التي ترتبط بالتسمية في مشاريع الري والقوى الكهربائية، والإضطلاع بالرد على الاستفسارات عن مشاريع الري والصرف والتوليد الكهربائي سواءً من الشركات العاملة في تلك الحقول أو مؤسسات التمويل الانمائي، أو من الجهات الحكومية ذات المصلحة. وكان عملا ممتعا ومفيداً، اتاح لي الفرصة للتعرف والتعرض للمداولات والمكاتبات الداخلية والخارجية في هذه الأمور كما أن الوزير المهندس ميرغني حمزه رحمه الله أولاني ثقته للتعرض لتلك الامور في حرية ومسؤولية كاملة مما افادني وأثرى تجاربي في هذا المجال ولقد كانت حصيلة الاشهر الستة التي قضيتها في الخرطوم، وكسبي ثقة الكثيرين من رؤسائي في الوزارة وخارجها، دافعاً لنقلي للعمل مهندسا مقيما لإنشاء محطة مضخات الحاج عبد الله على النيل الأزرق بين مدينتي مدني وسنار وكانت أكبر محطة للمضخات في ذلك الوقت واصعبها تشييداً

المقاولان والملاحظ في الحاج عبد الله:

كان المهندس بشير عبد الرحيم حامد، مقاول محطة المضخات بينما كان مقاول المستعمرة السكنية المكمّلة للمشروع هو المقاول والتاجر محمد على حسيدة، من أهالي سنار وكان الملاحظ الحاج محمد سيد أحمد يقوم بتنفيذ

أعمال المستعمرة السكنية. وكانت تجربتي مع ثلاثتهم في المراقبة والاشراف خير تجربة يحظى بها مهندس من حيث الإتقان في العمل والانضباط في البرامج، والالتزام بالتعاقد ثم الأمانة والصدق في التعامل وحين أذكر ذلك، فلأن هذا هو مبدأي وأخلاقياتي في مهنتي لأكثر من أربعين عاماً، ثم للسمعة السيئة والفساد مما كانا يلازمان هذا القطاع من الأعمال في ذلك الزمان لهذا قامت بيني وبينهم علاقة عمل بنيت على الاحترام والود والتقدير وأني فخور بأن تلك الصلة الطيبة دامت بعد ذلك لعشرات السنين إلى أن فرق بيننا الزمان

أما المهندس بشير عبد الرحيم فقد كان من مهندسي الري المشهورين بوقوفهم بشجاعة أمام الانكليز وكان مشهوراً بوطنيته، وعضويته في مؤتمر الخريجين، التجمع الذي كان يقود النضال من أجل الاستقلال أيام الاستعمار البريطاني وبعد أن ترك وظيفته في الحكومة، بدأ العمل في المقاولات، وكان أول المقاولين المهندسين، مشهوداً له بالسمعة الحسنة والأمانة، ومعتزاً بوطنيته وكرامته.

محمد علي حميده والملاحظ سيد أحمد:

أما السيد محمد علي حميده فهو من كبار تجار مدينة سنار وهو شقيق السيد حامد حميده وأخواته وهم عائلة كبيرة ومشهورة بالتجارة والسمعة الطيبة والمبادرة في تقديم المساعدات في كل مناسبة تقتضي مساهمة خيرية للوطن أو المواطنين وكانت الغالبية العظمى من المقاولين في أعمال الإنشاءات في ذلك الوقت من التجار لما لديهم من رأس المال والمعدات والسيارات التي لابد منها للدخول في عمل الإنشاءات. وكان السيد محمد علي حميده رجلا نزيهاً يخاف الله ولهذا كان من المقاولين الذين يؤدون التزاماتهم التعاقدية حسب العقد وشروطه بغرض الربح الحلال، ولما كان السيد حميده غير متخصص في أعمال الإنشاءات والمسح والتخطيط الفني كان لزاما عليه أن يعين ممثلا عنه في موقع العمل يكون فنيا ومقبولا لدى الوزارة ولهذا جاء بالملاحظ الفني محمد سيد أحمد الذي كنت اتعامل معه في الموقع بوصفه ممثل المقاول. وأذكر أنه عندما جاءني لإستلام أوتاد موقع المباني التي سيقوم بإنشائها قلت له بأن ملاحظي

الفني سيسلمه حدود كل مبنى على الأرض وبعدها عليه أن يقوم بتخطيط الاساسات حسب الخرائط التي سلمت له. وبعد الإنتهاء من عمله يخطرنا لكي نقوم بالمراجعة وإذا كان التخطيط صحيحا اصدرنا إليه الأمر ببدء حفر الاساسات فوافق دون تردد. وقام بعمله خير قيام وكان ذلك بدء احترامي وتقديري له إذ كانت العادة السائدة في ذلك الزمان أن يقوم ملاحظ الحكومة بتخطيط حدود الاساسات للمقاول ويقوم مهندس الحكومة وملاحظيها الفنين بتنفيذ العمل ويكون المقاول ما هو إلا مورد للعمالة، وهذا خطأ اساسي، إذ أن على المقاول تنفيذ العمل بعمالة فنية مقتدرة ويكون واجب مهندس الحكومة وملاحظيها هو الأشراف والمراجعة للتدقيق بأن ما ينفذ هو حسب الخرائط والمواصفات

إنتقال زوجتي "انجا" إلى الحاج عبد الله:

في بداية اطلاعي بالأشراف على تنفيذ محطة مضخات الحاج عبد الله كنت لازلت اسكن بمدني، وكنت احضر يوميا من الساعة الخامسة صباحا إلى موقع العمل في الحاج عبد الله التي تبعد عن مدينة مدني بحوالي ٢٥ كيلو متر، وكنت أعود بعد الظهيرة في ذلك الطقس الحار إلى بيتي بمدني وكان بيتي بمدني به مراوح كما كنت قد اشتريت ثلاجة بالاقساط كل ذلك لاهيئ لزوجتي النمساوية التي اتيت بها إلى تلك البيئة الغريبة عليها ليس فحسب في الطقس ولكن في كل شئ. وظلت تقف بجانبي تقاسي كل ساعة في حياتها دون كلل أو ملل ولم تكن لي سيارة خاصة. ولهذا كنا نستعمل الدراجة في تحركنا في مدينة مدني لإنهاء أغراضنا أن كانت في السوق أو في زيارة الأصدقاء وكم من مرة كنت اجلسها خلفي في الدراجة لتذهب للسوق بمدني أوللسينما، ولم أكن اهتم بنظرات المارة عليّ في دهشة واستغراب. ولما تقدمت الأعمال في موقع

العمل في الحاج عبد الله وأصبح العمل ينفذ حتى ساعات متأخرة من الليل رأيت أنه لابد من رحيلي للسكن في استراحة الري هناك، حيث لا مراوح ولا كهرباء ولا ثلاجة ولا ماء نقي بالمواسير. وفي ذات يوم كنت عائداً من العمل إلى مدني وكان يصحبني أحد معارفي في السكة الحديد في الحاج عبد الله أراد أن آخذه معي لمدني. وكنت أقود سيارة لاندروفر وكان السائق جالساً في الخلف وبعد أن قطعنا شوطاً من الطريق وتوقف الحديث بيننا. وأنا سائر على جسر ترعة كبيرة غمضت عيني لحظة في غفوة فسقطت العربة من الجسر إلى مستوى الأرض فصحيت في خلعة شديدة ووجدت أننا في الأرض ولكن حمداً لله لم تنقلب العربة. خرجنا مذهولين ورفعنا العربة ثم واصلت قيادتي للعربة ولكن رفيقي ظل في ذهوله من هول الحادث ولم يتحدث ولم يرد على أي كلام أقوله له وأظنه كان يحدث نفسه قائلاً "ايه اللي جابني مع المجنون المستهتر ده" إلى أن أوصلته بيته في مدني حيث يسكنه. ومن تلك الحادثة قررت الرحيل إلى الحاج عبد الله. وأخبرت زوجتي بذلك على أن أعودالبيها في كل نهاية أسبوع. فرفضت وقالت لي أنها ستذهب معي حيث أذهب مهما كانت المعاناة. وهكذا رحلنا للحاج عبد الله، وسكنا في الاستراحة. وكانت تقوم بواجباتها نحوي ونحو ابنها الصغير سامي على خير وجه وفي صبر وجلد على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تعيش فيها. فاستراحة الري تقع بالقرب من الموقع، حيث كان العمل ينفذ على ثلاث نوبات "ورديات" خلال الأربعة والعشرين ساعة في اليوم، تتكون من غرفتين. وليست لها دورة مياه، أو توصيلات لمياه الشرب أو الغسل. نحصل على المياه "بالخُرج" المحمول على حمار، ونستعمل الحطب للطهي في موقد بدائي، ونحمل الماء بالجردل للاستحمام وغسل الملابس، ولحفظ طزاجة الخضار وما تبقى من طعام في جوال مبلل. ومع ذلك كانت من امتع سنوات حياتي المهنية والعائلية، وكان تشييد محطة مضخات الحاج عبد الله أول تحد مهني كبير لي



السيدة إنغابورج إبراهيم

الاعداد التمهيدي لمحطة كهربة خزان سنار:

كما جاء ذكره سابقا فإن المهندس ميرغني حمزه هو الذي خطط لتشييد محطة كهربه خزان سنار كأولى محطات توليد الكهرباء المائيه من السدود ولكن لم يهيئ له تنفيذه نسبة لتردد المسئولين في الحكومة الذين كانت تتجاذبهم الأحزاب والمصالح مما يعطل إصدار القرارات في حينها وتجميد المشاريع حسب تخطيطها وبعد الإنقلاب العسكري في نوفمبر ١٩٥٨ قررت حكومة عبود المضي قدما في تنفيذ المشروع واستدعت الشركة الالمانية سيمنز شكرتفيرك للتفاوض إذ أن الحكومة الالمانية كانت قد ساهمت بقدر كبير في إعداد المشروع واستدعيت إلى الخرطوم بمشاركة مع الجانب الحكومي في مباحثات تمويل وإنشاء المحطة مع الوفد الالماني وشركة سيمنز وباويونيون للإتفاق على أسعار تكاليف أعمال تشييد المحطة

استغرقت المداولات مع شركة "سيمنز باويونيون" للإتفاق على أسعار تكاليف أعمال تشييد المحطة وقتا طويلا. تراس الاجتماعات المهندس المرحوم محمود محمد جادين وكيل وزارة الري وبرفقته المهندس الرشيد سيد أحمد مستشار الوزير وشخصي وأتذكر أنه حين احتدم الخلاف بيننا على الأسعار أن غضب الوفد الالماني وأنفعل رئيسه قائلا لبقية زملائه بالالمانية "ماذا يظن هؤلاء البلهاء" ترجمت ما قاله لزميليّ وانسحبنا من الجلسة محتجين ونشأت أزمة اسمر رئيس الوفد الالماني بأنه قال "هل يظننا هؤلاء بلهاء" وبعد تدخل السفير الالماني إعتذر رئيس الوفد الالماني عن زلة لسانه وعدنا لطاولة المفاوضات حيث توصلنا إلى إتفاق بإسناد العمل اليهم.

اسناد الوزير الأشراف على تنفيذ المشروع لسوداني بدلا عن الشركة السويسرية:

بعد ذلك جاء موضوع الأشراف على تنفيذ المشروع الكبير وكنت اتوقع تعييني مهندساً مقيماً اتمتع بجميع سلطات مهندس الأشراف. غير أنني فوجئت بأن رئيسي والمسؤول الأول من قبل الحكومة صاحبة العمل، وهو السيد المهندس محمود جادين وكيل الوزارة، قدم توصية للوزير اللواء أحمد عبد الله حامد رحمه الله، بأن تسند مهمة الأشراف إلى شركة أخوان قرونر، وأن أعين مديراً عاما للمشروع، بعد ترقيتي لوظيفة أعلى، ظنا منه بأنني ساقبل بذلك رفضت مصراً على تحمل المسؤولية كاملة في الأشراف بكل ما يتطلبه ذلك من سلطات وإلا فلن أذهب إلى موقع الاعمال في خزان سنار هكذا بدأت أزمة جديدة أدت إلى استدعاء الوزير لي بحضور السيدين محمود جادين والرشيد سيد أحمد ومدير شركة أخوان قرونر خاطبني الوزير قائلاً "يامرتضى، عرفت بإنك المهندس الوحيد المتخصص في هذه الأعمال، وأنها أول محطة كهربائية مائية تشيد في السودان، بل هي محطة من الخرسانة المسلحة تشيد في سد قديم جداً هو الخزان الوحيد الذي يحجز لنا ماءاً للري في السودان، وسيكون العمل تحت ظروف خطرة جداً على سلامة الخزان لذلك من الأحسن أن تسند المسؤلية للشركة السويسرية وتكون أنت ممثل الوزارة بدرجة مدير للمشروع".

رددت عليه بقوة ووضوح وإيمان، بأنني أعي جيداً جسامة المسؤولية وأنني واثق تماما من تحملها فأما أن أذهب لسنار وأنا المهندس المقيم، المسؤول الأول عن الأشراف، من غير أن اطلب لنفسي ترقية أو لقباً، أو أن احال إلى عمل آخر بالوزارة فأنا طالب خبرة في تخصص ولست طالب ترقيات ومناصب. وحين أخذ الكلمة السيد محمود جادين قلت لنفسي "قرورتر" ابوصلعه سبَّب لهم العملية وخوّفهم ولذا يريدون ايكال المسؤولية إليه قال السيد جادين "نعرف مقدرة مرتضى وكفاءته، ولكن لا يوجد لدينا مهندسون آخرون لكي نقوم نحن أنفسنا بهذا العمل" فالتفت الوزير إليّ مستفسراً فرددت على الفور بأنني أعرف مقدرتي وكفاءتي وأعرف أيضا أن هناك مهندسين من زملائي في الوزارة قادرون تماماً على معاونتي واستطيع معهم أن نتحمل مسؤولية الاشراف كاملة.

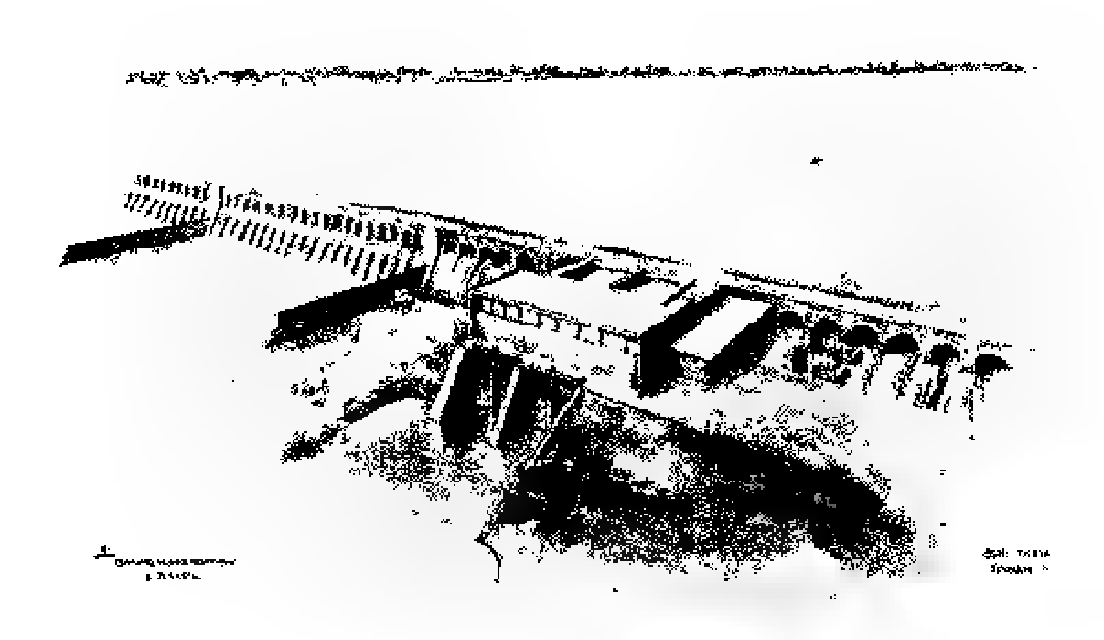
لعلني قلت ذلك في قوة وثقة، فما كان من الوزير اللواء أحمد عبد الله حامد، إلا أن رد بالطريقة السودانية ودون أن يلتفت إلى السيد جادين: "والله ياولدي مجيبتني أسمع، أنا سأمنحك المسؤولية لكن عليَّ الطلاق، تلحق تغلط أو تهمل أحسن لك تقع من الخزان وتغرق هناك في النيل والله لو جيتني هنا أقطع رأسك". وهكذا بدأت مسيرتي بالاضطلاع بتنفيذ محطة كهرباء خزان سنار، أول مشروع من نوعه في السودان. وانني لأعتبر لوحته التذكارية التي تحمل اسمي، تشريفا وتقديراً لكفاءة المهندس السوداني أكثر مما هي لي شخصياً.

وفي سنار الحبيبه وبين أهلها الخيرين الكرماء، عشت أكثر من ثلاث سنوات كانت لي فيها ذكريات عزيزة، وفلذة من عمري وحياتي، ولي فيها أخوان واصدقاء فكان لها بذلك أكبر الأثر في تطور فكري وتعاملي، وفي توجيه دربي ومستقبل حياتي.

تعريف عن وزارة الري والقوى الكهربائية المائية:

قبل الاستقلال كانت تعرف بمصلحة الري وكانت رئاستها في مدينة مدني التي تقع في قلب مشروع الجزيرة وعلى بعد حوالي ٨٠ كيلومتراً من مدينة سنار حيث خزان سنار وفي مدني مقر المدير العام للري ورؤساء أقسام

التشيد والمشروعات والصيانة والقسم الميكانيكي وبعد الإستقلال سميت وزارة الري والقوى الكهربائية المائية وأصبحت الخرطوم مقر مكتب الوزير ومستشار الوزير الفني وقسم مياه النيل وهندسة المياه وبقيت مدني مقر وكيل الوزارة ونائبه ومساعد الوكيل لمشروع الجزيرة ومساعد لوكيل مشروع المناقل ومساعد الوكيل للإنشاءات والسدود ومساعد الوكيل للأعمال الميكانيكية



محطة كهرباء سنار بعد إتمام العمل فيها، ومعها خزان سنار وبحيرته من خلفه

مدينة سنار: أو سنار المدينة الفترة ما بين ١٩٥٩ - ١٩٦٣:

تقع مدينة سنار على الضفة اليسرى من النيل الأزرق على بعد حوالي ٣٠٠ كيلو متر جنوب الخرطوم وكانت في قديم الزمان عاصمة لمملكة الفونج وقد بني فيها خزان سنار في عام ١٩٢٥ وأصبحت المعبر الوحيد للنيل الأزرق من منبعه في بحيرة تانا في الهضبة الأثيوبية وحتى الخرطوم حيث يوجد فقط في

ذلك الوقت جسر الخرطوم بحرى على النيل الأزرق قبل أن يلتقى مع النيل الأبيض ليكونا نهر النيل العظيم ولهذا فإن القوافل والمسافرين الذين يأتون من منطقة البطانة فى شرق النيل الأزرق يعبرون على سد سنار للوصول لأرض الجزيرة التى تقع بين النيلين الأبيض والأزرق، وكان معظم سكانها من التجار الشماليين من شمال السودان وبها مستعمرة حكومية من موظفى وزارة الرى والسكك الحديدية ومصلحة الرى المصرى كما أن خط السكة الحديد يعبر النيل الأزرق على سد سنار لربط الخرطوم مع مدينة القضارف فى شرق السودان وهناك مدينة صغيرة على بعد بضعة كيلو مترات من سنار المدينة تسمى سنار التقاطع حيث يتجه فرع أخر من خط السكة الحديد إلى الغرب عابراً الحدود الجنوبية من أرض الجزيرة ليعبر النيل الأبيض عند جسر كوستى التى تقع غرب النيل الأبيض ليواصل سيره إلى غرب السودان حيث ينتهى فى مدينة الأبيض عاصمة محافظة كردفان

وكان عدد سكان سنار المدينة في ذلك الوقت حوالى ٧ آلاف نسمة من التجار والموظفين وأصحاب الحرف، وكانت علاقتهم قوية فى مناسبات الأفراح والأحزان ويعرفون بعضهم البعض كما هو حال قرى وأقاليم السودان وكان نشاطنا الاجتماعي في نادي الموظفين حيث كانت لنا فرق للعب التنس والسباحة وكرة القدم. وبنيت فى المدينة سينما لأول مرة فى عام ١٩٥٦، وقد أشرف على بنائها زميلى وصديقى المهندس يحى عبد المجيد أبان أطلاعه بالأشراف على تشييد قنطرة ترعة المناقل الرئيسية. وكانت سينما سنار هى مكان الترفيه الوحيد لي ولزوجتي حيث كنا نذهب هناك مساءاً وأذكر في تلك الأيام لم يكن الكثيرون من رواد السينما من أهالى سنار يعرفون حقيقة السينما وكانوا يظنون أنها تصوير لحوادث فعلية تنفذ امام الكاميرا ومن الطرائف في ذلك أن سألني واحد من معارفي التجار إذا كان مخرجي وأصحاب تلك الأفلام يدفعون تعويضاً لأهالي الذين يقتلون في الفيلم. وكان الإندماج في حوادث الأفلام يدفع الكثيرين من المشاهدين فى الكراسى الامامية للتصفيق بشدة للبطل عندما ينتصر فى معركة كما يشتمون الخائن عندما يقوم بفعل فاحش أو جريمة، كنا نستمتع من حوادث موضوع الفيلم وأيضا من تعليقات رواد الدار

أصدقائي في سنار:

كان آل حميده عائلة كبيرة وذات قدر ومكانة بين الناس جميعا في سنار. وكانوا دائما سباقين للترحيب وحسن الاستقبال لأي زائر للمدينة كبيرا كان أم صغيرا. وكانوا يعملون بالتجارة أساسا والاشتراك في بعض المشاريع الزراعية الخاصة على النيل الأزرق لزراعة القطن الذي أصبح محصولا مربحا أبان الحرب الكورية. وكنت أعرف السيد حامد حميده منذ سنوات قبل نقلي لسنار لمشروع الكهرباء. إذ كنت أجئ للعمل في مسح وتخطيط المشاريع الخاصة في أيام عطلاتي لكي أحصل على بعض الدخل الإضافي. ولهذا عندما رحلت وعائلتي لسنار كان السيد حامد حميده وأهله أول المرحبين بي وبزوجتي الأجنبية التي كانت في أولى خطواتها لتعلم اللغة العربية وذلك بالإختلاط مع السيدات السودانيات. وأذكر لها من قصصها الطريفة ما حدث لها في ذلك الزمان، عندما أرادت أن تقوم بواجبها في عزاء لهم فقالت لي أولا أنها لا تستطيع أن تبكي كما تفعل النساء السودانيات وثانيا فهي أيضا لا تستطيع أن ترفع يديها بقراءة القرآن فهي أولا مسيحية وثانيا لاتعرف القرآن وثالثا لا تستطيع أن ترفع يديها وتحرك لسانها كذبا كما تفعل بعض النساء. فقلت لها قولي لهن "البركة فيكم" وهذا يكفي. فرددتها عدة مرات وحفظتها وذهبنا سويا لمنزل العزاء. وهناك دخلت إلى الجناح النسائي من البيت وبصوت عالي أمام الجميع قالت لهن "البقره فيكم" فساد الصمت القاعة. ثم انفجر البعض ضاحكا. مما أحرجها حتى أحمر وجهها وفجأة انفجرت تبكي ليس من أجل الميت ولكن على نفسها أمام ذلك الحشد الذي هو بيئة غريبة جدا بالنسبة لها. وهي وحيدة وبعيدة من أهلها ووطنها. وكان ذلك دافعا لجميع النساء الحاضرات لأن يبكين لا على الميت ولكن عطف وحنانا على تلك السيدة الأجنبية التي جاءت إليهن لمشاركتهن في العزاء في صدق ومودة. ومن ذلك الحادث اتسعت دائرة النساء اللاتي أصبحن صديقات حميمات لزوجتي مما ساعدها في تعلم اللغة العربية بذلك الاختلاط القوي.



الصديقان حامد حميده والطيب عبد الرازق وشخصي في الوسط - سنار ٢٧/مايو/١٩٦٦

المهندس المقيم:

لعله من المفيد أخذ فكرة عن مصطلح مهندس مقيم ومسؤولياته في جميع أعمال الإنشاءات الهندسية بدءاً من تخطيطها وتصميمها وإنتهاءاً باكتمال تشييدها وتشغيلها هذه المهمه تقوم بها ثلاثة جهات أولها صاحب العمل أو المخدم كما يسمونه أحياناً Owner or Employer وهو الذي يملك المنشأة ويقوم بدفع جميع تكاليف إنشائها أما الجهة الثانية فهي المهندس وهو الذي يقوم بتخطيط المنشأة وتصميمها وتقدير تكاليف أنشائها ومدة تنفيذها ووضع وثائق المناقصة وأعداد عقد الإنشاء وأخيراً الأشراف على تنفيذ المنشأة واصدار شهادات صرف استحقاقات المقاول الذي يطلع بتشييدها وأخيراً أصدار التقرير النهائي عن أكتمال المنشأة واستلامها من المقاول ووضع ضوابط وأساليب تشغيل وصيانة المنشأة ولهذا فإن المهندس يكون له في موقع تنفيذ المنشأة مهندس مقيم في الموقع معه مساعدون من المهندسين والفنيين للأشراف اليومي على تنفيذ الأعمال والتأكد من مطابقتها لشروط العقد والمواصفات الفنية للمواد المستخدمة

وللإجزاء المختلفة من المنشأة ويمكن أن يكون المهندس صاحب العمل فى نفس الوقت إذا كانت لديه القدرة والكفاءة الفنية للاضطلاع بمهمة المهندس ويمكن أن يكون جهة مستقلة متخصصة كبيوت الخبرة الهندسية وطنية أو أجنبية والجهة الثالثة هي المقاول الذى يتم اختياره لتنفيذ المنشأة حسب العقد الموقع بينه وبين صاحب العمل ويحتوى العقد على شروط التنفيذ والدفعيات للمقاول وتعريف المهندس المسئول على الأشراف وسلطاته وممثله فى الموقع الذى هو ما يسمى بالمهندس المقيم المشرف والمسئول عن جودة العمل ومطابقته للمواصفات الفنية.

محطة كهرباء سنار:

أنشئت محطة توليد الكهرباء فى الجانب الأيسر من سد سنار من الخرسانة المسلحة وتحتوى على مولدين طاقة كل منهما ٧,٥ ميجاوات ولها مدخلان منفصلان لتدفق الماء من أمام السد إلى توربينتين 2 Turbines كل واحدة متصلة بمولد كهربائى وبعد استغلال طاقة المياه فى إدارة التوربينتين تخرج المياه عبر قناة خلفية لتعود مرة أخرى إلى مجرى النيل الأزرق خلف السد. وبالقرب منها اقيمت محطة تحويل كهربائى من حيث تؤخذ أسلاك مد التيار الكهربائى ذى الضغط العالى إلى محطة التوليد المركزية الحرارية فى برى بالقرب من الخرطوم ليتم توزيعها على شبكة الكهرباء فى العاصمة المثلثة

نبذه عن عبد الله وقاسم وفكرى وركشترول:

المهندس عبد الله محمد أبراهيم خريج كلية الهندسة فى جامعة الخرطوم عام ١٩٥٣ وقد كنت أعرفه منذ الدراسة وعندما التحق بالرى كنا نعمل معا فى أقسام المشروعات وكان مهندسا مقتدرا وذو نباهه وذكاء، وكان معروفا بصراحته وجرأته وهو ابن عامل مناوره أو قطرجى فى السكة الحديد وقد مات باصطدام بين عربتين عندما كان يريد ربطهما وكان يفتخر بأن والده قطرجى ويقول عنه بانه رئيس قطرجيه Head Shunter وأذكر أننا عندما كنا نعمل فى

قسم المشروعات وكنت قد عدت من بعثتي في بريطانيا وترأست مهندسي التصميم في قسم المشروعات وكان بينهم عدد من المهندسين الهنود وكان بينهم مهندس من طائفة المنبوذين Untouchables وهم طائفة محتقرة في الهند ويعملون في أعمال النظافة والأعمال التي تعتبر حقيرة. فجاء بقية المهندسين الهنود لعبد الله وذكروا له بأنه غير مقبول لديهم أن يشرب ذلك المهندس من نفس الأناء الذي يشربون منها ولما عرف عبد الله السبب قال لهم نحن ايضا عندنا طوائف حقيرة وأنني ورئيسي مرتضى من طائفة المنبوذين في السودان وبعد الاستقلال منعت هذه الأمور. وأحسن تلوذوا بالصمت وإلا إذا علم مرتضى فإنه سيلغي عقودكم. وهكذا اسكتهم وجاءني وقص علي القصة. وفي الحقيقة قامت بيني وبين المهندس عبد الله صداقة قوية وعملنا معا في مجالات عديدة مهنية واجتماعية وكان لي دوما نعم الأخ ونعم الصديق. أما المهندس قاسم عثمان فهو من خريجي جامعات مصر وينتمي لعائلة عريقة في السودان وميسورة الحال وهو شخص وديع مؤدب ومهذب لطيف المعشر، تدرج في سلم الوزارة حتى أصبح وكيلا لها وأما المهندس فكري عبد الباسط فقد كان مصري الجنسية، عمل مهندسا مع المهندس يحي عبد المجيد عندما كان المهندس المقيم لقنطرة ترعة المناقل ثم تحول إلى العمل في محطة كهرباء سنار عندما جئت لتنفيذها وهو مهندس قدير، وله علاقات عائلية مع الكثير من الأسر السودانية، ونشأت بيني وبينه مودة وصداقة حميمة. وأما المهندس ركشتول فقد كان سويسري الجنسية، منتدبا من شركة أخوان قرونر الذين قاموا بتخطيط وتصميم محطة سنار كان مسؤولا عن التعديلات التي تطرأ على التصميمات لأسباب واقعية ناتجة من طبيعة الموقع رجل متواضع ولطيف، ولا يتردد في الحديث بصراحة عن أصله البسيط، ويعتبر نفسه عصاميا وقد عمل معنا في أخلاص وتعاطف وتضامن إلى أن إنتهت فترة انتدابه معنا

المحاسب والمسدس والجريمة الكاملة

كان معي محاسب هو مثال الموظف الذي يتقن عمله، متقننأ في حديثه، متطرفا في تعامله مع الناس. كان مشهوراً في أوساط الموظفين والتجار بأنه

رجل "صرِّيف" أي كثير الصرف ولا أحد يدري من أين له ولما قمت بزيارته بمنزله في العيد، أدهشتني مظاهر الترف من حولي إذ أن راتبه لا يكفي ماحشي به ثلاجة غرفة الضيوف مما لذ وطاب، وبيرة ووسكي بأنواعها غير الاثاث كنت أعلم بأن الصرفيات التي تصادق عليها للمقاول الالماني لا يمكن التلاعب فيها إذ أنها تعد بواسطة مهندسي الأشراف وتراجع بالرئاسة في مدني ثم تصدر الشيكات للمقاول من هناك لم تبق غير مستحقات العمالة المؤقتة القائمة بالأعمال التي كنا ننفذها نحن بما كان يسمى بالعمل المباشر، وتدفع بواسطة قوائم بأسماء العمال وعدد الأيام التي اشتغلوها مضروبة في الأجر اليومي للعامل. تعد هذه القوائم بواسطة المهندس المشرف ويوقعها، فيقوم المحاسب إياه بالمراجعة الحسابية ويعد أذن صرف باسمه بجملة المبلغ المطلوب ويرسله لي للتوقيع مصحوبا بالقوائم، وبعد مراجعتي أوقع على أذن الصرف الذي يعد من ثلاث نسخ، الأصلية ويذهب بها المحاسب لخزينة الحكومة في مركز سنار لاستلام المبلغ بعد تسليمهم الأذن ثم يقوم هو بالصرف لكل عامل بعد التوقيع أو يبصم بأصبعه عند الإستلام ونسخه ثانية تذهب إلى الرئاسة بمدني وتبقى الثالثه ثابته في الدفتر حتى لو الغى أذن الصرف لتبقى الأرقام متسلسله كما هي لذا رأيت أن أراجع المنصرفات مراجعة دقيقة فور إنتهاء عطلة العيد

بالفعل اكتشفت أذونات صرف لا توجد نسخها الثابتة في الدفتر. اعترف بأنه اقتطعها بالخطأ. زادت شكوكي فيه وطلبت منه احضارها ذهب إلى مكتبه وعاد ليخبرني بأنه نسيها في منزله وهو ذاهب لاحضارها هاتفني طالبا حضوري في الحال لامر خطير يحتاج لمعاونة مني له فيه. اخبرت رئيس الكتبه بما حدث وسلمته دفتر الصرف لابلاغ السلطات الأمنية إذا لم أعد بعد نصف ساعة وتوجهت إلى منزل المحاسب وعندما سألته عن أسباب طلبه حضوري، أخرج مسدسا صغيرا وقال لي أنه اختلس مبلغا لحاجته ولا يمكن لأحد اكتشاف فعلته فاما اعطيته مهلة فيستقيل بهدوء وإلا أطلق عليّ رصاص مسدسه مدعيا بانه لدى عودته خلال ساعات العمل تلك اكتشف وجودي بمنزله متلبساً بعلاقة مخلة بزوجته لاسيما وقد كانت زوجتي أنذاك خارج السودان فرديت عليه في سخريه أن يقلع عن مكيدته السينمائية هذه لانني اتخذت التحوطات اللازمة وستكون الشرطة سلفا لدية اسقط في يديه ولم ير بداً من العودة معي إلى

المكتب واعداً بمحاولة مساعدته بعد اقراره بكل شئ. ولدى اتصالي بالسيد وكيل الري بمدني اشار عليّ بإبلاغ الشرطة فوراً لتأخذ الأمور مجراها القانوني. وقد كان ووضع المحاسب تحت الحراسة بمركز الشرطة بسنار حتى تتم إجراءات المحاكمة. ولكنه بعد أيام قليلة تمكن من الافلات من الحراسة في الساعات الأولى من الصباح. فبدأت حملة إعلامية للمساعدة في التعرف والقبض عليه. وأرسلت صورته واوصافه لجميع المنافذ ونقاط الشرطة في السودان. وبينما البحث جار، وصلني خطاب بريدي منه يقول لي بأنني بدل مساعدته آثرت أن أقوم بواجبي دون شفقه به أو بأولاده. لهذا قرر الإنتحار غرقا في النيل فور استلامي لخطابه، راجيا مني أن اتحمل مسئولية رعاية زوجته وأولاده.

احلت الخطاب لسلطات الأمن، ومن ثم بدأت حملة لمراقبة جثته طافية في النيل الأزرق أو النيل الرئيسي. لم يعثر على الجثة المزعومة. وبعد شهر أو أثنين نسيه الناس ونسوا قصته. ولكن بعد ثلاثة أشهر ألقي القبض عليه في مدينة أم درمان، خارجا من أحدى دور السينما بعد العرض المسائي الثاني، متنكراً في زي اعرابي بلحية محترمة. احضر إلى مدينة سنار حيث جرت محاكمته وحكم عليه بالسجن خمس سنوات.

المقاول محمد سيد أحمد ومشكلته مع فساد ملاحظي تنفيذ أعمال الري:

الملاحظ محمد سيد أحمد الذي نشأت بيني وبينه علاقة قوية منذ أن كان يعمل معي في محطة مضخات الحاج عبد الله، والذي كان ينفذ وقتئذ أعمالا في مشروع شبكة ري المناقل في عقد فاز به هناك، زارني فجأة ببيتي بسنار. بعد السلام والسؤال والقيام بحق الضيافة، نظر إليّ قائلا "ياأخ مرتضى، جئتك من المناقل في أمر سري وهام للغاية، راجيا مساعدتي نسبة لما بيننا من معرفة حميمه وصلة طيبة. ولكن أرجو قبل فتحه، أن تعدني بأن تساعدني بالطريقة التي أريدها أنا إذا كان بمقدورك أو أن تنسى الموضوع تماما وتعتبرها زيارة أخ فارق أخاه من مدة وجاءت فرصة لاعادة اللقاء والذكريات" وعدته بما اشترط فأخذ يشرح ما جاء بسببه

ذكر لي أنه في أشكال كبير وحرج شديد. فهو ينفذ أعمالاً خرسانية وهو مرغم على دفع رشوة شهرية منذ زمن للملاحظين الذين تكلفهم الوزارة بالإشراف على تلك الأعمال. كان يستقطع تلك الاتاوة من ماله الخاص تفاديا لشرهم ومماكستهم، ولكنه رجل يخاف الله ولهذا فهو ينفذ الأعمال حسب المواصفات تماما برغم ذلك ولكنهم طمعوا في المزيد وطلبوا منه تقليل كمية الأسمنت المحددة حسب المواصفات بما يسمح له بتوفير كميات بسلمهم نصف قيمتها ويحتفظ لنفسه بالباقي، مؤكدين له أن النقص لن يؤثر في قوة الخرسانة ولن يلاحظه أحد. رفض ما طلبوه حيث يراها خيانة للأمانة هددوه بوضع العراقيل أمامه وهم يعرفون أساليبها جيدا، وواثقون من الحاق الخسارة الفادحة به. لهذا جاءني يطلب مني الإتصال بالمهندس الهندي "ناريان" الذي يشرف على الأعمال من قبل الوزارة لاطلب منه دون أن يعلم أولئك الملاحظون، أن يكون حاضرا هو نفسه أثناء خلط الخراسانات وصبها ولم تتحقق منها على أية حال سوى عدد محدود من المنشآت المطلوبة في العقد. وقد قرر متى إنتهى هذا العقد إلا يشارك في أية مناقصة تخص وزارة الري، لأنه حاج ويخاف الله، ولا يريد أن يتعرض لمثل هذه الضغوط مرة أخرى، وفي الوزارات الأخرى متسع لأكل العيش الحلال

اتصلت بالمهندس وأخبرته بذلك. علق بأنه يعلم كثيراً مما يجري في الخفاء، وعن الفساد والرشوة، ولكنه لا يود التدخل في أمور تجر عليه المتاعب ووعدني بأن يقوم بنفسه بالإشراف المباشر حتى ينتهي العقد بدون ضجة. هكذا أفلت أخونا محمد سيد أحمد وشريكه السيد محمد علي حميده من ابتزاز الملاحظين وحسب علمي، لم يتقدما بعد ذلك للاضطلاع بأي عمل لوزارة الري

وبذكر ما كانت تمتلئ به وزارة الري من ممارسات فساد رهيب، وبطبيعة الحال من وجود مسؤولين على قدر عال من النزاهة والعفة دعني أقدم أمثلة على ذلك.

السيد "ي":

كان من المهندسين الذين ثبتت عليهم تهم الفساد وابعدوا من العمل وأذكر

قصة قالها لي المقاول "ج أ" الذي كان قد فاز بعطاء تنفيذ قنطرة المناقل الرئيسية في سنار أنه كان يدفع جزية للمهندس المقيم "ي" وإذا لم يفعل ذلك فان ما ينجزه من عمل يكون مصيره التكسير بدعوى عدم مطابقته لمواصفات العقد وعندما سألته عن رأيه في صديقي وزميلي المهندس يحيى عبد المجيد الذي اضطلع بوظيفة المهندس "ي" بعد أبعاده قص علي القصة التالية –

"إنك تعلم أن الرشوة جريمة يعاقب عليها القانون كلاً من المرتشي والراشي ونحن المقاولين عندما نفوز بعطاء ونأتي لتنفيذه نحاول أن نختبر نزاهة المهندس المقيم فكنت أحضر لمكتبه واجلس أمامه ثم أضع ظرفا مليئا بكمية مغرية من الجنيهات ثم أضع صندوق سجائر أبو عشرين فوق الظرف أثناء حديثي مع المهندس وبعد إنتهاء قعدتي معه أترك صندوق السجائر وما تحته واودّع وأخرج كأنما قد نسيت الصندوق وما تحته. فإذا لم يلحق بي المهندس لإسترداد ما نسيته على مكتبه، اتأكد بأن صاحبنا مرتشي وهكذا نستمر في الدفعيات دون التحدث في الموضوع وبنفس الطريقة نتعامل معاونيه من الفنيين. اما صديقك يحي فعندما خرجت، وأنا سائر نحو سيارتي أخذ يصيح بإسمي بأعلى صوته وأرسل مراسلاته يركضون نحوي للعودة لأخذ أغراضي فعرفت من يومها أن صاحبك مش بتاع حاجات زي دي وتعاملنا على أحسن حال وحقوقنا مصونه"

المهندس يحيي عبد المجيد:

صديقي وزميلي منذ أن كنا في الثانوية وكنا في نفس الفصل في كلية الهندسة في الخرطوم وتخرجنا سويا والتحقنا بوزارة الري بعد التخرج وكنا في بعثة في بريطانيا حيث احرزنا عضوية جمعية المهندسين البريطانية وعدنا للعمل في أقسام الوزارة في التشييد وكان هو المهندس المقيم للقنطرة الرئيسية لترعة المناقل وبعد الإنتهاء من عمله عاد مرة أخرى لبريطانيا ودرس علم المياه في لندن وأحرز دبلوم في علم المياه من لندن (Diploma of Imperial College) D I C ثم عاد ليعمل في قسم مياه النيل في الخرطوم ثم أصبح عضوا يمثل السودان في الهيئة الدائمة المشتركة لمياه النيل المكونة من السودان ومصر

وبعد إنقلاب مايو واصطلاحي بوزارة الري رقيته لوظيفة وكيل وزارة الري بدلا من السيد صغيرون الذي نقلته إلى الخرطوم مستشاراً في مكتب الوزير ونقلت يحيى لواد مدني مقر وكيل الوزارة. وعملنا في تلك الفترة في إنسجام تام حتى وقوع إنقلاب هاشم العطا حين كنت في إجازتي في فيينا وعند تكوين الوزارة الجديدة استدعى النميري يحيى ليعينه وزيرا للري بدلا عني وكنت لا أزال خارج السودان وقد بقى يحيى وزيرا للري لعدة سنوات ثم أعفى وخرج ليعمل في الاستشارات الهندسية بمكتب أسسه حيث يعمل فيه حتى الآن. وعادت الأيام مرة أخرى وأنا أعمل مستشارا هندسيا في الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية وكنت مسئولا عن مشروع ري في السمال وتقدم مكتب المهندس يحيى بعرض للقيام بمهمة المهندس الاستشاري للمشروع في منافسة مع بيوت خبرة عربية وأجنبية وفاز عرضه وأوصيت بارساء العمل اليه. ومره أخرى علم أصحاب النفوس السيئة والمصالح من السنغاليين والأجانب الذين فشلوا في الحصول على القيام بالمهمة فجاءوا يقولون بأن صاحب المكتب السوداني الذي اختير هو صديق لمرتضى أحمد في تلطيخ اسمي وإبعاده ومرة أخرى جئت اليهم وقلت نعم هو صديقي وزميلي وهو خير من يقوم بهذا العمل وإذا لم يعجبكم ذلك فان الصندوق الكويتي سينسحب من تمويل المشروع وتمويل الخدمات الاستشارية وتأخر إرساء العقد عليه إلى أن تدخل الرئيس عبدو ضيوف وأشار على المسئولين بإنهاء الأمر والقبول بتعيين المكتب الاستشاري السوداني. وهكذا اضطلع يحيى عبد المجيد بالمهمة التي لازال يمارسها حتى الآن

المناقشة مع يحيى بخصوص الترقية للمجموعة الثالثة:

هنا يلزمني ذكر واقعة معينة وتأثيرها فيما بعد عندما خلت وظيفة في المجموعة الثالثة بترقية المهندس صغيرون الزين إلى المجموعة الأولى وكيلا للوزارة خلفا للسيد محمود جادين انحصرت المنافسة بيني وبين زميلي المهندس يحيى عبد المجيد والمهندس مزمل عبد الرسول وكنت واثقاً بأن الاختيار سيقع اما عليّ أو على زميلي يحيى لأننا كنا نتمتع بتقارير جيدة في الخدمة وبالإضافة كنا نحمل عضوية جمعية المهندسين البريطانية التي لم يوفق

المهندس مزمل في الحصول عليها وبما أني عملت مع مزمل في مدني لفترة طويلة أكثر من يحيى ثم أني كنت أعرف الكثير عن مشاكله ومعاناته في أنه أصبح في المؤخرة بالنسبة لزملاء دفعته محمود جادين وصفيرون الزين. رأيت أن نتعاون، أنا ويحيى، ونعطيه الفرصة للترقي في الوظيفة بانسحابنا من المنافسة وهذا ما دفعني لمقابلة يحيى في الخرطوم في منزله لاقناعه بالتنحي عن المنافسة مقنعا يحيى بأني وهو مازال المجال امامنا طويلا للعمل والترقي، بالإضافة إلى أنني كنت اعتقد بأن مزمل إذا تخطيناه أنا ويحيى ستحدث له صدمه نفسيه عنيفة ربما أدت لانهياره العصبي والنفسي تماما والحق يقال أن يحيى قد رفض اقتراحي بشدة وفي النهاية قبل على مضض قائلا لي "حتشوف حيجي يوم وتندم على فعلتك هذه" أذكر هذه الواقعة، لأن نبوءة صديقي المهندس يحي عبد المجيد برهنت على صحتها، وكان جزائي اللدغ المرة بعد الأخرى

السيد محمود جادين ومحاولاته ضمي لبطانته:

كان المهندس محمود جادين أول وكيل لوزارة الري من خريجي الجامعة ومن حملة الشهادات العالية في مهنة الهندسة وهو واحد من عدد قليل من الرعيل الأول للمهندسين الذين أكملوا دراسة الهندسة على المستوى الجامعي ثم بعثوا لانجلترا للحصول على عضوية جمعية المهندسين المدنيين والتي تعتبر أعلى شهادة في مهنة الهندسة في بريطانيا ومجموعة بلاد الكمونولث البريطاني وكان رجلا طيب المعشر وخجولا لحد ما وسهل الإتصال بالناس ومن حوله، وبطبيعته لا يستطيع أن يقول لا لأي طلب أو مساعدة تطلب منه وفي عهده في وزارة الري بدأ تنفيذ الأعمال الكبرى مثل مشروع المناقل وسدي الروصيرص وخشم القربة وغيرها من المشاريع الأخرى وكانت ميزانية وزارة الري أكبر ميزانية في التنمية في عهد الاستقلال ولهذا استغل الكثيرون طيبته وضعفه في الرفض لأي طلب حتى ولو كان يخالف النظم والقوانين فدفعوه لإرتكاب الاخطاء والمخالفات التي لا تسمح بها الإجراءات والقوانين المالية، ولهذا كنت ومعي فئة قليلة من المهندسين ذوي المؤهلات الهندسية العالية ضد اساليبه وعدم حزمه في تسيير العمل في الوزارة والحق يقال بأنه حاول ضمي

بكل الطرق والأساليب أن يكسب تأييدي ولا أقول ودي إذ أنني ومن معي كنا نودّه لطيب معشره ولكننا كنا نأخذ عليه أسلوبه في قيادة وتسيير الوزارة، وحتى في الأوقات التي كان الخلاف بيننا في أشد حالاته. كنا نتعامل بود وأدب. وحتى عندما أحيل إلى المعاش بعد التحقيق معه كان الجميع من كان معه ومن كان ضده يأسف له إذ أنه كان ضحية البطانة السيئة التي استغلته لتحقيق أغراضها للكسب الحرام. كان مأخذنا على المهندس محمود جادين ضعفه أمام التماسيح الذين كانوا من حوله، يعرفون فيه عذوبته ومسايرته حتى تجاوز الضوابط والموانع التي كان عليه أن يكون حارسها.

المهندس الالماني وفصل عاملين سودانيين:

كان المهندس المكلف من الشركة الالمانية بالموقع، أي الرئيس المباشر لجميع المهندسين والفنيين والعمال الذين يقومون بالتشييد، ويدعى الهر"فون فوتيه" رجلا متغطرساً فظاً مع العمال، بسبب جذوره الارستقراطية وتربيته النازية وكانت علاقتي معه متشددّة وفي حدود الرسميات كما كان مكروهاً ومرهوباً من جميع العاملين في الشركة من ألمان وسودانيين.

ذات يوم جاءني عاملان سودانيان يتظلمان منه لفصله لهما عن العمل بدعوى حدوث سرقة في مخازن الشركة جمع الهر"فوتيه" العمال وأمهلهم ساعة لتسليم السارق في حالة عدم تعاونهم سيفصل عاملين عن طريق القرعة. بعد الساعة المحددة جمعهم في صف واحد وطلب من السارق أن يتقدم. ولما لم يتقدم أحد أعلن أن الواقف الثالث والواقف التاسع في الصف مفصولين عن الخدمة هكذا! تعجبت من هذا الأسلوب وايقاع العقوبة بالأبرياء. واستدعيت الهر "فوتيه" إلى مكتبي.

عند استفساري منه، أخبرني بأن ذلك أسلوبه في العقاب كان يمارسه مع المقاومة اليونانية عندما خدم ضابطا في جيش الاحتلال الألماني باليونان أثناء الحرب العالمية الثانية كان عند اكتشاف مقتل جندي ألمان، يجمع أهل القرية لتسليم الفدائي الذي ارتكب الجريمة، وإلا اختار عشرة منهم بعين طريقته هذه واعدمهم بمرأى من الجميع قال لي أن الفكرة نجحت، إذ كان الفاعل يجد نفسه

مضطرا لتقديم نفسه بدل أن يقتل عشرة من أهله دون محاكمة. قلت له أولا لسنا في ساحة حرب وثانيا، هناك نظم وقوانين تحكم العلاقة بين المخدم والمستخدم، ولا تسمح له بفصل العاملين بهذا الأسلوب بالذات، وتحت ظروف اتهام بسرقة غير مثبتة ضدهما وبعد نقاش طويل، قبل بمنحهما مرتب شهر والاستغناء عنهما بحجة إلا حاجة للعمل لهما بمعنى آخر، أصر على أسلوبه في الفصل ولكن بطريقة قانونية وأردف قائلا بانه مسؤول عن انجاح عمله حتى ولو بوقوع بعض الظلم على الأبرياء، لأنه بهذه الطريقة وجدها يمكنه تحقيق النجاح المنشود لمهمته الصعبة. فلا غرابة أن ظلت علاقتي معه في توتر ومعاملاتي معه رسمية وصارمة.

حادثة المتفجرات وأبعاد المهندس الالماني:

بدأت حفريات أساس محطة سنار الكهرمائية تتعثر لوصولنا لأعماق فيها صخرة صماء من القرانيت. وبما أن الحفر يجب أن يكون بالأيدي، حيث أنه محظور استعمال متفجرات في هذه المنطقة حفاظا على سلامة السد، فقد بدأ برنامج الحفريات يتأخر وصرف المقاول يزداد. في عصر يوم أحد، عدت من اجتماع مع رؤسائي بمدني ورغم أن يوم الأحد هو يوم العطلة الاسبوعيه للأعمال بحكم كون الشركة المنفذة المانيه، وبالتالي خلو الموقع من العاملين والمهندسين، فقد فضلت المرور على الموقع لتفقد سير الأعمال ثم الذهاب إلى البيت لدى وقوفي بالموقع ومعاينتي حفريات الاساس صعقت بما رأيت من اسلاك التفجير المنتشرة على الصخور الصماء على أهبة التفجير، ولمحت الملاحظ الالماني المسؤول عن أعمال الحفريات، الهر "شين"، يتوارى هربا من الموقع جاريا باتجاه المكاتب

توجهت رأسا لمكتب مدير الشركة الهر "فاجنر" حيث وجدته برغم العطلة بمكتبه في حالة توتر شديد حيث كان الملاحظ التابع للشركة قد سبقني اليه سألته كيف ترتكبون هذه الجريمة، ومن الذي أصدر أمر التفجير؟ كنت على علم بالخلاف بين "فاجنر" النمساوي و"فون قوتيه" الالماني. كان "فاجنر" طيبا وديعا على النقيض تماماً من مساعدة الهتلري. لذا أردت الايماز له باعتقادي أن الأمر

صدر من "قوتيه" دون علم من "فاجنر" وبالفعل، لاقى ايمازي هوى فى نفسه ولم يتردد في تحميل المسؤولية لمساعده على الفور وجهته إلى استدعاء الملاحظ "شين" والطابعة الالمانية.

كان الملاحظ "شين" نمساوي الجنسية مثل "فاجنر"، ومثل جميع زملائه الملاحظين الالمان يكرهون الهر "قوتيه" لقسوته عليهم وغطرسته المعروفه لهذا، ما أن وصل الملاحظ "شين" حتى بادرته قائلا بالالمانية "لقد علمت من المدير "فاجنر" بأن الأمر بالتفجير المحرم بنص العقد، صدر اليك من المستر "قوتيه" على حين لم يكن للهر "فاجنر" سابق معرفة بذلك، هل هذا صحيح؟ تبادل الملاحظ "شين" النظرات مع مديره "فاجنر" والتفت إليّ قائلا: صحيح! فوراً أشرت على الطابعة الالمانية بالجلوس إلى آلة الرقن وأمليت عليها اعترافا باللغة الالمانية من "شين" بأنه قام بنشر أسلاك المتفجرات بأمر من رئيسه "قوتيه" وطلبت من الملاحظ التوقيع ففعل.

بعد ذلك امليت على الطابعة الالمانية اقراراً باللغة الانجليزية تفيد بأن "فاجنر" لم يكن على علم بذلك العمل المخالف لشروط العقد وطلبت منه التوقيع عليه ففعل وبعد استلامي للاقرارين امليت أوامري كتابة بوقف جميع الاعمال في الموقع، وحظر الدخول على جميع العاملين في الشركة وغيرهم إلى حين تعليمات أخرى، وطالبت "فاجنر" بتنفيذ الأمر فوراً بناء على سلطاتي في العقد لحدوث حالة طارئة تهدد سلامة الأعمال والاشخاص وابلغت رئاستي بما حدث طالبا أرسال خبراء مفرقعات من الجيش للموقع لتعطيل المتفجرات التي وضعت بالفعل في ثقوب الصخور على وشك التفجير

إنتشر النبأ عن طريق الاذاعة والصحافة، وتوقفت جميع أعمال تنفيذ المحطة بانتظار خبراء المتفجرات كما احيط العمل بالحراسة العسكرية المشددة ومنع أي شخص من الاقتراب إلى أن تم رفع المتفجرات بعد تفكيكها ثم استأنفنا العمل كالمعتاد بعد ايقاف "قوتيه" وأحكام الرقابة والسيطرة الكاملة في الموقع

قرار أبعاد "قوتيه" وتلقينه درساً ينفعه:

وجهت خطابا رسميا للهر "فاجنر" طالبا أبعاد الهر "قوتيه" من المشروع واعادته إلى المانيا جاءني عدد كبير من الالمان العاملين في الشركة راجين إلا اتراجع عن قراري جاءتني زوجته في البيت تؤكد لي بان الأمر صدر للملاحظ من "فاجنر" ولا علم لزوجها به وأن هناك مؤامرة عليه ولذا رأت تنويري بالحقيقة سالتها ولماذا لم يات زوجها بنفسه إذا كان الأمر كذلك؟ ردت بأنه شديد الاعتداد بنفسه. قلت لها: أن لم يحضر زوجك لي بالمكتب ليقدم وجهة نظره رسميا فلن استطيع مراجعة قراري والنظر في امكانية مساعدته قالت ستضغط عليه كي يفعل.

حضر إلى مكتبي في اليوم التالي واستأذن في الدخول كان معي بالمكتب لحظتها المهندس عبد الله محمد ابراهيم فاقترح بان "تنطمه" بالباب بعد قرابة نصف ساعة سمحنا له بالدخول كرر على مسامعي ما قالته زوجته بان المسئولية القيت عليه كيدا للتخلص منه قلت له أعرف ذلك سألني بدهشة إذن لماذا أمرت بطردي وابعادي؟ اجبته لكي القنك درساً ينفعك في حياتك أولا أعلم بأن جميع العاملين الالمان أخبروني بصورة أو أخرى بانهم لا يريدونك هنا ويتوسلون ألا اتراجع عن قراري بطردك ثانيا أنك تتباهى بانتمائك للجنس الآري وتنظر للناس جميعا باستعلاء وغطرسة. فأنت لا تخالط الملاحظين الالمان، وزوجتك تانف من ركوب السيارة التي تستخدمها زوجاتهم، وأنت عندما تتحدث عن السودانيين لا تشير اليهم إلا بكلمة السود (Die Schwarzen) وبعد كل ذلك التبجح بالعظمة وأدعاء الكبرياء تبعث بزوجتك إلى بيتي أنا الأسود لتتحدث معي في أمر يهمك في العمل. فاعلم أنني هذا الاسود الذي لا ينتمي للجنس الآري، لا تسمح لي تربيتي وأخلاقي قط، بان ابعث بزوجتي إلى أي رجل في الدنيا تستجديه لي مساعدة أو انصافا ودعني أعيد إلى ذاكرتك ما قلته لي يوم فصلت العاملين السودانيين لتعلم بانني بدوري المسؤول عن هذا العمل الكبير، ولكي احقق لنفسي فيه النجاح، فليقع الظلم عليك وأنت البرئ تطبيقا لمبدأك وعقيدتك - اليسا هما كذلك؟ احمرّ وجهه وهبَّ واقفا فجأة قاصدا باب مكتبي، ومن لحظتها لم تقع عيني عليه فقط، بعد فترة وصل إلى زوجتي مظروف من المانيا بداخله بطاقة عليها رسم كاريكاتوري بتوقيع زوجة الهر "قوتيه" التي

كانت تتقن رسم الكاريكاتور يصور رجلا أبيض على اكتافة رجل أبيض على اكتافة أخر وهكذا حتى يعلوهم جميعهم في النهاية رجل اسود يقطف الثمر من أعلى شجرة نخيل ومكتوب تحت الرسم "آخر الزمن وقيام الساعة" ولعلها كانت تعنيني بالأسود. اضحكنا الرسم بالرغم من أن زوجتي استشاطت منه غضبا في البداية.

ابعاد رئيس الكتبة (الباشكاتب):

كان يعمل بمكاتبي شاب وسيم من عائلة لها مكانتها في مدينة مدني ووالده طبيب مرموق كان هو أيضا معروفا بغروره وتعاليه استنادا لخلفياته العائلية ذات يوم كلفته بأداء عمل عاجل، وعندما تلكأ في أدائه عاتبته على ذلك فما كان منه إلا أن انفجر في وجهي ساخطا على المساءلة كانت دهشتي كبيرة لمسلكه الوقح فاصدرت له أمري كتابة بترك المكاتب فورا والبقاء بمنزله إلى أن يتم نقله لمكان آخر وبعثت إلى وكيل الوزارة السيد محمود جادين باشارة هاتفية، تتضمن قراري هذا وطلبي نقل الموظف غير المنضبط اتصل بي الوكيل هاتفيا يؤاخذني على ما اتخذت من إجراء طالبا السماح للموظف بالعودة إلى مكتبه حتى يتخذ القرار بشأنه ردت عليه فوراً بأنه لا سبيل إلى ذلك طالما كانت المكاتب تحت مسؤوليتي، وإذا شاء السيد الوكيل إلا بطول بقاء الموظف في البيت فما عليه إلا أن ينقله فوراً إلى حيث يقرر أصر الوكيل على طلبه بإعادة الموظف للمكتب قلت له، "طالما أنا رئيس هذه المكاتب فأنا صاحب القرار فيها أما إذا أردت أن تنفذ ما طلبته، فيمكنك أرسال قرار هاتفي الآن باعفائي فوراً من وظيفتي كمهندس مقيم لهذا المشروع، ولك بعدها أن تفعل ما تريد بالموظف وبمن يبقى ومن لا يبقى بالمكاتب" وإنتهت المحادثة

بعد فترة وجيزة وصل الأمر بنقل ذلك الموظف الذي لم تطأ قدمه المكاتب حتى ترك منزله وغادر وقد علمت فيما بعد أن السيد محمود جادين بعد إنتهاء محادثتي معه استشار مدير شؤون الموظفين السيد علي شمس الدين الذي نصحه بقانونية موقفي وألمح له بأنه "حسب ما هو معروف عن الولد أياه فلا تستبعد أن يكون زودها حبتين بما دفع إلى إتخاذ ذلك القرار القاسي" وهكذا

إنتهت هذه المجابهة التي ما كان لها أن تحدث أصلا لو أن كل طرف تبين بوضوح و مسؤولية ما له و ما عليه

أصابة زوجتي في حادث حركة واصابتي بمرض السكّر وميلاد ابني "حسن":

ذات يوم دعيت لحضور اجتماع لجنة مشروع كهربة سنار في الخرطوم وهي اللجنة الحكومية المشرفة عليه التي يرأسها وكيل وزارة الري وتضم عضويتها كلا من المهندسين ،لرشيد سيد أحمد المستشار لوزير الري، والمهندس المستر "باتي" مدير الإدارة المركزية للكهرباء والمياه، والمهندس محمد عبد الله قلندر مساعده وشخصي.

كنت متوجها للخرطوم بسيارة حكومية ومعي زوجتي وابني "سامي" الذي كان عمره انذاك أربع سنوات. وما أن بدأنا دخول المدينة وكان السائق قد تملكه الأرهاق تماما، حتى اصطدم بسيارة شحن كبيرة كانت واقفة على جانب الطريق. اصابت شظايا الزجاج الأمامي وجه زوجتي كله إذ كانت تجلس في مقعد أمامي، بينما كان ابني "سامي" معي في الخلف ولولا ذلك لقضى نحبه. أخذت زوجتي تصرخ بأنها لم تعد ترى وأنها فقدت بصرها. سارعنا بها لمستشفى الخرطوم وأدخلت فوراً غرفة العمليات واتضح أن نظرها سليم لم يتأثر، ولكن في الوجه جراحات كثيرة بما يستدعي إجراء عملية تجميل بعد شفاء الجروح كانت الصدمة النفسية قاسية عليّ أدت فيما بعد لاصابتي بمرض السكر. ولكن وكما يقولون رب ضارة نافعة. فقد أصرت زوجتي بعد شفائها وكان وجهها لا يزال مشوها، على أنها تستحق تعويضا من الحكومة صاحبة السيارة التي تسببت في الحادث، وكنت أرى من جانبي أننا في السودان نعتبر مثل ذلك قضاءاً وقدراً فلا نطالب بتعويض عنه. رفضت التخلي عن حقها، لذلك رفعنا دعوى ضد الحكومة مطالبين بالتعويض. تمت المحاكمة وثبت الاهمال واحيلت الدعوى لديوان النائب العام الذي قرر بعد مشاورات مع جهات الاختصاص وبعد الفحوص الطبية دفع تكاليف السفر وإجراء الجراحة التجميلية في الخارج على أن ينظر بعد عودتها للسودان في الجانب الثاني من الدعوى وكنا نطالب بثلاثة الاف

جنيها تعويضا عن المعاناة النفسية والتشويه الذى سيبقى بالوجه. بعد حوالى ثلاثة أشهر رجعت زوجتى ولم أصدق عينى. فقد عاد وجهها على ما كان عليه من قبل لا سيما إذا وضعت عليه مسوحات الوجه النسائية. هذا ما أدى إلى تخفيض ما كنا نطالب به من تعويض، إذ حكم لنا بمبلغ ثمانمائة جنيها فقط

حمدنا الله على أية حال إذ ساعدنى ذلك المبلغ برغم تخفيضه فى دفع الجزء الأكبر من قيمة الأرض السكنية التى اشتريتها فيما بعد فى المزاد الحكومى المقفل وشيدت عليها منزلى الكائن فى شارع ٢٥ من إمتداد الخرطوم الجديد. ليس ذلك فحسب، بل منّ الله علينا بعد ذلك بميلاد أبنى "حسن" الذى أسميته كذلك تيمنا بصديقى منذ الصغر السيد حسن عبد الله هاشم الذى شغل فيما بعد منصب محافظ مشروع الجزيرة.

كانت زوجتى تصر على أنها ستلد بنتاً وهيأت نفسها وأعدت ملابس مولودها المرتقب على ذلك. ثم سافرت إلى الخرطوم للوضع فى مستشفى للولادة هناك. وقبل أيام من الولادة رأيت فى منامى بإنها وضعت ولداً وأن أسمه سيكون "حسن". فاخبرتها فى يقين بأن الأمر سيكون كذلك بإذن الله، ولكنها اعتبرت ذلك اضغاث أحلام إلى أن تمت الولادة وتحقق ما رأيته فى المنام وكان ذلك فى السادس والعشرين من شهر مايو عام ١٩٦٢

دعوتى لزيارة المانيا ، ومشكلة المهندس عبد الله محمد ابراهيم مع المقاول وبناء منزلى بإمتداد الخرطوم الجديد:

وصلتنى دعوة من رئيس الشركة الالمانية سيمنز باويونيون لزيارة الشركة فى المانيا والتعرف على المشاريع التى كانت تنفذها فى المانيا وبخاصة تلك المشابهة لعملهم فى سنار. والتزاما بالمبادئ واستقامة التعامل بينى وبين الشركة، احلت الدعوة للسيد محمود جادين وكيل وزارة الرى، لإتخاذ ما يراه مناسبا. فما كان منه إلا أن أتصل بى هاتفيا عاتبا على تحويلى الدعوة اليه بخطاب رسمى ومضيفا "خليك من الرسميات. أمشى واعتبرها أجازة فى أوروبا بعد تعبك فى الشغل والمطلة" رددت عليه "لا يامحمود هذه دعوة رسمية ولابد أن يرد عليها رسميا بقبول أو رفض. غدا سيقال أن مرتضى رشته الشركة

الالمانية حتى يتساهل معها فى الرقابة ويغمض عينه عن اخطائها لا يامحمود أنا أومي من ذلك إما الذهاب بموافقة الحكومة رسميا أو لاذهاب" رد بأنه في هذه الحالة سيرفع أمر الدعوة للوزير لإتخاذ ما يراه. وبالفعل تمت الموافقة الرسمية.

سافرت لالمانيا ووقفت علي الكثير من الأعمال المشابهه لمحطة سنار وبينما انا هناك علمت بأن أزمة نشبت في موقع العمل بسنار قال لى رئيس الشركة بانهم تلقوا خبرا من الخرطوم بأن المهندس عبد الله محمد إبراهيم مساعدى والقائم بأعمال المهندس المقيم، قام بتكسير أعمال خرسانيه اعتبرها غير مطابقة للمواصفات وتصدى هو وملاحظوه لخلط الخرسانة حسبما يرونه الأصح وقاموا بصبها فى المكان الخاص بها، ومهندسو الشركة وملاحظوها من الالمان واقفون ينظرون. قال لى أن شيئا كهذا لم يحدث للشركة من قبل قط فى أى مشروع تولته سواء فى المانيا أو خارجها. أجبته بأننى أولا فخور بذلك وأنني ثانياً واثق تماماً من كفاءة المهندس عبد الله ومعاونيه وقدرتهم على إنجاز ما تصدوا له على أصح وجه ولا أشك قط أنكم ستتفقوا معنا. وصلتكم المعلومات كاملة ستجدون جماعتي على حق، تدعمهم نصوص العقد التى أرتكزوا عليها عندما أتخذوا قرارهم ذاك

بعد فترة جاءت التقارير تؤكد قانونية وسلامة الاجراء الذى أتخذه المهندس عبد الله وجاءت نتائج مختبر الخرسانة تؤكد النقص فى القوة الخرسانية التى كسرت، ومطابقة قوة الخرسانة التى خلطها وقام بصبها المهندس عبد الله ومساعدوه. وقد كان ذلك يوما عظيماً فى حياتى وأنا فى الغربة بين كثيرين ممن كانوا ينظرون إلينا بأننا لازلنا تحت التدريب

عدت للسودان لمواصلة عملى فى المحطة كنا فى تلك الفترة قد بلغنا القمة فى حسن السمعة المهنيه، وتدفق سيل الزوار لموقع أعمال المحطة من رجال الصحافة، ومن طلبة كلية الهندسة بجامعة الخرطوم، والسفراء والوزراء وغيرهم، وأيضاً من زملائنا المهندسين فى الوزارات المختلفة. وفى هذه الفترة أيضاً خططت حكومة الفريق عبود أمتداد الخرطوم الجديد، وأعلنت بيع جزء منه فى المزاد المقفول لموظفى الحكومة فرأيت الاشتراك فى هذا المزاد للحصول على قطعة أرض بسعر معقول، وبالفعل سافرت إلى الخرطوم لهذا الغرض

في اليوم الأول لم أستطع فتح فمي، فالأسعار كانت فوق استطاعتي وفي المساء هاتفت زوجتي بسنار أخبرها بأني عائد إليها في أبعد بخفي حنين لأني لا أملك المال الكافي ولكن من حسن حظي أن كان في زيارتها في تلك الساعة آل حميدة، أحبائي وأصدقائي فما كان من الأخ حامد حميدة إلا أن التقط سماعة الهاتف وخاطبني قائلاً "لا يا مرتضى لا ترجع، اشتر الأرض وسأقرضك الفرق لتسدده لي بالتقسيط" هكذا بقيت منافساً في المزاد واشتريت القطعة التي في شارع ٢٥ بحوالي ألف جنيه، مستديناً ما احتجت إليه من آل حميدة ليس ذلك فحسب بل وقام السيد محمد علي حميدة ببناء البيت، كما تشير بذلك الوثيقة المنشورة مع هذه المذكرات. ولن أنسى لآل حميدة عطفهم وفضلهم عليّ، جزاهم الله عني في الدنيا والآخرة خير الجزاء

ومن الطرائف أثناء بناء بيتي، أن قلّ التمويل ذات مرة واحتجت لدعم أضافي لمواصلة البناء قلت لزوجتي المسيحية مارجريت "ياعزيزتي لماذا لا تسلمي فتقبل علينا الدنيا وتسعي ليك الجنة سألتني وكيف ذلك؟ أجبتها "تذهبي معي يوم الجمعة إلى الجامع الكبير وبعد الصلاة أقودك إلى المنبر، فتشهرين أسلامك كما يفعل بعض أخواننا من الجنوب، وحينئذ تتدفق عليك التبرعات من أهل الخير من المصلين بهذه الطريقة نجد ما نحتاج إليه لبناء بيتنا في الدنيا، وتأتين اليّ في الآخرة وأنا في الجنة" فردت بانفعال وكأنني كنت جاداً فيما اقترحته "اذهب إلى الجحيم أنت وبيتك في الخرطوم كفاي عشرتك في الدنيا، أما الآخرة ومن الذي سيدخل جنتها فعلم ذلك عند الله وحده" وقتلت بذلك حلّي الاسلامي لمشكلة أتمام بيتنا

حادث الطائرة التي سقطت خلف الخزان:

عندما تقدمت الاعمال في بناء المحطة جاءني مهندس التركيب المنتدب من الشركة الانكليزية للكهرباء ENGLISH ELECTRIC الموردة للمولدات، وذكر لي بأن له صديقاً استرالياً قائداً لاحدى طائرات رش المبيدات قابله في أستراحة الري حيث يقيمون قَبِل أن يحملنا في طائرته ويحلق بنا فوق الموقع على أرتفاع منخفض بحيث نتمكن من التقاط صور للمحطة التي كنا نشيدها، كان الموعد

المتفق عليه لذلك، الساعة الثالثة من عصر اليوم التالي. قلت له ساكون صباح الغد في رئاسة وزارة الري بمدني، ولكنني ساعود لسنار قبل الموعد المحدد حيث أتوجه مباشرة للمطار حيث ستقلع الطائرة

من حسن حظي تدخلت عوامل جعلتني لا أصل للمطار بسنار إلا متأخراً بنصف ساعة فوجدت الطائرة أقلعت بعد يأسهم من حضوري فما كان لي إلا أن أذهب للموقع راساً هناك وجدت كل العاملين في المشروع يتابعون بنظراتهم تلك الطائرة الصغيرة ذات المحرك المروحي وهي تطير على أرتفاع منخفض ويلوحون لراكبيها في أعجاب وسرور وقفت معهم أتابع، وحين أستدارت الطائرة عائدة من الضفة الاخرى، وأصبحت فوق رؤوسنا، رأيت زميلي المهندس يلوح ويحرك يديه كمن يسالني "أين أنت؟" رددت التحية ملوحاً بابتسامة وأنا أتحسر لسوء حظي الذي فوت علي الفرصة وما أن أتجهت الطائرة مرة أخرى في تحليقها المنخفض نحو الضفة الاخرى، ونحن نتطلع إليها حتى رأيناها تهوى فجاة وباندفاع شديدة لتختفي في لحظات تحت الماء في وسط النهر بمقربة من الخزان

لم نصدق أعيننا، وظللنا نتوقع ظهور الطائرة أو من كان فيها هكذا مرت اللحظات والدقائق ونحن مشدودو الانظار إلى تلك الرقعة من الماء حيث أختفت الطائرة وأنتهى الأمر بعد ذلك تمت الاتصالات والاجراءات وعلم السودان كله بالحادث الذي صار موضوع الصحافة والمجالس وجاء الغطاسون باجهزتهم ومعداتهم لينشلوا الطائرة من قاع النهر كانت الجثتان في مقعديهما، والايادي قابضة بالغطاء الزجاجي فوق رأسيهما، في محاولة يائسة لتحريكه بأمل الخروج من الطائرة كان منظراً فظيعاً ومحزناً للغاية فحمدت الله إذ لم يكن قدري الرحيل بتلك الصورة فالسعداء من يودعون الدنيا وقد أدوا رسالتهم كاملة، ولم يعد لهم سبب واحد جدير للبقاء فيها يغادورنها في سهولة ويسر، بمثلما دخلوها أول مرة دون طلب أو علم.

زيارات الموقع وافتتاح المحطة:

كان مشروع محطة خزان سنار واحد من أهم المشاريع الكبرى للري في ذلك الوقت فقد شارف تنفيذ مشروع المناقل الانتهاء، بينما مشروع خزان خشم

القرية في مراحله الأولى. وكانت كل هذه المشاريع الكبرى في خطة الدوله للتنمية تمول من الخزانة العامة ومن موارد الدولة الذاتية، ولم نكن نعرف وقتئذ البنك الدولي، أو ما يسمى بمؤسسات التنمية الدولية أو الاقليمية. لهذا كان يطل علينا في الموقع من وقت لآخر السفراء المعتمدون في الخرطوم ورؤساء الدول الذين يؤمون بلادنا في زيارات رسمية من حين لآخر، أذكر منهم الرئيس السوفيتي برزنيف والامبراطور هيلاسلاسي الذي حضر الافتتاح الرسمي للمحطة. وكانت لي في بعض هذه الزيارات طرائف ومواقف شتى خذ مثلاً ما حدث لي مع سفير صاحبة الجلالة البريطانية الذي جاء لزيارة أعمال المحطة، وأيضاً للصيد في غابات نهري الدندر والرهد. استقبلته بصحبه مفتش مركز سنار السيد الفاضل الطاهر، وعرّفته بما يدور في الموقع مع المعلومات الوافيه حولها. وفي مساء نفس اليوم ذهبت لحضور حفل عشاء ساهر في منزل المفتش احتفاءً بسعادة السفير. هناك ضمتنا أمسية سودانية ممتعة، كل مدعو بجانب الانس من على جواره، يحتسي ما يحلو له من حلال أو حرام. فجأة سمعت السفير الذي كان يتحادث مع زوجتي بصوت عال نبه إليه جميع الحاضرين قائلاً "يا سيد مرتضى، علمت بأن فاطمة أحمد أبراهيم شقيقتك" أجبته "أجل، وهي نعم الشقيقة، وأنا فخور بها" رد بانده‍اش لما سمع مني قائلا :أنها شيوعية وينبغي أن تشعر بالعار منها" باغتني بهذه الاهانة التي لم أكن أتوقعها قط ساد التوتر الحاضرين وتوجسوا شرا وبخاصة مضيفنا لما يعرفونه من حدتي والحق، لقد أرتج عليّ، فأخذت أفكر بسرعة فائقه بما سافعله بالخواجة وأساليب الانتقام المشروع شتى، بينما العيون معلقة بي والاذان مرهفة. نهضت واقفاً . قلت: ياسعادة السفير لابد أنك فقدت وعيك من السكر فصرت لا تعي ما تقول بما أنني واحد من الذين دعوا هنا لتقضي وقتاً طيباً بوصفك ممثلاً لبلد صديق، وبما أنك وبكل أسف بسبب فقدانك الوعي هبطت إلى الحضيض، لم يعد لي ولا لزوجتي سبب للبقاء هنا مع الاعتذار لصاحب الدار الكريم" وانسحبنا فوراً دون وداع.

في صبيحة اليوم التالي أتصل بي مفتش المركز ينقل إلي اعتذار السفير ورغبته في زيارتي بالبيت بعد عودته من الصيد ليقدم لي أعتذاره شخصياً رفضت، حيث ما من صلة لي به، ولا أريد أن أرى وجهه ثانية. بعد عودة السفير

من الصيد حمل لي سائقه دجاجا بريا "دجاج وادي" وخطاب أعتذار منه. وبعد مدة أخبرتني شقيقتي بأن السفير البريطاني زارها في منزلنا المتواضع بحي العباسية بمدينة أم درمان، وقدم لها أعتذاره لما بدر منه في تلك الليلة، طالبا منها إبلاغي أعتذاره الشديد.

كما أذكر زيارة السفير السوفيتي للمحطة حيث رحبت به واطلعته على ما يجري من أعمال. كان بصحبته موظف منتدب من وزارة الخارجية السودانية. أختلى بي الموظف عندما سنحت فرصة واخبرني بانه في الحقيقة رجل مخابرات مكلف بمراقبة السفير وذلك لأن لديهم معلومات بأن الحزب الشيوعي السوداني يعاني من شح في الموارد المالية، ومن ثم رؤي تشديد الرقابة على جميع أعضاء السفارة السوفيتية لكيلا يتمكنوا من أيصال أموال للحزب. لهذا فهو لن يترك للسفير ومن معه فرصة للافلات من رقابته المحكمه. بعد قليل وأثناء انفرادي مع السفير في مكان ضيق في مبنى المحطة اشرح له بعض المعلومات الفنية، قال لي السفير بصوت هامس ملئ بالتهكم "الدين في الخرطوم أرسلوا معي مراقبا من المخابرات باعتباره دبلوماسيا من الخارجية يساعدني في الزيارة، لأنهم يعتقدون بأنني أنوي إيصال أموال للحزب الشيوعي، وأنني لم أجد فرصتي لذلك في الخرطوم كلها، ولذا أصطنعت هذه الزيارة ليخلو لي الجو. ولكنهم ينسون أن بلدكم أكبر بلد في أفريقيا، وفيه من الاماكن حول الخرطوم وغيرها ما يسمح بأقامة مسكن لمتسللين من بلاد أخرى دون أن يفطن المسؤلون عندكم لسنوات بأنهم أغراب" وابتسم في استهزاء.

أخيراً جاء الافتتاح الكبير لبدء التشغيل. جاءنا الرئيس الفريق إبراهيم عبود بصحبة ضيفه الكبير الامبراطور هيلاسلاسي وكبار المسؤولين والضيوف، أقلهم قطار خاص إلى سنار لافتتاح أول مشروع من نوعه في السودان. أحتشدت جماهير أهالي سنار وما جاورها للترحيب. وحين وصل الركب الموقع، أستقبلهم وزير الري آنذاك السيد مكي المنا، ووكيل الري السيد حادين، وشخصي. تم قص الشريط التقليدي وأزيحت الستارة عن اللوحة التاريخية المحفورة عليها أهم

المعلومات عن المحطة وأسماء المهندسين الذين أشرفوا على إنشائها، وكان على أن أقود الضيفين الكبيرين لتفقد معالم المحطة، وأنا بينهما لأشرح وصلنا إلى درج يتطلب الحذر، فتعثرت قدم الفريق إبراهيم عبود وكاد ينكفئ، فأمسكت بذراعه وساعدته على النهوض. فإذا به يهمس في أذني شاكياً "أتعرف يا أبني، مصيبتي الإمة (بكسر الالف الثاني كما في النطق السوداني البلدي) ال ماشيه دائماً وراشي" وكانت تلك "الإمة" اعضاء مجلس الثورة والوزراء والكبارات وما إلى ذلك ممن يتبعونه ويحيطون به دائماً فقد عُرف عنه رحمه الله، بأنه كان رجلاً متواضعاً سمح الخلق، لم تستطع سلطة أجبر على استلامها، النفاذ إلى رأسه لتملأه زهوا وتكبراً، بحيث يتوهم بأنه رب العباد الاعلى كحال كثيرين ابتلانا الله بهم وكان المدير الالماني لشركة سيمنز الهر "فاجنر" يردد كلما نظر إلى صورة الرئيس الفريق عبود المعلقه داخل دواوين الحكومة بأنه "لا يشبه الدكتاتور العسكري قط"

هكذا أنتهت أربع سنوات من حياتي في سنار الطيبة خرجت منها نجماً لامعاً بين زملاء مهنتي في الوزارة وخارجها فقد حققت نجاحاً كبيراً فيما تحملته من مسؤولية عظيمة وأديته من عمل كبيرساعدني في كل ذلك إخوة وزملاء مقتدرون فلم اسقط من فوق خزان سنار منتحراً كما هددني وزير الري السابق اللواء أحمد عبد الله حامد، الذي أعفي من منصبه في تعديل وزاري قبل زمن من إنهاء العمل وافتتاح محطة التوليد الكهرمائي غير أني لن أنسى الثقة التي أولاني أياها والتشجيع الحار، من رؤسائي الذين يتهيبون تحمل المسؤولية



حفل إفتتاح محطة كهرباء خزان سنار وفي الصورة الامبراطور هيلاسلاسي والفريق إبراهيم عبود وسفير أثيوبيا في الخرطوم والمهندس المقيم مرتضى

عودتي إلى الرئاسة (١٩٦٣ - ١٩٦٧):

عدت إلى مدني لأضطلع بمهمة جديدة في أقسام الإنشاءات وصدر قرار بنقلي إلى مشروع خزان خشم القربة الذي سيستفاد منه في توطين المهجرين من النوبة السودانية التي ستغمرها بحيرة السد العالي. كان المقاول شركة "تورنو" الإيطالية، والمهندس المقيم شركة "سوغريا" الفرنسية، ويمثل الوزارة في الموقع جهاز برئاسة المهندس "ي ع" لكنني رفضت نقلي إلى هناك مساعداً لهذا المهندس، وفي مقابلة أوضحت للوزير السيد مكي المنا أسباب رفضي.

لم تكن لي سلطات محددة مع المهندس "ي ع" الذي يمثل صاحب العمل في

الموقع إذ ليس له هو نفسه ما يقوم به غير الموافقه أو الاعتراض على ما يرفع إليه. فليس لصاحب العمل حق التدخل في الاعمال سواء من الناحية الفنية أو الناحية التعاقدية وثانياً كانت الشائعات عن الفساد الجاري في خشم القربه حديث البلد. وأعربت عن اعتقادي بان الاخ الوكيل اراد التخلص مني لما بيننا من خلافات فإذا ذهبت فانا ذاهب إلى داهية. فاما أنغمست في الفساد كالآخرين بما يسكت صوتي ويكبت جرأتي وأقدامي. وأما اشعلتها حرباً على الفساد والفاسدين بما يمكن أن يؤدي حتى إلى أغتيالي في منطقة حدودية كل شئ فيها وارد. لذا طلبت منه الغاء نقلي وابقائي بمدني إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا. ولما كان السيد مكي المنا رجلاً أميناً، وكان استاذي في مادة المساحة بكلية الهندسة، فقد تفهم موقفي ووافق على ذلك

ترقيتي لوظيفة مساعد الوكيل:

كنا دائماً يحي وأنا نترقى معاً لتصادف وجود وظيفتين في نفس الوقت. ولكن هذه هي أول مرة نتنافس فيها على وظيفة واحدة خالية. جاءني الوكيل السيد جادين قائلاً "هذه المرة وظيفة واحدة إما لك وإما لصديقك فماذا أنت فاعل؟ " أجبته. "ليست هناك مشكلة قط فأنا وصديقي لا نشارك في الاختيار. وثق، إذا جاءت النتيجة اختيار يحي فسأكون أول المهنئين وسيشرفني أن أعمل تحته، إذ أنا أعلم الناس بمقدرته وكم من مرة عملت تحت رؤساء أجهل مني. على الاقل، إن كنت ساعمل "تحت صديقي يحي، فسأكون أحسن حالاً" خرج مستغرباً إذ أن العلاقة بين زملاء الدفعة الذين يعملون في نفس المرفق تتسم غالباً بالتوتر وتشوبها روح التنافس والتحاسد المرير مما يغري رؤساءهم بالاستفادة منها.

تم أختياري من قبل لجنة الخدمة المدنية لهذه الوظيفة في المجموعة السادسة مساعداً للوكيل مسؤولاً عن الانشاء والتعمير فقمت بتنظيم هذا القسم وذلك بتكوين لجان لها كل الصلاحيات في التخديم، وفي توزيع المقاولات الصغيرة التي لا تخضع لاجراء المناقصات المفتوحة كل ذلك لدرء القيل والقال، ومحاربة المحاباة والوساطات

أكتشافى لملاحقة الوكيل لى فى الخفاء:

بعد ترقيتى تلك أصبح من حقى الاطلاع على الملفات السرية المحتفظ بها فى خزانة وكيل الوزارة ذات يوم وأنا بصدد إتخاذ إجراء فى موضوع هام أحضر لى الملف السرى. وأثناء استعراضى للمكاتبات ذات الصلة بموضوعى، وجدت عدة وثائق تتناول موضوع المتفجرات التى اكتشفتها فى موقع حفريات محطة كهرباء ستار نتيجة ذهابى للموقع فى يوم عطلة، وما كان من إبطالها. عند حدوث هذه الواقعة (المتفجرات) كان الوكيل متغيباً فى أوروبا ولدى عودته وجه خطاباً سرياً للوزير يطلب فيه تكوين لجنة للتحقيق معى فى الموضوع للتأكد مما إذا كان هناك أهمال أو تقصير من جانب المهندس المقيم، أى شخصى. جاءت لجنة من الوزارة وحققت فى الموضوع من أوله لآخره وتوصلت إلى أن ما قمت به كان صوابا وليس هناك ما يستوجب المؤاخذة لم يقتنع الوكيل بل طلب مرة أخرى من الوزير تكوين لجنة من خارج الوزارة لعدم أقتناعه بما توصلت إليه اللجنة المصلحية فكان له ما أراد وكونت لجنة من خارج الوزارة ترأسها المهندس المرحوم محمد عبد الله قلندر وضمت مهندسين من الاشغال والسكك الحديدية وجاء تقرير هذه اللجنة مؤكداً حسن تصرف المهندس المقيم وأذكر حين جاءتنى لجنة التحقيق الثانية هذه، أن اتصلت بالسيد جادين مستفرباً وسائلاً عن مبررات أرسال لجنة تحقيق جديدة. فاجابنى بأن ذلك بتوجيه من السيد الوزير لعدم أقتناعه بما خلصت إليه اللجنة المصلحية مع ذلك لم يتوقف بعث بخطاب للنائب العام يرفق به تقرير لجنة المهندس قلندر، طالبا منه التحقيق فيما إذا كان هناك تقصير إدارى أو قانونى فى تصرفات المهندس المقيم. رد النائب العام نافيا حدوث شئ كهذا فى نظره. إما إذا كان لوكيل الرى شك بأن المهندس المقيم أرتكب خطأ من الناحية الفنية، فهذا ما على الوكيل نفسه أن يقرره بصفته رئيسه الفنى. وهكذا باءت بالفشل جميع محاولات الوكيل لتجريحى.

بلغ منى الغضب أشده فما كان منى إلا أن ضممت تلك الوثائق معاً فى الملف وأرفقتها بقصاصة كتبت عليها أهكذا كنت تكيد لى من وراء ظهرى ولكن من حفر حفرة لأخيه لابد واقع فيها ذات يوم بعثت بالملف والقصاصه إليه كعادته وكأن شيئاً لم يكن، أرجع الملف إلى مكانه بعد أن ازال عنه قصاصتى تلك.

قرار الحاكم العسكرى بعدم استعمال عربات الدولة للأغراض الخاصة:

ذات يوم جاءني إبني سامى التلميذ بالمدرسة الاوليه شاكياً فعلى أثر قرار من الحاكم العسكري للنيل الازرق بمنع إستخدام عربات الحكومة في اغراض خاصة التزمت به كلية، صار يقطع أكثر من خمسة كيلو مترات مشياً بما يضيع منه وقتاً طويلاً وجهداً. سألني لماذا يستمر أولاد الوكيل ومدير المديريه والحاكم العسكري وغيرهم في التنقل بعربات الحكومة وهو الوحيد الذي يطبق عليه القرار وحيث تأكدت بنفسي من صحة ما قاله أمرت سائقي باستئناف إيصال ابني للمدرسة وإرجاعه في نهاية يومه الدراسي.

بعد بضعة أيام قبضت الشرطه المكلفه بمراقبة تنفيذ القرار على سائقي واستفسر مكتب الحاكم العسكري من وكيل الري عن أسباب مخالفة القرار وبدوره استفسرني فطلبت منه أن يبلغ الحاكم العسكري بأنني لن اطبق القرار حتى يُطبق على الجميع دون استثناء وما كان من الحاكم العسكري إلا الدعوة لإجتماع بمكتبه ضم مدير المديرية ووكيل الري وشخصي سألني عن دواعي اصراري على عدم تنفيذ قراره أوضحت له ألا فرق بين شروط خدمتي وشروط خدمة وكيل الري وغيره من كبار الموظفين في مدني بما فيهم هو فإذا صدر قرار يحرمني من توصيل إبني إلى مدرسته وبيتي بعيد عنها ولا أملك سيارة خاصة بينما سيارات الحكومة تنقل أبناء الاخرين فلن أنفذ القرار وأنا على استعداد للذهاب إلى اي محكمة لأخذ حقي رد الحاكم العسكري بان شروط خدمته في الواقع تعطيه هذا الحق وأما الآخرين فلا حق لهم. قلت له ليطبق القرار على الآخرين وعندها سألتزم بقرارك وهكذا توقف الجميع وأنا معهم عن الاستخدام الخاص لسيارات الدولة.

ثورة أكتوبر ١٩٦٤ وجبهة الهيئات بمدني:

في اواخر اكتوبر ١٩٦٤ جاءني ذات مساء بمنزلي الأخ الدكتور فاروق محمد إبراهيم ولم أكن أراه لفترة طويلة لانشغالي صباح مساء بالعمل في مكتبي. والدكتور فاروق عالم وخبير كان وقتها بمصلحة الابحاث الزراعية التي

تسميها " التجاريب" ينتمي لعائلة عريقة ومحافظة ذات صلات بآل المهدي وحزب الأمة الا أنه كان عضواً قيادياً في الحزب الشيوعي السوداني المحظور والدكتور فاروق محمد إبراهيم من المثقفين السودانيين الذين عرفوا بشجاعتهم واقدامهم والتزامهم بمبادئهم التي اعتنقوها من أجل مصلحة الشعب وقضايا المسحوقين لا بسبب انتهازية أو مطمع أناني. وبعد التحية أخبرني بما حدث في الخرطوم من مظاهرات في الجامعة ومقتل الطالب "أحمد القرشي" في حرم الجامعة ومسيرة القضاة والمحامين وعلى رأسهم رئيس القضاء السيد بابكر عوض الله وغير ذلك من أحداث لم أكن أتابعها ثم أخبرني بأن الاحزاب والهيئات أصدرت قراراً بالدخول في اضراب سياسي مفتوح حتى يزول النظام العسكري.

استفسرت عما يعنيه بالاضراب السياسي، فقال لي أن يتوقف العاملون في القطاع العام والخاص عن العمل، ويعتكفوا في بيوتهم إلى أن نسقط حكومة العسكر فالمؤسسة العسكرية لا تنتج ولا تؤدي خدمات اجتماعية، بل عليها فقط حماية البلد إذا هدده خطر خارجي لهذا إذا توقف الانتاج وتوقفت الخدمات فسيموتون جوعاً أو يستسلمون، إذا لم يدب الخلاف بينهم وهو أمر وارد قال لي لهذا أريدك أن تتصل بمهندسي الري وتطلب منهم التوقف عن العمل وأنا أعلم مكانتك لديهم"

قلت له "يا فاروق، أنا مضرب من هذه اللحظة ومعتكف ببيتي لأني "قرفت" من العمل والفساد اما أن أحرض الآخرين فهذا ليس من شأني، بل مسؤولية الحزبيين والسياسيين والنقابيين وإذا كان من جماعتكم مهندس في الري فاتصلوا به ليقوم بما تريدون تنفيذه" هكذا بقيت في البيت.

في اليوم التالي أتصل بي السيد محمود جادين يسألني عن سبب تغيبي فقلت له "أنا مضرب احتجاجاً على ما حدث في الخرطوم، وسأظل حتى يذهب العسكر" وهكذا توالت الاضرابات وانتشرت في مرافق الدولة وغيرها ثم جاءني فاروق محمد إبراهيم مرة أخرى يطلب إلى الحضور لاجتماع جبهة الهيئات التي كونها المضربون في مدني. فوجدت فيهم الكثيرين من مختلف وزارات الحكومة والهيئات التي في المدينة وعينت ممثلاً لوزارة الري في قيادة جبهة الهيئات في مدني وحين أستلمنا برقية من عمال سنار تقول "إستلمنا

السلطة واعتقلنا البوليس" أقدمنا على الاستيلاء الكامل لكل مظاهر السلطة فى مدني وسيطرنا على المرافق العامة ووزعنا المسؤوليات فيما بيننا.

وكانت أول مهمة قمت بها مع اللجنة حين سقطت السلطة بمدينة واد مدني عاصمة محافظة النيل الازرق في ايدينا، قصدنا حاميتها العسكرية لتسلمنا سلاحها ولكن الضابط المسؤول عنها أجاب بأنه لن يسلم سلاحه لأحد، ولكنه يلتزم بأن يبقى هو وجنوده فى ثكناتهم و لن يتحرك لضرب أحد حتى ولو صدرت إليه الأوامر من الحاكم العسكري. ومن ثم اتصلنا بالحاكم العسكري نطلب منه البقاء فى منزله، ووافق على ذلك هو الآخر.

بدالة الهاتف والحاكم العسكري:

فى اليوم التالى احضر العاملون ببدالة الهاتف التابعة لمصلحة البريد والبرق والهاتف بمدني تسجيلا لمحادثة بين وكيل الري والحاكم العسكري، ينقل فيه الاول للثاني ما دار بيني وبينه حول غيابي عن العمل ثم تسجيلاً آخر بين الحاكم العسكري وقمندان شرطة مدني يطلب فيها الحاكم العسكري على ضوء المحادثة الأولى القبض عليّ ولكن قمندان الشرطة نصحه بأنني موظف كبير وربما أثار أعتقالي لغطاً وشغباً وتحركات بين العاملين بوزارة الري وغيرها ويفضل أنتظار هدوء الأمور ثم إتخاذ اللازم ضدي وافقه على ذلك الحاكم العسكري.

والحمد الله لم تهدأ الأمور، بل تفاقمت وعم الاضراب جميع المرافق ولم تعد السلطة فى يد الحاكم العسكري. لا، بل ها هو يطلب ايصاله هاتفياً مع أهله الذين بالقاهرة وموظفو الهاتف يطلبون رأى الجبهة. طلبت إيصالي به فكرر الحاكم العسكري طلبه بالسماح له بالاتصال الخارجي قلت له ياسيد حسين، سبحان الله مغير الاحوال بالأمس فقط كنت تطلب أعتقالي واليوم تطلب مني السماح لك بخط خارجي؟ أسف فقد قطعنا كل أتصال بخارج السودان حتى تسقط الديكتاتوريه العسكرية في الخرطوم وأغلقت الخط

مداولات جبهة الهيئات بمدني:

كانت اجتماعات الجبهة تعقد يومياً بمقر إتحاد مزارعي الجزيرة والمناقل بمدني وهو من أكبر الهيئات الفئويه في السودان وكان يقوده شيخ الأمين. كنا نناقش في الاتحاد الخطوات التي تمت أو يجب أن تتم لدعم الأضراب السياسي وتوسيعه في كافة المجالات، كذلك كيفية تسهيل وصول الاحتياجات اليوميه للمواطنين والشلل يعم الحياة.

في إحدى المداولات طالب بعضهم بحرق محصول القطن في مشروع الجزيرة والمناقل وقفت مدافعاً عن محصول القطن المسكين بأنه ليس ملكاً للعسكر، بل ملكنا ولابد من المحافظة عليه لا، بل وطلبت السماح لمهندسي الري الذين يعملون في المواقع الحساسه كالخزان، وفي تشغيل قنوات الري وكذلك العاملين في تلك المواقع والمزارعين بسقي المحاصيل ورعايتها والاستمرار في أعمالهم فكان لحديثي وأنا من المضربين واشغل موقعاً مسؤولاً في الوزارة أثره البالغ في الحضور، أحببت تسجيل ما حدث بالضبط ليدرك القارئ فيما بعد كيف يشوه رجال الاحزاب المسؤولون الحقائق لحاجة في النفوس بعد أن عادت أحزابهم للسلطة من جديد كما سيرد ذكره مستقبلاً

الاستنفار من الاذاعة:

قبل أن يعلن الفريق عبود حل المجلس الأعلى لثورة نوفمبر ١٩٥٨ (وكل انقلاب عسكري يسمى ثورة) سمع السودانيون ذات يوم نداء من الاذاعة وجهه المحامي فاروق أبو عيسى عضو جبهة الهيئات في العاصمة، يستنفر الشعب حماية انتفاضتة من المؤسسة العسكرية التي تخطط للتحرك من ثكناتها لقمع الانتفاضة في العاصمة حيث قيادتها ومنطلق شرارتها. على الفور اجتمعنا نحن الجبهة بمدني وأتخذنا قرارا بزحف جماهيري من شعب الجزيرة على الخرطوم لنجدة الانتفاضة هناك قررنا وضع يدنا على كل الشاحنات والسيارات، حكومية أو خاصة، لترحيل المتطوعين عليها.

توجهت فوراً إلى وزارة الري حيث أتصلت بجميع الاقسام للاستيلاء على

عربات وشاحنات وحافلات الوزارة واحضارها إلى رئاسة الوزارة بمدني، ومن هناك تتحرك إلى الخرطوم حاملة المتطوعين من الوزارة وخارجها كان يوماً عظيماً لن أنساه قط فقد كنت واقفا لساعات أمام درج وزارة الري، والسيارات والشاحنات تصطف أمامي ليستقلها المتطوعون ثم تتحرك بادئه رحلتها بالهتاف والحماس إلى الخرطوم هكذا قضيت صباح ذاك اليوم الخالد ومن بعد جاءتنا في المساء أخبار ما حدث في الخرطوم من أقفال الجسور وسدها بالموانع والمتاريس والسيارات والبشر لكيلا يستطيع العسكر التحرك بعيداً عن ثكناتهم ولم يحدث شئ حتي أنهارت السلطة العسكرية ببيان استقالة الفريق إبراهيم عبود المشهور

إبعاد الوكيل محمود جادين من منصبه:

أستلمت حكومة جبهة الهيئات السلطة برئاسة السيد سر الختم الخليفة وعين السيد أحمد السيد أحمد وزيراً للري أصدر الوزير الجديد قراره بإيقاف وكيل الري والتحقيق معه حول الاتهامات الموجهة والمخالفات العديدة التي أرتكبها وكونت لجنة تحقيق برئاسة المهندس محمد عبد الله قلندر المدير العام للإدارة المركزية للكهرباء وعضوية كل من النائب العام لحكومة السودان وشخصي وأتمت اللجنة تحقيقها في جميع التهم الموجهه للوكيل الموقوف، ورفعت تقريرها بادانته في العديد من الاجراءات والقرارات التي تخالف اللوائح والقوانين الإدارية بما تسبب عنه إهدار المال العام رفع الوزير التقرير لمجلس الوزراء الذي قرر احالة السيد محمود جادين إلى التقاعد

ومن الطريف أنه أثناء التحقيق معه، أن وصل إلى وزير الري خطاب يتهمني فيه مرسلوه باستغلال منصبي والاستيلاء على مواد بناء من مخازن الوزارة في سنار مزعم أنني استعملها في بناء منزلي بالخرطوم ،كذلك أنني قضيت أجازة باوروبا على حساب المقاول الالماني الذي كنت اتولي الاشراف على أعماله استدعاني الوزير بمكتبه وسلمني الخطاب، وحين فرغت من قراءته ضحكت قائلاً أولاً الموقعون على الخطاب هم سفانة الوكيل جادين وثانياً فإن الواقعتين المشار إليهما فيها قدر من الصحة وأن قدمتا بطريقة مشوهة للاساءة

لسمعتي فمواد البناء طلبت بخطاب مني للمهندس المقيم لخزان سنار وأرسلت لبناء "جراج" في المنزل الحكومي الذي كنت اسكنه بمدني، لايواء السيارة الحكومية المخصصة لي، ولا يزال "جراج" السيارة الذي شيد بتلك المواد جزءاً من مباني المنزل الحكومي لم يتحرك من مكانه وكل ما يتصل بهذا الموضوع موثق في ملفات الوزارة في كل من مدني وسنار

وأما عن زيارتي لالمانيا على حساب المقاول، فهي حقيقة موثقة في ملفات الوزارة وبتصديق من وزير الري آنذاك ولولا حرصي الشديد على إتباع الاجراءات الرسمية والنظم والضوابط لكنت اليوم نادما لاتباعي نصيحة السيد الوكيل عندما رفعت له الدعوة التي وصلتني آنذاك لاتخاذ قراره. وطلبت من الوزير أحالة الخطاب إلى السيد صغيرون الزين الوكيل بالانابه ليحقق في الاتهامين ويرفع له تقريراً بما يتوصل إليه وبالفعل تم ذلك وجاءت التبرئه مثبته بالوثائق واتضح كما توقعت، أنها محاولة اطفال شريرين من سدنه الوكيل الموقوف لانقاذ ولي نعمتهم

عودة الاحزاب إلى الحكم، واستلامي وظيفة مساعد الوكيل للانشاء والتعمير:

بعد أنتهاء الفترة الانتقالية التي تولت السلطة فيها الحكومة من الهيئات والنقابات التي قادت الانتفاضة وإجراء الانتخابات النيابيه، تكونت حكومة أئتلافيه من حزبيْ الوطني الاتحادي والامة، وعين المرحوم الشريف حسين الهندي وزيراً للري فيها كما تمت ترقية السيد صغيرون الزين وكيلاً للري، والسيد "م. ع" (من دفعة السيدين جادين وصغيرون) نائباً مؤقتاً للوكيل ريثما تبت لجنة الخدمة المدنية في ترقيته. وملأت أنا بدوري وظيفة مساعد الوكيل للانشاء والتعمير التي كان يشغلها السيد "م ع" نفسه وبما أن أقسام الانشاء والتعمير تعج بالعاملين والمقاولين والاعتمادات المالية الضخمة للانفاق على أعمال مشاريع التنمية، فقد أصبحت هذه الاقسام بؤرة للفساد والرشوة والسمعة الرديئة، على نحو ما ورد من قبل في شكوى صديقي المقاول والملاحظ الفني محمد سيد أحمد

لهذا رأيت وضع الضوابط التي تحد من القيل والقال ومن المحاباة والفساد فانشئت لجانا لها. وحولت إليها السلطات المخولة لي لتطلع بمهمة إقرار وإرساء المناقصات وتشغيل العاملين

اتهامي بنسف الخزانات ورفع عريضة للمحكمة بذلك:

فور عودة الاحزاب للحكم من جديد، هب أصحاب المصالح الذين قفلت أمامهم أبواب الفساد والرشوة، وقصدوا الخرطوم لمقابلة أصحاب الجاه والسلطان الجدد، يستنفرونهم ضد ذلك "الشيوعي" - كما كانوا ينعتونني الذي أصبح يشغل وظيفة هامة تتحكم في مصدر دخلهم غير المشروع كان كل ما يحتاجه شخص لازاحة موظف من طريقة أو الهائه عنه، أن يرميه بكونه "شيوعي"، فينشغل هذا برد التهمة منه بكل ما تجره عليه من مصائب هكذا رفع ممثلون لحزبي الأمة والوطني الاتحادي عريضة لقاضي محكمة مدني مولانا عبد المنعم الزين النحاس يتهمونني فيها بأنني في إجتماع لجبهة الهيئات بمدني خلال الانتفاضة على الحكم العسكري هددت بأنه إذا عادت الاحزاب الرجعية للحكم ثانية فسأدمر الخزانات ومنشآت الري وبما أنني أشغل وظيفة حساسة في الوزاره تتيح لي تنفيذ تهديدي ذاك، فأنهم يطلبون فتح قضية جنائية لإثبات هذا التآمر الخطير

لحسن حظي كان القاضي رجلاً بحجم مسؤولسته بل ومتنبهاً لاغراض مقدمي العريضة وعلى رأسها التشكيك واشانة السمعة، فلم يفتح القضية للنظر في الدعوى، بل أرسل صحيفة الاتهام بخطاب سري لوكيل وزارة الري طالباً ردي على الاتهام وتعليق وكيل الري بصفته رئيسي المباشر، وذلك قبل أن يقرر مصير الدعوى قمت بإثبات ما قلته في ذلك الاجتماع ابان الاضراب السياسي، وأن تدمير الخزانات حتى لو هدد به معتوه، يحتاج تنفيذه لتقنية ومعدات ودقة وقوة إنفجار لكي يحدث ذلك التخريب وأكد وكيل الري السيد صغيرون الزين بدوره، بأنني لست ممن يستهترون بالمسؤولية ويتفوهون بمثل تلك التهديدات الساذجة فما كان من القاضي إلا أن حفظ الدعوى وقضى على المكيدة في مهدها

مقابلتي مع القاضي النحاس في صنعاء:

كما جاء ذكره عن الهجوم الذي وجهته ضدي الاحزاب التي حكمت بعد انتفاضة أكتوبر ٦٤ فان مولانا القاضي عبد المنعم النحاس الذي أنقذني مشكوراً من الوقوف أمام المحكمة بمدني متهما بالدعوة لتكسير الخزانات إذا عادت الاحزاب إلى الحكم. تلك الدعوة التي تقدم بها ضدي ممثلون عن حزبي الأمة والوطني الاتحادي بمدينة مدني، لم أجد الفرصة لشكره إلا بعد مدة طويلة أولاً عندما عين رئيساً للقضاء بعد سقوط حكم النميري وعودة الديمقراطية للسودان وكنت أعمل في الكويت فبعثت له ببرقية تهنئة بمنصبه الجديد وشاكراً له أفضاله علي. والمره الثانية عندما التقيت به بعد مدة طويلة في صنعاء وكنت قد جئت إليها في عمل يخص الصندوق الكويتي للتنمية وكان هو انذاك مستشاراً قضائياً للحكومة اليمنيه بعد أن أبعد أيضا مع المئات من خيرة المتعلمين السودانيين، وهناك التقينا لأول مرة وتحدثنا عن تلك الأيام وشكرته على موقفه معي وقد أكد لي بانه كان واثقاً بأن العملية كيدية واتهامات باطلة دافعها أولا وأخيراً هو اشانة سمعتي في إدخالي دوامة من التهم والاستفزاز لانشغل بإخراج نفسي من المصيبة والورطة وما يترتب على ذلك من أذى نفسي واجتماعي يلحق بي. وهذا كل ما كان يهدف إليه اولئك الاوغاد الحاقدون فهو مسلكهم وأساليبهم مع من يعتقدون أنهم معارضون خطرون يكشفون الاعيبهم في غش المواطنين البسطاء الذين يصوتون لهم في الانتخابات

ولكن من المؤسف أن أصدر السيد الصادق المهدي في ذلك الحين كتيباً بعنوان "رسالة من السيد الصادق المهدي إلي ." جاء في إحدى صفحاته بأن هناك مسئولاً كبيراً في وزارة الري هدد في جبهة الهيئات بكذا وكذا أي نفس ما ورد في التهمة التي رماني بها نفر من اتباعه واتباع الحزب المؤتلف معه يومها حزنت على السودان المسكين الذي سيقوده رجال يصدرون الكتب والمنشورات من دون التثبت من حقيقة ما يوردون وقد أبلغت الصديق المرحوم داؤد عبد اللطيف (من قدامى الاداريين ومن كبار مستشاري حزب الأمة، عرفني به صديقاي المهندسان يحي عبد المجيد وعبد الله محمد إبراهيم) بحزني لما جاء في رسالة الصادق المهدي الذي قام الصديق المرحوم داؤد بتوضيح الحقيقة له كما ذكر لي ولكن من المؤسف انني لم أسمع أو اقرأ ما يفيد بأن الاخير قام بتصحيح

مارستني به، إزالة لتجن واحقاقاً لحق واحتراما لعقول من يقرأون له هذا واحد من قادة سودان اليوم، كان الله في عون السودان المبتلى بقيادتهم

شكوى المرحوم الرئيس الأزهري واستدعائي للمساءلة:

جاءني عدد من الاشخاص بخطاب من الرئيس الازهري رئيس مجلس السيادة آنذاك معنون باسم وكيل وزارة الري. ولما كنت أُصرِّف أعمال الوكيل في غيابه، فقد فتحت الخطاب فوجدته يطلب من الوكيل مساعدة حامليه ومن معهم في الحصول على عمل علمت منهم بأن عددهم خمسة عشر طالب عمل أوضحت لهم أن عليهم تسجيل اسمائهم وحرفهم وعناوينهم بمكتب العمل، وعند الحاجة إلى خدماتهم نتصل بهم أصروا أن سيادة الرئيس أكد لهم بأنهم جميعاً سيتم تعيينهم فور استلام وكيل الري لخطابه قلت لهم على أي حال الوكيل غير موجود، وأنا المسؤول الآن، وأنهم سيلحقون بالعمل متى سنحت الفرصة فخرجوا غاضبين وفي الواقع كانت تأتينا عدة خطابات من القصر ومن مكتب الوزير بالخرطوم أما لتشغيل أو لاعطاء مقاولات أعمال .. ألخ. وكنت أحتفظ بكل هذه الرسائل في ملف خاص

بعد هذه الحادثة بالذات، أتصل بي الوزير وافادني أن سيادة الرئيس غاضب جداً مني، إذ بلغه أنني كلما جاءني طالب حاجة بتوصية منه، أمزق الخطاب والقي به في سلة المهملات أمام حامل الرسالة ثم اطرده من المكتب بما يعني الاساءة لشخص الرئيس لذا قرر الوزير التحقيق معي في هذا الامر والمطلوب مثولي بالخرطوم جمعت أوارقي وتوجهت بالطائرة إلى الخرطوم صباح ذات يوم، ثم من المطار رأساً إلى مكتب الوزير حيث التقيت به وهو خارج من مكتبه قاصداً بيته في ضاحية "بري" للافطار، فسألني أن كنت أفطرت فاجبته بالنفي فدعاني للذهاب والافطار معه اخذني بسيارته التي كان يقودها بنفسه، سيارة "لاندروفر" لا تشبه سيارة وزير في الطريق سألني "يامرتضى الري ده بتاع أبوك؟" أجبت بالنفي قال لي، "طيب ، كلما نطلب حاجة لمساعدة الناس يقولون مرتضى رفض، مرتضى رفض" رددت عليه، "المشكلة في الري أنه لا توجد به حاجه يريدها اتباعكم هؤلاء الا في قسم أعمال الانشاءات في ميزانية

التنمية، وأنا المسؤول عنه" سألني "طيب، وأنت ليه بترفض؟ وكمان تمزق خطابات الرئيس أمام الناس؟" قلت له "ياشريف، أنت دلوقت سايقني لبيتك نفطر، إلا تمطيني حق الضيافة في الاول وبعدين لما نرجع المكتب تحقق معاي؟" ضحك قائلاً "معك حق". وهكذا وصلنا لمنزله حيث وجدنا الافطار وعدد كبير من الناس في الانتظار.

بعد الافطار عدنا للوزارة حيث التحق بنا السيد أبراهيم المفتي وزير الخارجية والعضو الثاني في لجنة التحقيق معي. اخبراني بما سمعه الرئيس من العائدين إليه محتجين على تصرفاتي غير الكريمة وردي لهم دون قضاء حاجتهم قلت لهما، "اعرفا بان السيد الرئيس كان استاذي في المرحلة الثانوية، وهو صديق لوالدي وابن دفعته في الدراسة، وأنا من بيت أدب وحسن تربية. لذا لا يمكن أن أسيء لاستاذي أمام الناس حتى لو كنت مختلفاً معه. ثانياً، ها هو ملف كامل يجمع رسائل القصر وجميع رسائل الوزير التي وصلت اليّ يحملها من يطلب حاجة من الوزارة، دون تمزيق كما تريان، وهذا دليل قاطع على كذب الذين وشوا بي عند سيادته. ثالثاً، وكما تعلمون فإن هناك الآلاف من أصحاب المواقع ممن لا يعرفون طريق الوصول إلى سيادة الرئيس أو سيادة الوزير ليأتوا لنا برسائل توصي عليهم، ولكنهم يأتوننا رأساً. ولهذا، وتمشياً مع النظم والقوانين الحكومية فإن العمل وإرساء المقاولات والتوريدات يخضع لاجراءات معلومة محددة، تطبق على الجميع من يحمل خطاباً من القصر أو خطاباً من صاحب السلطة في الدولة، أو من يجئ بلا وساطة من أحد. فإن رأيتم أن يكون لحامل التوصية أفضلية فلا يخضع لتلك الاجراءات والنظم والقوانين الحكومية، ما عليكم إلا أن تقننوا ذلك عن طريق أجهزة الدولة المعنية وبعدها سأنفذ ماتريدون إتباعاً للنظم والقوانين الجديدة. علماً بأنني كنت نفسي عضواً في اللجنة التي حققت في المخالفات التي ارتكبها وكيل الري السابق، الذي أحيل إلى التقاعد لما أرتكبه من مخالفات. فاتخاذ إجراء يتعارض مع النظم والقوانين بحجة استلام توصية خاصة من وزير أو كبير لن يعفي الموظف بأي حال من تحميله مسؤولية الخطأ وعقابه.

كان واضحاً أن السيدين الهندي والمفتي على اقتناع بان الشكوى مبعثها أصحاب المصالح، والامر برمته لا يستحق كل ذلك العناء، وعلى الاخص عندما

تصفحا الملف الذي جئت لهم به وأخذاه مني كان المرحوم إبراهيم المفتي يعاني من ربو، ولم يطرح سؤالاً قط بل كان يضحك طوال التحقيق كأنه على يقين بأن الأمر مضحك من أساسه وأخيراً اخبراني بأن أعود لعملي بمدني وأنسى الموضوع عرفت المرحوم الشريف حسين الهندي عندما كان وزيراً للري، وكنت الاحظ أنه دائماً وفي كل وقته من الصباح إلى ساعة متأخرة من الليل تحيط به أعداد كبيرة من الناس منهم أو أغلبيتهم من أصحاب قضاء حاجة لهم في الدولة أو خارجها وأتباعه من الحزبيين والطائفيين وحتى هؤلاء لهم طلب ما من الشريف لتحقيقه لهم وكان متحدثاً لبقاً وسريع الذكاء، وطيب المعشر كما كان غير ملتزم بالضوابط القانونية أو البروتوكولية أو الاجتماعية وكان متواضعاً لحد كبير جداً ولهذا فإنه من الشخصيات التي مهما كان الإنسان مختلفاً معها يظل يكن له الود والاحترام. وبعد أن أنتهت فترة اضطلاعه بوزارة الري، وبمحض الصدفة أكتشفت بأنه كان قد أصدر أمراً سرياً لمسئول الحسابات والمرتبات في الوزارة بتوزيع استحقاقه من مرتب الحكومة لبعض العائلات والأشخاص تدفع لهم شهرياً دون علم أحد وهكذا كانت اخلاقيات ذلك الرجل رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

على أنني أسفت لما بدر من المرحوم إسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة عندما جاء بعد فترة من ذلك التحقيق، في زيارة رسمية لرئاسة الري بمدني كان كل من وكيل الري ونائبه غائبين. فكان واجبي استقباله وتقديم المسؤولين برئاسة الري له وعند نزوله من السيارة أمام مبنى الري تقدمت إليه مادا يدي بالتحية فإذا به يزيح يدي الممدودة إليه ويشيح وجهه نحو الشخص الذي يليني من الزملاء وعلى وجهه تكشيرة وعبوس ما كان مني عندها غير الابتعاد جانباً تاركاً أياه يصافح الزملاء الآخرين كل واحد عن مجال مسؤوليته وأنصرف بعد ذلك دون أن اتقدم لوداعه ولعله معذور إذ عليه أرضاء أنصاره، ولكن عليه أن يتفهم الضوابط التي تحكمني

زيارتنا لبراغ بدعوة من شركة "سكودا" للحفارات:

بعد أن أستقرت الامور عقب إنتفاضة أكتوبر ١٩٦٤، وتسلم السيد صفيرون الزين وكالة الري، جاءت دعوة للوزارة من شركة "سكودا" للحفارات" لارسال مسؤول أو أثنين لمصانع الشركة بتشيكوسلوفاكيا للتعرف على أحدث

انتاجها من الآت وكان لدى الوزارة سلفاً عدد من آليات هذه الشركة تملكه أقسام الصيانة والقسم الميكانيكي هكذا تقرر أن أسافر بوصفي الوكيل المساعد للانشاءات والتعمير ومعي كبير مهندسي القسم الميكانيكي السيد خليفة الصلحي ومن ثم دعتنا شركة "ازمرليان"، وكلاء الشركات التشيكية في السودان، لحفل عشاء في الخرطوم حضره السفير التشيكي وعدد من كبار المسئولين في وزارة الري.

جلس بجانبي السيد "ازمرليان" الابن فقلت له "يا فلان، أرجو أن تعلم بأن المسئولين في الوزارة الآن اناس أمناء وسيتعاملون معكم من هذا المنطلق، فارجو إلا تحاولوا إفسادهم بالاغراءات والرشاوى" ضحك محتجاً ومعاتباً بانهم لا يفعلون ذلك بل هو قيل وقال وشائعات باطلة قلت له بل أنا على علم بالمخالفات في اجراءات الشراء التي كانت ترتكب في الماضي من قبل بعض المسئولين في الوزارة، الأمر الذي يدل على أن البائع قدم اغراءات للموظف المسئول دفعت به للتجرؤ على إرتكاب المخالفة الواضحة وعلى كل حال لا دخان بلا نار، وأنت تعرف سمعة شركتكم في أوساط وزارة الري

في اليوم التالي كنا ببراغ، وفي حفل رسمي خلال الزيارة التقيت بأحد اعضاء المكتب السياسي في الحزب الشيوعي التشيكي وخلال حديثي معه تطرقت للفساد وما تقدمه الشركات الكبرى عن طريق عملائها في السودان من رشاوى وقلت للأسف فإن سمعة وكلائكم أزمرليان في السودان سيئة فلماذا لا تختارون شركات افضل سمعة وتحظى باحترام الناس فأنتم اشتراكيون يفترض فيكم المساعدة في خير الشعوب لا إغناء الجشعين من الرأسماليين. سألني أن كان عندي إقتراح بأسماء أشخاص أو شركات محددين أثق فيهم أرشحهم لهم أجبته أن ذلك ليس من شأني وإذا كنتم تريدون معرفة بديل أفضل سمعة في الخرطوم فتحروا بأنفسكم وستجدون الكثيرين ولن يكون الاختيار صعباً. وأنتهت بذلك محادثتي مع المسئول الشيوعي القيادي عند هذا الحد.

من المفارقات العجيبة أنه بعد فترة من عودتنا، كان حديثي هذا قد وصل بحذافيره إلى ازموليان والسلطات الامنية فاجأني المسئول الأول عن الأمن السياسي بمدني ذات يوم قائلاً يامرتضى، ورد اسمك في نشرة سرية صباح اليوم بانك في براغ قلت كذا وكذا

هجوم وزير المواصلات ضدي في ليلة سياسية في ميدان الملك بمدني:

عاد السيد صفيرون الزين من الخرطوم إلى مدني وفي مساء يوم وصوله إستدعاني من البيت لأحضر إليه بمكتبه في الرئاسة ذهبت اليه وبعد التحية والسلام والحديث العام عن أخبارنا وأخبار زملائنا سألني فجأة. أنت يامرتضى ما اشتراكي؟؟ "قلت "إشتراكي" قال لي طيب مــا عاوز تشترى العفّارات التشيكيَة ليه؟" في تلك اللحظة إستنتجت ما يكون قد سمعه في الخرطوم فقلت له فوراً "هل إتصل بك حراميّة الخرطوم بخصوص عفّارات أزمرليان؟" أجابني بأن السيد نصر الدين السيد وزير المواصلات إتصل به وأخبره بأنّي أرسلت خطاباً من سطر واحد لشركة أزمرليان أرفض به شراء العفّارات دون إبداء أي سبب. لعلم القارئ الكريم فإن المرحوم نصر الدين السيد كان يعمل هو نفسه مديراً بشركة أزمرليان قبل أن يصير وزيراً

سألته "وما دخل نصر الدين السيد في هذه الأمور؟ إلا زال يعمل لحساب شركة أزمرليان؟" فأصر السيد صفيرون على سؤاله لي، لماذا لم أوافق على الشراء؟ أعطيته القصة كاملة فقال ولماذا لم توضح لهم كتابة؟ قلت له أنني لا أعمل بشركة أزمرليان، ولست ملزماً بأن أكتب اليهم رسالة طويلة موضحاً أسباب رفضي. أما إذا أرادوا هم معرفة الأسباب فعليهم وحدهم تقع مسؤولية ذلك. صمت السيد صفيرون وسرح في تفكير عميق واصلت حديثي وأما بالنسبة لموضوع أفكاري الاشتراكية وشراء العفارات التشيكية فلتعلم أن ولائي وإخلاصي وجهدي هي أولاً لبلدي وشعبي وإذا كانت العفارات التشيكية لا تناسب متطلباتنا ولا تكون الافضل لنا فلن نشتريها وذلك من أجل مصلحة بلادنا. وأما مصلحة تشيكوسلوفاكيا ومصلحة صناعاتها فهي مسئولية التشيك أنفسهم وليست مسئوليتنا نحن. وأما اللصوص من السودانيين في الخرطوم واللصوص من التشيك الذين يتعاونون معهم فأولئك وهؤلاء يعملون لحساب منفعتهم الشخصية وإنتفاخ جيوبهم على حساب مصالح بلادهم هذه هي اشتراكيتي ياصفيرون". فهب واقفا فجأة وقال لي "معك حق. كلهم أولاد كلاب" وإنتهى الأمر على ذلك

وبعد أيام جاء الوزير نصر الدين السيد إلى مدني وإستدعى صغيرون في محرل أحد قادة الحزب هناك ليسأل في حضرة عدد من الحزبيين الموجودين "ماذا تم في موضوع الحفارات؟" رد السيد صغيرون شارحا الأسباب التي رفضت على أساسها تلك الحفارات وأكد له بأن الإجراء الذي قمت به كان إجراء صحيحاً، ثم إستأذن وخرج. وبعد خروجه كما علمت فيما بعد، تحدث الجالسون عن السيد صغيرون موعزين بأنه شخصيته ضعيفة، وبأن الوكيل الفعلي هو مرتضى الشيوعي

في مساء يوم تلك المقابلة التي تمت بين السيد الوزير والسيد صغيرون الذين أقيمت ليلة سياسية للحزب الوطني الإتحادي بميدان "الملك" تكلم فيها الوزير وجاء في كلمته بأن "الشيوعي" مرتضى أحمد إبراهيم الذي يسير وزارة الري كما يشاء، يجب تطهيره لأنه من المخربين، هنا دوت هتافات جماهير الوزير "تطهير مرتضى واجب وطني" حدث كل هذا وأنا أعمل في تلك الساعات من الليل في مكتبي بالوزارة ولا أدري ما يدور في المدينة عني. وفي اليوم التالي كان لدينا اجتماع دوري في مكتب الوكيل لجميع مساعدي الوكيل لمناقشة سير أعمال الوزارة. حضرت أحمل ملفاتي للمشاركة في الإجتماع وجدت الصديق والزميل المرحوم المهندس الطيب عبد الرازق واقفا أمام مكتب الوكيل صغيرون الذي كان جالسا على مقعده وعندما بدأت أتحدث إلى السيد صغيرون عن جدول أعمال الإجتماع التفت إليّ صديقي الطيب غاضباً يؤنبني "هذه هي طريقتك شايل هم الشغل على أكتافك وكل واحد يشتم فيك" فإلتفت إليه متفسراً. "من الذي يشتمني؟" أجاب موضحاً "البلد كلها امبارح عاملة مظاهرات مطالبة بتطهيرك، والسيد صغيرون بيقول أن الموضوع خاص بينك وبين نصر الدين السيد، ولا يريد التدخل" واستطرد يقص عليّ ما حدث في الليلة السياسية بالامس، وما قاله صغيرون عندما طلب منه الطيب التدخل لمؤازرتي وحمايتي. فالتفت في دهشة وغضب إلى صغيرون الجالس في مقعده وسألته بإنفعال: "أهل ما بيني وبين الوزير نصر الدين أمر خاص؟". وملقياً بالملفات على مكتبه قائلا "لتذهب أنت ونصر الدين السيد وحكومة اللصوص في الخرطوم إلى الجحيم" وخرجت ذاهباً إلى بيتي وأولادي الذين كنت لا أراهم إلا بضعة لحظات في اليوم إذا سمحت لي الفرصة

إنتشر الخبر في الوزارة ثم في المدينة وتوالت المكالمات الهاتفية على بيتي من مندوبي الصحف في كل من مدني والخرطوم. أخبرتهم بأنني مضرب عن العمل ومعتكف في بيتي. وهكذا إنتشر الخبر في الصحف ووقف معي أهلي وأصدقائي. هنا إتصل بي هاتفياً بمنزلي السيد الشريف حسين الهندي وزير الري وقتئذ، فأخبرته بموقفي من التجني الذي وقع عليّ من وزير المواصلات قائلاً "يا الشريف أنتم تعطونني راتبا لا يكفيني لمعيشتي في الشهر، وأنا أعمل لكم عملا يساوي أضعاف أضعاف ما استلمه منكم. ثم بعد كل هذا يأتي وزير منكم يدفع الجماهير للمطالبة بتطهيري بدلا من أن يرفع الأمر إليك أو إلى مجلس الوزراء لإتخاذ ما ترونه ضدي. والله إن لم تصدر الحكومة إعتذاراً علنيا لي فلن أعود مرة أخرى للعمل". حاول الشريف حسين الهندي تهدئتي واعداً بأنه سيرد إلي حقي، غير أنه أصر على العودة للعمل، ومعالجة الأمر بالأسلوب القانوني الصحيح. ولكنني قلت له "والله لن أعود إلى المكتب حيث لم يعد في البلد قانون أو حقوق إذا كان وزيراً في الحكومة لا يحترم القانون ولا يصون الحقوق" وهكذا إنتهت محادثتي مع الوزير.

وبعد عدّة أيام صدر بيان رسمي في الصحف من السيد وزير الري، يشيد بعملي وأدائي وأخلاقي، وينفي عني كل ما أصابني من تجريح معتذراً عما قاله زميله وزير المواصلات في حقي. ومن ثم عدت للعمل معززاً مكرماً، وأشد إيمانا واقتناعا بمحاربة الفساد والمرتشين. وقد علمت فيما بعد من خالي المهندس محمد الفضل مدير عام السكك الحديدية في ذلك الوقت، بأنه عندما علم بالموضوع إتصل بكل من السيد نصر الدين السيد والرئيس السيد اسماعيل الأزهري لائماً ومحتجاً على ما لحق بي من تعد وظلم. وعلمت منه أن السيد نصر الدين فوجئ بمعرفة خؤولة محمد الفضل لي. وأما السيد اسماعيل الأزهري فقد قال له مداعبا عليكم أن تجمعوا "الدناقلة" وتأخذوا حقكم من نصر الدين. وعلمت أيضا من صديقي وزميلي وإبن دفعتي المرحوم كرار أحمد كرار الذي كان في ذلك الوقت أمينا عاما لمجلس الوزراء، بأن السيد محمد أحمد محجوب رئيس الوزراء أنذاك دافع عني عندما أثير موضوعي في المجلس. وعندما قيل بأنني شيوعي ولي نشاطات مخربة، سأل المحجوب وزير الداخلية إن كان لديه أي تقارير بذلك من أجهزة الأمن؟ وعندما أجاب بالنفي، هاجم وزير المواصلات على عدم المسئولية

ومن ثم وجه وزير الري بنشر الإعتذار الرسمي وأذكر أن الاخ كرار الذي كان قد دعاني إلى منزله في الخرطوم ليخبرني بما حدث، طلب مني بعدها أن أذهب معه لمنزل رئيس الوزراء المرحوم محمد أحمد المحجوب لاشكره لموقفه من قضيتي ولكنني رفضت وقلت لكرار "أن المحجوب قد قام بواجبه بوصفه رئيس الوزراء وهو رجل قانون يعرف حقوق الناس وإذا ذهبت إليه ربما يعتقد – وهو لا يعرفني شخصيا - أنني من المطبلين والموظفين المتسلقين"، فقبل "كرار" موقفي على مضض قائلا "دائما رأسك قوي يا دنقلاوي ياحلاب التيس" فودعته قائلا "معليش يا أب أحمد (وهكذا كنا نسميه أيام الدراسة) المرة الجاية سأسمع كلامك" على أنني شكرت المحجوب على هذا الموقف فيما بعد، حين لم يعد له منصب، بل وكان معتقلا في بيته بعد انقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩ وجئت أنا وزيراً للري.

بقاء الوكيل صغيرون في الخرطوم، وإنهيار نائبه السيد "م.ع":

تحول السيد صغيرون إلى مكتب الوزير بالخرطوم و أصبح السيد م ع هو الوكيل الفعلي في تصريف أعمال الوزارة بمدني ويؤسفني أن السيد م.ع كان رجلا ضعيف الإراده ومعروفا بإرتكابه إنتهاكات إدارية عديدة فجأة وذات يوم إنهار في المكتب وإتضح أن ذلك كان من أثر تناوله لشئ ما إعتاد عليه إتصلت بالسيد صغيرون طالبا إليه العودة إلى مدني لكي يعمل على مساعدة م ع حتى يتمكن من الحصول على موافقة سريعة بإرساله لإنجلترا للعلاج على نفقة الدولة. لاحظت أن صغيرون وهو زميل دفعته لم يكن متحمسا. ولما الححت في طلبي الإسراع من أجل إنقاذ زميلنا م ع قال لي صغيرون "لو كنت تعرف م.ع كان بيعمل فيك شنو لما ساعدته" "سألته" وماذا كان يعمل "م ع" في؟؟ قال "كان يرسل خطابات سرية للوزير يطعن فيك "فقلت، ياصغيرون، حتى ولو كان يفعل ذلك فإنه الآن في حاجة للمساعدة فأرجوك، عد إلى مدني وتول الأمر" هكذا حضر لمدني حيث قام بإطلاعي على خطابات م ع التي كان يهاجمني فيها بأنني شيوعي ومخرب وأحارب مؤيدي أحزاب الحكومة وأحرمهم من حقوقهم ومصالحهم. تجدر الإشارة بأن م.ع كانت لديه ميول للحزب الوطني الإتحادي، ولهذا إرتكب

تجاوزات لا تتماشى مع القانون لمصلحة بعض المقاولين والأفراد الذين ينتمون لهذا الحزب. وفي الحقيقة، حزنت جداً لموقف م ع معي بخاصة وقد كانت إتهاماته كلها كذبا وتلفيقا، ولم أعثر لذلك على مبرر إذ أن علاقتي معه كانت على أحسن حال بل كنت دائما أعطف عليه وأعذره بأنه من دفعة جادين وصغيرون ومع ذلك تخطياه بدرجات عديدة، بما أثر على نفسيته وجعله يحاول نسيان ذلك بطريقته الخاصة؟

وبعد أن تم شفاؤه بحمد الله وعاد لمكتبه، دخلت عليه قائلا: يا م ع، الله يعلم بأني طوال عملي في هذه الوزارة ما أردت لك في السر أو العلن سوى الخير كل الخير وأظنك تذكر تنازلي والأخ يحيى لك في المنافسة على وظيفة نائب الوكيل. أبعد كل ذلك تنشط لكتابة الخطابات السرية المليئة بالأكاذيب ضدي وترسلها للخرطوم، لماذا تفعل ذلك؟. فأنا لست منافسا لك في وظيفة، وكنت دائما أودك وأعاملك خير معاملة، فلماذا لماذا تفعل فيَّ ذلك؟" شردت نظرته بعيداً ودمعت عيناه. فقلت له "ثق يا م.ع أن مرتبي لا يكفي لإحتياجاتي، فإن كنتم تحسدونني على ذلك، فما أتفه الطالب والمطلوب" وخرجت منه. ومن يومها تأكد لي بأنني لن استطيع محاربة الإفك والفساد. فقررت الإبتعاد بنفسي عن وظيفة مساعد الوكيل للإنشاء والتعمير، وكتبت خطاباً رسميا للوزير طالبا تنحيتي منها وبالفعل، استجيب لطلبي وحولت لوظيفة مساعد الوكيل لخزان الروصيرص، حيث لا يوجد مجال للتنافس على مقاولات ولا توجد فرص لتشغيل عمالة حكومية. فالمقاول هنا أجنبي، والمهندسون المشرفون أجانب، ولا عمل لي سوى تحويل شهادات الصرف إلى جهات الإختصاص في وزارة المالية لدفع الإستحقاقات. هكذا تفرغت للبحث عن عمل خارج الوزارة الملعونة

الفصل الثاني
تجربة العمل خارج السودان

الفصل الثاني
تجربة العمل خارج السودان

مشروع البحيرات الإستوائية"

وحين كنت أبحث عن عمل خارج الوزارة، سنحت فرصة لي في مشروع المسح المائي "الهايدرومترولوجي" لميزانية المياه في البحيرات الإستوائية في شرق أفريقيا، الذي تقوم به دول حوض النيل المتمثلة في كل من مصر السودان ويوغندا وكينيا وتنزانيا، بدعم وتمويل من برنامج الأمم المتحدة للتنمية، وبتنفيذ من منظمة الأرصاد العالمية وكان الخبير مطلوباً لملء وظيفة نائب للمدير العام للمشروع فتقدمت بطلبي بواسطة الوزارة، وتم إختياري. وحان يوم سفري من مدني، فلم يكن هناك لوداعي غير نفر قليل جداً من الزملاء، في حين تنفس الكثيرون من المرتشين وأصحاب المصالح الصعداء وحمدوا الله على إختفائي عن الوزارة بينما نفر قليل جداً من الزملاء الأوفياء تأسفوا لفراقي وسعوا لوداعي أعدهم على الأصابع

عملي في شرق أفريقيا وإفتتاح المشروع (ابريل ١٩٦٧ مايو ١٩٦٩):

بدأت عملي في هذا المشروع مساعداً للمهندس الهندي "كرشنامرثي" وكان يعمل تحت إدارتنا مهندسون وخبراء في هندسة المياه من السودان ومصر وكينيا وتنزانيا ويوغندا ويوغوسلافيا كانت رئاسة المشروع في عنتبي في يوغندا، حيث كنت أسكن في قصر صغير تمتد حديقته حتى شاطئ بحيرة فكتوريا. وكنت أتقاضى مرتباً بالإسترليني يبلغ حوالي ستة عشر ضعف مرتبي في وزارة الري وبالعملة الصعبة حيث بإمكاني أن أحول منه ما أشاء إلى أي جهة أشاء في العالم كان عملي يقتضي سفري المتواصل لكل من كينيا وتنزانيا حيث افتتحنا مكاتب هناك وأنشأنا محطات عديدة في حوض البحيرات لقياس كميات الأمطار، وكميات التبخر، وتدفق الأنهار والوديان

التى تصب في تلك البحيرات، وذلك لحساب كميات المياه المتوفرة للإستغلال وقد تمكنت ضمن حصة السودان في توفير خبراء للعمل في المشروع، من تعيين صديقي المهندس عبد الله محمد إبراهيم الذي آلت إليه مسئولية محطات الرصد في منطقة "ماسندي" بيوغندا وبعد أن أقمنا المحطات والمكاتب اللازمة وبدأ المسح الحقلي والمكتبي لجمع المعلومات وتحليلها، وتم إعداد التحضيرات اللازمة لبدء تنفيذ المشروع، تقرر إقامة إحتفال كبير لبدء المشروع توجه الدعوة لحضوره إلى وزراء المياه والرى في الدول الخمس، وللشخصيات التى تعمل في حقل تنمية مصادر المياه وإستغلالها، ويقوم بافتتاحه السيد "ملتون أبوتي" رئيس جمهورية يوغندا آنذاك. كنت المسئول الأول عن التحضير لهذا الاحتفال الكبير، فعملت مع الخبراء في اصدار كتيب عن المشروع يحوى معلومات وإحصائيات وتحاليل علمية قيمة لنهر النيل ومنابعه، ويحوى أيضا كلمة من كل رئيس للدول الخمس مع صورة له وكذلك كلمة كل وزير للمياه وصورة له بدأت إتصالاتي بوزارات الخارجية في الدول الخمس لإرسال الصور والكلمات. فوصلني ما أردت في الوقت المناسب من كل من مصر وكينيا ويوغندا أما السودان وتنزانيا، فقد كانت لي مع كل منهما واقعة لاتخلو من طرافة ومغزى

حديث عبر الهاتف مع رئيس الوزراء السوداني:

عندما تأخر وصول الوثائق السودانية، إتصلت هاتفيا بمكتب وزير الرى في الخرطوم آنذاك، السيد "بوث ديو" فعلمت بأن الوزير متغيب في اجتماع بمجلس الوزراء إتصلت بالمجلس وجاءني على الهاتف السيد محمد أحمد محجوب رئيس الوزراء نفسه فتبادلت معه التحية وأخبرته بالأمر أخبرني بأن السيد بوث ديو لم يصل بعد، وفي رأيه أن الموضوع لايحتاج لكل هذه المساعي. نصحني بأن أقوم بكتابة كلمة كل من الرئيس السيد اسماعيل الأزهري وكلمة السيد وزير الرى ثم أنهي حديثه معي ضاحكا بهذا التعليق "يامرتضى- إن المطلوب منهم كتابة تلك الكلمات، ما أحسن منك وما أعرف منك بالموضوع، فتحمل إنت المسئولية عن الاثنين معاً وربنا يساعدك". فشكرته وطلبت منه تأكيد وصول السيد بوث ديو للاحتفال. فرد قائلا "إطمئن سأضمنه لكم في

أول طائرة". فضحكت وشكرته، وإنتهت المحادثة التي تدل على بساطة السودانيين وإنعدام الكلفة بينهم مهما علت مراكزهم ومهما كانت ظروفهم

وأذكر أيضا بعد وصول السيد بوث دبو وإنتهاء الإحتفالات أن قال لي السيد بوث ديو أنه لم يكن يود الحضور لإنهماكه في التحضير للإنتخابات البرلمانية المقبلة ولكن السيد محمد أحمد محجوب ضغط عليه للحضور إثر محادثتي معه ولهذا فهو يطالبني بأن أتصل بمكتب الخطوط الجوية السودانية في كمبالا، لإنزال الطائرة في ملكال حيث دائرته الإنتخابية وبعدها تواصل الطائرة رحلتها للخرطوم ولما تم الإتصال أخبرني مدير المكتب بأن ذلك غير ممكن إلا إذا وصلته أوامر بذلك من الخرطوم فلما نقلت ذلك للسيد بوث ديو، قال لي. "طيِّب إتصل إنت بالخرطوم وخليهم ينزلوا الطائرة في ملكال" فقلت له أنا لا أستطيع عمل ذلك والأحسن أن تتصل أنت شخصيا بالسيد وزير المواصلات فقال رحمه الله ضاحكاً: "انت عرفت تجيبني، بيغلبك تنزل الطائرة في ملكال"

حديثي مع وزير المياه التنزاني:

في صباح يوم الافتتاح وقبل وصول السيد ملتون أبوتي، وإذ أنا بمكتبي، حضر إليّ المهندس "لوي فاروليلا" مدير مصلحة تنمية مصادر المياه في تنزانيا وممثل تنزانيا في اللجنة الفنية المشرفة على تنفيذ مشروع البحيرات الاستوائية، منزعجاً ومحتجاً بأن صورة الرئيس نيريري في الكتيب الذي سيوزع في الاحتفال ليست هي الصورة الرسمية المصرح بها (AUTHORIZED PHOTO) إذ كان نيريري في الصورة لابسا الزي الأوروبي فقلت له بأن المسئولين في تنزانيا وأنت واحد منهم لم يرسلوا لنا أية صورة، وهذه الصورة وضعتها الشركة الناشرة للكتيب وهي دار صحيفة "الأرقص" اليوغندية، ولا أرى فيها أي مأخذ. فقال منزعجاً بأن الوزير التنزاني السيد عبد الرحمن إحتج عليها عندما تصفح الكتيب. فقلت له إذن هيا نتحدث في أمرها مع الوزير، وبالفعل ذهبنا للسيد الوزير. فقلت له ما قلته للسيد المدير مضيفا بأن أهمية الكتيب هي فيما يحويه من معلومات علمية وهذه الصور ليست ذات أهمية في ذاتها بقدر ما هي دلالة على المشاركة الرسمية لهذه الدول في

المشروع. ثم أكدت له بصورة قاطعة بانه لا مجال لإيقاف توزيع الكتيب. فنظر إلي وكأنما أصبح في ورطة حقيقية، وقال لي: أريد "الإتصال بدار السلام". فسألته في دهشة "لماذا؟ فقال لابد من الإتصال بالرئيس. والله يعلم كم إحتقرته ذهبت معه لمكتبي من حيث إتصل بالرئيس نيريري وأخبره بموضوع الصورة والكتيب يسأله إن كان لا يعترض على توزيع الكتيب على ذلك النحو. ورأيت علامات السرور تعلو وجهه ثم أقفل الخط وقال بإبتسامة ظافرة "إن الرئيس لا يمانع في توزيع الكتيب". خرجنا من مكتبي وأنا أقول في قرارة نفسي "لي أن أشعر حقا بالفخر والإعتزاز لإنتمائي للسودان والسودانيين" فقد تذكرت حديثي ذاك مع السيد محمد أحمد محجوب ومدى بساطة الأمور عندنا

علاقتي مع مدير تنمية مصادر المياه في يوغندا:

كانت مكاتب المشروع بالقرب من مكاتب مصلحة المياه في عنتبي بيوغندا حيث كان المدير السيد كابيقا ونائبه السيد روهيمي اليوغنديان والمستشار البريطاني المستر أوين لاحظت أنني كلما أردت الذهاب للسيد كابيقا في مكتبه لأمر ما، يقول لي لا داعي لحضورك بل سأمر عليك أنا في مكتبك وبعد فترة من الوقت وبجهد مني قامت بيني وبينه والسيد روهيمي علاقة ود وصداقة ودعوتهما وزوجتيهما إلى منزلي كمألوف عادتنا في السودان وعندما قويت صلتي بهما وإطمأنا إليّ، ذكرا لي بأن المستر أوين كان قد نصحهما بألا يفرطا في أسرار مكتبيهما لأننا في السودان ومصر لنا مصلحة في موضوع مياه البحيرات، إلى غير ذلك من التشكيك في نوايانا فقمت بعمل جهد كبير مع وزارة الري في الخرطوم لإستقبال بعثة من مهندسي المياه في يوغندا لزيارة السودان ومشاريع الري فيه وبالفعل تمت الزيارة التي اصطحبتهم فيها للسودان، وتفقدوا مشاريع الري ومنشآته وقابلوا المهندسين السودانيين والمصريين الذين يعملون في مجال الري والمياه في السودان وأذكر أنني في مطار الخرطوم ومعي الوفد اليوغندي في طريقنا لمدني، صادفت الوزير الشريف حسين الهندي فعرجت عليه للتحية وكنت ألبس البدلة السفاري التنزانية فلم يتعرف عليّ حتى نبهته، فسلم علي في دهشة وحرارة وقال لي "بقيت زيهم"

فضحكت وقلت "أحسن لي، فأنا في مأمن الآن من كلاب تهب" وكان ودوداً معهم ومرحباً بعد أن قدمتهم إليه. وبعد عودتنا ليوغندا إزدادت صلة السيد كبيقا ومعاونيه اليوغنديين بي وصاروا يستشيرونني في كل كبيرة وصغيرة. ولم يعد بمقدور المستر أوين أن يفرق بيني وبينهم، وأصبحت سعيداً جداً في عملي وفي صلاتي مع المهندسين اليوغنديين. ومن تجربتي في العمل في شرق أفريقيا، فإنني واثق من أنه بتوثيق الصلات المهنية بين العاملين في مجال هندسة الري والصرف والمياه في دول حوض النيل، عن طريق تبادل الخبرات بإرسال الفنيين والمهندسين للعمل في تلك البلاد ودعوة نظرائهم للعمل في بلادنا، ستتوثق الروابط وتزول الريب والشكوك التي يزرعها السياسيون والحكام هنا وهناك لحاجة في نفوسهم. ولنا في خبرتنا الطويلة مع زملائنا في الشقيقة مصر خير دليل على ذلك. وقد كنت أرى ولا زلت، أنه من الممكن عبر العمل الدؤوب المخلص، وعبر تبادل الزيارات والخبرات بين مهندسي المياه في دول حوض النيل، ودعماً وتطويراً لمشروع حوض البحيرات الإستوائية، أن تكون لحوض النيل سلطة مستقلة من منابعه في البحيرات الإستوائية وأثيوبيا وإلى مصبه في البحر الأبيض المتوسط، لها مطلق التصرف في ضبط مياه النيل والمحافظة عليها، وتنميتها لخير الشعوب التي تعيش على ضفاف هذا النهر العظيم وسعادتها. لأنه إذا ترك الأمر في أيدي المهندسين والفنيين، وأبعد تدخل السياسيين في شئون النهر ومياهه، فستعم الطمأنينة والمنفعة والخير على الجميع

الجالية الهندية في شرق أفريقيا:

من أكثر الأشياء الملفتة للنظر في يوغندا وفي شرق أفريقيا عموما في ذلك الحين، بجانب جمال طبيعتها الرائع وجود الجالية الهندية التي كانت لا تمت بصلة للمجتمع الذي تعيش فيه فهم لا يختلطون بمن حولهم من عباد الله ويعيشون وكأنهم في الهند والغالبية العظمى منهم أصحاب متاجر، بدءاً من المخازن الكبرى حتى البقالة الصغيرة في القرية أو الحي يتجمعون أيام العطلات في الحدائق العامة، يدورون حول أطفالهم، ويتحدثون بلغتهم الخاصة وقد كانت

لى سعهم صولات وجولات أذكر منها ما حدث لزوجتى مع أحد تجار الذهب. فقد كانت الأسعار لديه تختلف حسب جنس المشترى، فأرخص الأسعار يدفعها المشترى الهندى ويليه فى ذلك المشترى الأبيض ثم أخيرا المشترى الأسود. أى أن أصحاب البلد الفقراء يدفعون أعلى الأسعار فى كل شئ، ويعملون بأرخص الاجور والمرتبات. وفى ذات يوم دخلت زوجتى المساوية لشراء حلى ذهبية من تاجر هندى وإتفقت معه على الثمن، وكنت وقتها فى مكان آخر فى السوق. جاءت وأخبرتنى بما أرادت شراءه. والسعر الذى إتفقت عليه مع صاحب المحل، وطلبت منى الذهاب لدفع المبلغ وإحضار السوار حيث أنها ذاهبة لمكان آخر. ولما دخلت للتاجر وأشرت إلى ما أريد شراءه، أخرجه وأخبرنى بسعر كان ضعف ما ذكرته لى زوجتى. فإندهشت وقلت له أن زوجتى كانت هنا قبل بضعة دقائق وإتفقت معك على مبلغ كذا. فأنتم لصوص تبيعون للخواجات بأرخص الاثمان ونحن أهل البلد ندفع أضعافهم. خاف ظنا منه أنى صاحب مركز فى الحكومة فكرر إعتذاره وطلب منى أن أدفع ما يقل بكثير مما إتفق عليه مع زوجتى. فدفعت المبلغ وأخذت البضاعة وخرجت متوعدا بأنهم إذا لم يغيروا من نوعية سلوكهم معنا نحن أهل البلد، فسيجئ يوم يندمون فيه وهيهات ساعة ندم. وبالفعل جاء "عيدى أمين" بإنقلابه المشهور ، وأبعد "أبوتى" عن السلطة وطرد جميع الهنود من يوغندا فإذا هم يبكون على حالهم وسوء مآلهم.

علاقتى بأفراد السفارة السودانية فى كمبالا:

كانت صلتى بالسفير السودانى المرحوم محمد عثمان شندى والملحق العسكرى المرحوم بابكر النور سوار الذهب الذى أعدمه النميرى فيما بعد، والديلوماسى على يسن قيلى، جيدة وقوية كما هو حال السودانيين فى الغربة وأذكر أن السفير كان يأخذ على المرحوم بابكر النور بعض تصرفاته كملحق عسكرى، حيث كان الأخير يتصرف فى شئون مكتبه رأسا مع وزارة الدفاع فى الخرطوم وفى إستقلالية تامة عن السفير على اساس أنه يشرف على إستخبارات سرية فى غاية الحساسية لإتصالها بالتمرد والمتمردين الذين يحاربون الجيش السودانى فى الجنوب ويتخذون من يوغندا قاعدة لهم. ثم أنها

أمور على حسب مفهوم العسكر خارجة بطبيعتها عن إختصاص المدنيين. وعندما تفاقم الخلاف بينهما طلب مني السفير التوسط بوصفي صديق الطرفين. بالفعل حضرا لمنزلي في عنتبي وتحدثنا في المشكلة. كان موقفي دعما وتأييداً للسفير إذ أنه يمثل رأس الدولة السودانية في يوغندا، وأن مكاتب السفارة ومن فيها من ملحقين وموظفين تابعين له، وجميع ما يقومون به من عمل لابد أن يكون بمعرفة السفير وموافقته وإشرافه. وقصصت عليهم ما حدث لي بسنار عندما طردت الموظف من المكاتب ليبقى بمنزله حتى يتم نقله لمكان آخر وذلك لعدم إحترامه للنظام ولمروقه على التسلسل الوظيفي الواجب الاحترام وإلا إنفرط عقد العمل وضاعت المسؤولية. ثم إلتفت إلى المرحوم بابكر النور وقلت له يا أخ بابكر، ليس لك أي وضع خاص غير كونك ملحقا بالسفير سواء كنت عسكريا أو كنت مدنياً. وهو رئيسك المباشر هنا. وإذا أرادت وزارة الدفاع لاهمية عملك أن تكون مستقلا، فما عليهم سوى الإتصال بجهات الإختصاص في الخرطوم لتعيينك سفيراً للسودان هنا بعد إنتهاء إنتماء أوراق السيد شندي سفيراً ومغادرته يوغندا. فوافق المرحوم بابكر على ما قلت ووعد برفع الأمر لوزارة الدفاع في الخرطوم. وبعد فترة تم نقل السيد بابكر النور للخرطوم وإستبداله بقريب له هو العميد عبد الرحمن سوار الذهب، الذي صار له شأن معروف ولكن بعد زمن طويل من ذلك.

حياتي في يوغندا:

كانت الفترة التي قضيتها في يوغندا من أسعد الفترات في حياتي فيوغندا "درة افريقيا" كما كانت تسمى، بلد جميل جداً وطقسها معتدل وأهلها طيبون. وكانت متطلبات عملي تقتضي كثرة سفري وترحالي في كل من يوغندا وكينيا وتنزانيا. كنت أمارس رياضتي المفضلة من كرة قدم وكرة مضرب (تنس) في النادي الرياضي بعنتبي، كما كنت أشارك في مباريات كرة القدم التي كانت تقام من وقت لآخر، ومن ثم كان لي أصدقاء كثيرون هناك. كان الموظفون اليوغنديون في ذلك الزمان يشربون البيرة كالماء، في كل وقت وكل مكان، مما يجعلهم سكارى نوعاً ما أثناء ساعات العمل في المكاتب. لهذا أصررت

بحزم على إيقاف هذه الظاهرة السيئة في مكاتب المشروع كما كان للكثيرين منهم عدّة زوجات، البعض مرتبط بعقد زواج رسمي والبعض من دون عقد، وللواحد أطفال كثيرون شرعيون وغير شرعيين. لم يكن المجتمع اليوغندي يأبه بهذه الظاهرة أو كانت تسبب حرجاً لأحد.

كانت لدينا خادمة يوغندية تدعى "بلكسيدا"، كان لها هي أيضا طفلها غير الشرعي. وفي ذات ليلة، أثناء غيابي خارج يوغندا في رحلة عمل، جاءها والد الطفل ونشبت مشاجرة بينه وبين بلكسيدا. أخذ كل واحد منهما – الأب والأم– بطرف من الطفل يشده اليه، والطفل يصرخ. فوصلتهما زوجتي مسرعة وطلبت من الرجل أن يترك الطفل ويخرج ولكنّه إستمر في جذبه للطفل، فما كان من زوجتي إلا أن أحضرت عصا وبدأت تضرب الرجل على رأسه حتى أضطر لترك الطفل. وإستمرت زوجتي في ضرب الرجل حتى خرج من المنزل وبعد عودتي جاءتني بلكسيدا طالبة إنهاء خدمتها معنا احتجاجاً على ضرب زوجتي لصديقها في الحقيقة عندما علمت بالقصة عاتبت زوجتي على فعلتها التي ربّما كانت قد سببت لها ضرراً كبيرا لو أن الرجل حاول الإنتقام لنفسه منها. قالت لي أنها في تلك اللحظة التي كانت تنظر فيها طفلا مشدوداً يتجاذبه الطرفان من دون رحمة لم تفكر في شئ سوى إنقاذ الطفل ولم تفكر في أي أذى قد يقع عليها هي. هكذا انتهت خدمات بلكسيدا معنا من أجل زوجها غير الشرعي المتخلف.

وفي يوغندا أيضا درس إبني حسن مراحله الأولى في مدارس الكنيسة الكاثوليكية هناك كما قمنا بختانه في مستشفى كمبالا وكان لإبني أصدقاء كثيرون من أطفال الموظفين اليوغنديين والأجانب الذين كانوا يعيشون في عنتبي وهكذا كانت حياتنا الخاصة والعامة من أمتع ما يكون بل وكنت أتمنى أن أقضي بقية عمري هناك لا سيما وقد عرض على وزير تنمية مصادر المياه في حكومة يوغندا وقتها السيد شودري منحي الجنسية اليوغندية

ترقيتي للمجموعة الثالثة في وظيفة نائب الوكيل لوزارة الري والقوى الكهربائية المائية:

كنت عند التحاقي بالمشروع معاراً من وزارة الري، أي انني لم أخرج من

إطار الوزارة الوظيفي ولهذا وعندما أنشئت وظيفة إضافية في الدرجة الثالثة في الوزارة لنائب آخر للوكيل كان لابد من وضع اسمي في قائمة المتنافسين على هذه الوظيفة كنت أفضل المرشحين لها، بلبيني زميلي وصديقي المهندس يحيى عبد المجيد وبالفعل حصلت أنا على الترقية ثم أخليت الوظيفة لأنني لم أكن موجودا لملئها وملأها زميلي يحيى مترقيا كل ذلك لكي لا أفقد حقي في سلم الأسبقية في الخدمة

وأذكر بعد فترة من ذلك، أن وصلني خطاب من صديقي يحيى يطلب مني أن أساعده بتعزيز طلب تقدم به لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية لملء وظيفة مستشار ىلري في أفغانستان، وذلك لأنه لم يعد سعيداً في عمله بالوزارة أولا، لخلاف بينه وبين المسئولين فيها، وثانيا لأنه لم يعد له مستقبل بها، وبما أنني أصغر منه بقليل سناً، وأعلى منه في سلم الاسبقية في الوزارة فساصبح يوماً وكيلا للوزارة في المجموعة الأولى بعد ذهاب السيد صفيرون الزين ولن يكون له حظ إذ سيبلغ سن المقاعد المعمول بها في الخامسة والخمسين، ويكون عندئذ في المجموعة الثالثة فقط على وظيفة نائب وكيل.. أذكر أنني كتبت له رداً على رسالته باتنى سأسعى مع من لى معرفة به في برنامج الأمم المتحدة بخصوص عمله في أفغانستان، أما الحديث عمن سيكون الوكيل بعد السيد صفيرون فعلم ذلك عند الله إذ قد تكون هناك عوائق وموانع عديدة قبل الوصول إلى تلك الوظيفة ولا أحد يدرى من سيتخطاها فتكون وظيفة الوكيل من نصيبه، ناهيك من الموت والأمراض ومصائب الحياة الأخرى ومن عجب أن تصدق الاقدار حدسي هذا كما سأبينه في مكانه لاحقا

هكذا وأنا في بحبوحة من العيش، وفي غاية من السعادة والإستمتاع في عملي وفي بيتي، وفي أحسن حال وأفضل فترة في حياتي المهنية، وعلاقاتي الاجتماعية، ونشاطاتي الرياضية، وقعت على رأسي فجأة وبدون أية توقعات أو أرهاصات كارثة كبرى أعادتني لساحة القتال ومسرح النضال في بلدي ومع أهلي حيث لا يعجب أحد العجب ولا يرضيه الصيام في شهر رجب

إنقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩:

في صباح ذلك اليوم المشئوم صباح ٢٦ مايو ١٩٦٩، وأنا بمنزلي في عنتبي أستعد للسفر بالسيارة إلى مناطق أعمال المشروع في تنزانيا، إذا بالسفير السيد محمد عثمان شندي الذي جاء من بيته في كمبالا يدخل فإندهشت للزيارة الطارئة الغريبة التوقيت، التي لم يسبقها إخطار أو إشعار. نظر إليّ في إستغراب متسائلا "إلى أين أنت ذاهب؟" أجبته أنني بصدد رحلة عمل إلى تنزانيا قال بإندهاش ألم تسمع الأخبار؟ قلت "لا" قال "ألا تعلم بأن إنقلابا عسكريا وقع في الخرطوم بالأمس وبأنك أصبحت وزيراً للري في الحكومة الجديدة؟" إنهارت ساقاي، وجلست أصرخ مستنكراً "ما لهم ومالي عاوزين بي إيه؟ مش كفاية إلعملوه في من قبل". على أنه واصل حديثه قائلا بأنه تسلم رسالة لاسلكية من الخارجية في الخرطوم يسألون عن موعد وصولي فقلت غاضباً" ليذهبوا جميعاً إلى الجحيم، فأنا لست عبداً لأحد يقرر مسار حياتي كما يشاء" وبعد حديث طويل وأسئلة وأجوبة، وزوجتي جالسة في ذهول تنظر إلينا ولا تصدق، أقنعني بتأجيل رحلتي وأنه سيرد عليهم بأني غير موجود في عنتبي حتى أعطي الأمر فرصته من التفكير. ومن تلك اللحظة دخلت في تفكير عميق، ومداولات ومناقشات مع زوجتي وأصدقائي وزملائي كما بدأت ولأول مرة في الاستماع إلى إذاعة أم درمان والإذاعات الأخرى. والله يعلم، لم تغمض عيني في الأيام التي تلت، وأثناء محادثاتي وإستشاراتي إتضح لي بأن جميع من حولي من الأصدقاء والزملاء من سودانيين أو يوغنديين أو أوروبيين في جانب قبولي المنصب والاضطلاع بالمسئولية الكبيرة، إذ أن ذلك في صميم مجال مهنتي وتخصصي، وفي وزارة عملت فيها من بدء حياتي العملية كمساعد مهندس إلى أن وصلت إلى وظيفة نائب الوكيل فيها ولكن زوجتي وحدها كانت، ومنذ اللحظة التي سمعت فيها الخبر، غير راضية وغير سعيدة، لا بل وضد القبول بذلك وضد العودة إلى السودان فهي قد عاشت معي هناك بين أهلي وأصدقائي لفترة بلغت إثني عشر عاما، وتعلمت اللغة العربية حتى اتقنتها نطقا باللهجة السودانية وقالت لي يومذاك "إن كان لي رأي فأنا غير سعيدة لما حدث لك وكم أتمنى ألا تقبل ما عرض عليك. لأني أعرفك جيداً وأعرف شعبك جيداً فالسودانيون يفضلون ويحبون من يقول لهم الكلام الذي يريدونه إن كان

صدقا أو كذباً ليفرحوا به وهم يكرهون الحقيقة إن كانت لا تفرحهم، ويحبون أن يعيشوا في الوهم والتمنيات والغيبيات، رجاء أن تتحقق أمنياتهم بقدرة قادر وأنت لا تحقق لهم ذلك، بل تقول لهم الحقيقة حتى وإن كانت تغضب من يستمع إليك، وكما يقول المثل عندكم، إنت تقول للأعور في عينه أعور ولهذا فإني واثقة بأن الذين إختاروك لهذا المنصب سينقلبون ضدك غداً عندما لا تنفذ لهم ما يريدون، وعندما لا تتفق معهم على ما يقولون. ولكني أعرفك وأعرف ما يدور في ذهنك من أفكار ومشاريع ولهذا فأنا واثقة أنك في نهاية الأمر عائد إلى الخرطوم". ولقد صدقت في كل كلمة قالتها كما ستبرهن على ذلك التجربة

لماذا قبلت العودة إلى الخرطوم؟

فكرت مليا طوال عدة أيام وليالي وسألت نفسي لماذا أمانع في العودة وقبول المنصب؟ وإقتنعت بأن السبب الأول والاساسي كان فقداني للمتعة والسعادة التي كنت أعيش فيها، ومن ذلك المرتب الكبير، والعمل المريح الخالي من المنغصات ومن أصحاب المصالح الأنانية وفقداني أيضا هناء الحياة العائلية الخالية من المشاكل اليومية في الحصول على حاجتنا هن مأكل أو ملبس، ومن إنقطاع الماء والكهرباء لسبب أو آخر فإحتقرت نفسي لهذه النظرة الأنانية للأمر، ثم فكرت فيما عرض عليّ من تكليف، قائلا أنهم الآن يطلبون مني أن أتسلم قيادة الوزارة التي عملت فيها طوال حياتي العملية وهذا يعني أنني الآن أستطيع أن أفعل ما ظللت دائما أتمناه لها من إصلاح وتقويم. فإذن ليس لي من سبب واحد للتمنع في قبوله سوى مصالحي المادية الخاصة بما سأفقده وهو جد كثير، فما أتفه الطالب والمطلوب قلت لزوجتي أنني عائد إلى الخرطوم، لأني لو بقيت هنا فسأموت بوخز الضمير وتأنيب النفس وأذكر وأنا أستمع لإذاعة أم درمان أن جاء في سياق الهجوم على السيد محمد أحمد محجوب رئيس الوزراء المبعد بأنه كان يحصل على مرتب يبلغ ثلاثة الاف جنيها سودانيا بإعتبار ذلك نوعا من الفساد وإستغلال النفوذ وتعجبت يومها من معيار السودانيين لإستغلال النفوذ في مرتب لرئيس وزرائهم كان يقل كثيراً جداً بشكل مضحك عما كنت اتقاضاه من عملي في عنتبي وسمعت ايضا بيانا من مجلس قيادة

الثورة بأن الثورة قد أعدت البرامج والخطط الكاملة لعمل الوزارات ومرافق الدولة المختلفة بهدف تحسين الأداء ومحاربة التسيّب والفساد في الخدمة العامة. وتساءلت في نفسي كيف جاز لهم؟ ومن هم أولئك الذين في استطاعتهم وضع خطة أو برنامج لوزارة الري؟ وهل يظن اولئك الذين إختاروني لقيادة وزارة الري أنني مجرد "طرطور" يستجلبونه للقيام بتنفيذ ما يخططون؟؟ لابد من معرفة الحقيقة كاملة قبل أن أوافق على الإضطلاع بالمهمة. وهكذا بدأت أستعد للسفر إلى الخرطوم لمقابلة الحكام الجدد ومعرفة ما كانوا يريدونه مني عندما إختاروني للمنصب.. بخاصة ولم أكن على معرفة بأي واحد منه ولم أقابل أيا منهم مقابلة تعلق بذهني سوى العقيد بأبكر النور، الذي جمعتني به يوغنده حيث كان فيها كلانا قبل نقله للخرطوم منذ فتره

الفصل الثالث
مسئولية الوزارة وتطورات حركة مايو ١٩٦٩

الفصل الثالث

مسئولية الوزارة وتطورات حركة مايو ١٩٦٩

وصولي إلى الخرطوم ومقابلة أهلي وأصدقائي:

وصلت مطار الخرطوم في أوائل يونيو ١٩٦٩، تاركاً أولادي وأشيائي في عنتبي. كان في استقبالي رهط من المستقبلين لاسيما من الإعلاميين. وعندما بدأ الأخيرون يخاطبونني بعبارة "ياسعالي الوزير". شعرت فجأة بإنقباض في صدري وصرخت منفعلا "لست معالي وزير ولم أقبل ما عرض عليّ بعد، حتى أتحقق من كثير من الأشياء". وكان ذلك مفاجأة لعديد من السامعين فسألني آخر "ماذا تريد أن تتحقق منه؟" قلت "أولا لدي إستشارات لابد منها وثانيا لدي إستيضاحات لمعرفة بعض الأمور قبل قبولي المنصب المعروض عليّ" وهكذا خرجت من المطار متوجهاً إلى أهلي في حي العباسية بأم درمان. وهناك سمعت الكثير عن الإنقلاب وإن الذين قاموا به من الضباط والشباب، وإنها ظاهرة في تاريخ الإنقلابات العسكرية أن يكون مجلس الوزراء كله من المثقفين والمهنيين ذوي الكفاءات والسمعة الطيبة في مجالات عملهم، بالإضافة إلى ما أعلنه قادة الإنقلاب بأن ما يحدث في مايو ١٩٦٩ إن هو إلا إمتداد لثورة أكتوبر ١٩٦٤ التي أجهضت في مهدها وأن مجلس الوزراء الجديد ما هو إلا إمتدادلحكومة جبهة الهيئات التي وأدتها الطائفية والأحزاب. وكل من إستمعت إليه من أهلي وعلى رأسهم خالي المهندس محمد الفضل وشقيقي صلاح وشقيقتي فاطمة وأبي وأمي، ومن معهم من الأهل والجيران، وأصدقائي وزملائي في وزارة الري في الخرطوم. وغيرهم ممن جاءوا لإستقبالي والترحيب بي في دارنا في حي العباسية ولتهنئتي وتاييدي، كان واضحاً عليهم وعلى كل من قابلت من الناس الفرح بالتغيير الذي حدث. هذا بجانب الفرح الخاص بعودتي من الغربة والمهجر وأن أتي واحداً من الذين أختيروا لقيادة البلد.

مقابلة مجلس قيادة الثورة وحلف اليمين:

في اليوم التالي، أخذتني سيارة إلى مقابلة أعضاء مجلس الثورة حيث إلتقيت بهم لأول مرة وتصافحنا في حرارة وتعرفت بهم وجلست. تحدث السيد بابكر عوض الله، الذي بدأ لي بأنه الرئيس الفعلي لهم جميعاً، فهو أكبرهم سناً، وأشهرهم صيتاً، وأرفعهم قدراً. فقد كان أول رئيس لأول برلمان في السودان، وكان رئيساً للقضاء، وكان مفجر ثورة أكتوبر ١٩٦٤ سألني السيد بابكر لماذا كانت اجاباتي للإذاعة عند وصولي في اليوم السابق حادة أملا ألا يكون هناك سبب لذلك فرددت عليه بأنها طبيعتي ونهجي في الحديث وثانيا لأني حتى هذه اللحظة لم أستقر على قرار بقبول المنصب سألني عن السبب فقلت له بأني قد سمعت بيانكم الذي جاء فيه أن لديكم خططاً وبرامج جاهزة للتنفيذ لجميع الوزارات وبما أنني إشتغلت في الري منذ يناير ١٩٥١، وحيث أنني أدرى بالوزارة وأعمالها، فلن أقبل أن أنفذ خططاً وبرامج يضعها لي آخرون فرد بابكر عوض الله ضاحكاً بأن ما جاء بالبيان جاء لإعتبارات أخرى ولا يذهب بأبعد من ذلك، قائلا "دا كلام ساكت إنت الوزير وإنت تعمل إللي عاوزه في الوزارة". فوافقت وتقرر أن أحلف اليمين في نفس اليوم لأحضر جلسة مشتركة لمجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة في القيادة العامة للقوات المسلحة، مساء ذلك اليوم

أول إجتماع لي مع الوزراء وأعضاء مجلس قيادة الثورة:

في هذا الاجتماع المشترك قابلت الوزراء وكنت أعرف منهم سلفاً المهندس سيد أحمد الجاك وزير المواصلات، والدكتور محمد عبد الله نور وزير الزراعة، والمحامي فاروق أبو عيسى وزير الدولة لمجلس الوزراء ومعاون السيد/ بابكر عوض الله الذي كان رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية، والدكتور طه بعشر وزير العمل، وتعرفت أيضا بالآخرين بدأت المداولات أولا في بحث طلب من الإتحاد العام لنقابات عمال السودان لرفع حالة الطوارئ، فتحدث من أيد ذلك ومن عارض وأذكر بالذات حماس الراشدين أبو القاسم محمد إبراهيم وزين العابدين محمد أحمد عبد القادر لرجوع الجيش لثكناته - قائلين بأن الجنود الذين في

المدرعات والدبابات التي دخلت الخرطوم في الساعات الأولى من صباح ٢٥ مايو قادمة من خور عمر والمنتشرة وقتها في الطرق يتساءلون أين الشعب الذي قلتم أنه معنا، وأنه سيخرج للشوارع هاتفاً ومؤيداً ومرحباً. وقالا لقد أصبحنا في حرج مع تلك القوات، وكانت من المظلات وتحت قيادتهما فتحدثت أنا قائلا "لقد قلتم بأن ثورة مايو هي إمتداد لثورة أكتوبر ١٩٦٤ وقد قامت ثورة أكتوبر من أجل الشعب وحريته وفي ثورة أكتوبر لم تكن الدبابات والمدرعات في الشوارع بل كانت جماهير العاملين والشعب تسيطر على الشارع. وها أنا منذ أن خرجت من المطار بالأمس لم أر سوى الجيش منتشراً في كل مكان، فإذا كان الشعب حقا معنا، فلا داعي لمظاهر الكبت والتسلط ولعد الجيش إلى ثكناته، ولترفع حالة الطوارئ ويترك الشعب يخرج ليقول لنا كلمته. فإذا كان معنا بقينا في قيادته وإلا فلنذهب، فما جئنا إلا للعمل بإخلاص وخدمة الناس" وقد كان لحديثي وقع كبير بخاصة لدى "أبو القاسم محمد إبراهيم و"زين العابدين محمد عبد القادر" اللذين ترعرعت بيني وبينهما بعد ذلك مودة وصداقة قوية وتم إقرار رفع حالة الطوارئ فوراً وعودة الجيش إلى ثكناته، والسماح لمن يريد بالمظاهر والخروج إلى الشوارع للتعبير عن رأيهم

أما الموضوع الثاني فكان تخصيص وزارة لشئون الجنوب، وتم بحثه أيضا في هذه الجلسة عارضه بشده كل من رئيس الوزراء السيد بابكر عوض الله والدكتور محي الدين صابر وكانت الحجّة في ذلك أن مشكلة الجنوب هي نفس مشكلة الأجزاء الأخرى من البلاد في التخلّف، كما هو الحال في غرب السودان وفي شرقه وفي شماله وليس هناك أمر يميز الجنوبيين عن بقية السودانيين لكي تخصص لهم وزارة لشئونهم وقد لاحظت أيضا بان كل من الوزيرين الجنوبيين، أبيل اليير وجوزيف قرنق يؤيدان ويطالبان بتخصيص وزارة لشئون الجنوب - فإشتركت في المناقشة قائلا لهم "إنني دخلت هذه القاعة ولا أعرف الكثيرين منكم ولا أدري من أي جزء من السودان أو لأي قبيلة أو طائفة ينتمي أي منكم. ولكني تأكدت بأن السيدين أبيل اليير وجوزيف قرنق جنوبيان حتى قبل أن أتعرف إليهما فالجنوبيون لهم خصائصهم ولهم مميزاتهم التي تدل عليهم حتى لو كانوا يعيشون في أي مكان آخر غير الجنوب والجنوب منذ أن كان الإستعمار في السودان وقبله يختلف إختلافاً كبيراً عن بقية أجزاء

السودان وعن بقية الاجناس التي تعيش في أرضه الواسعة. ولهذا فلا داعي لدفن الرؤوس في التراب، ومغالطة الواقع. فإن كنا حقاً أمناء وصادقين مع شعبنا، فلنعترف أولا بأن للجنوب مشكلة، وللجنوب وضعاً خاصاً ولنجلس مع إخواننا الجنوبيين نتدارس المشكلة ونضع لها الحلول الصحيحة وليكن أول عمل صادق من هذه الثورة نحو الجنوب هو تخصيص هذه الوزارة لتكون رأس الرمح لحل مشكلة الجنوب نهائياً وهكذا أجيز تخصيص وزارة للجنوب وكوّنت لجنة لحل مشكلة الجنوب كنت واحداً من اعضائها بطلب من الوزيرين ابيل البير وجوزيف قرنق وهي التي اصدرت بيان ٩ يونيو المشهور عن مشكلة الجنوب

سفري لمدني وإستقبالي في رئاسة وزارة الري هناك:

بعد ذلك سافرت لمدني لمقابلة المسئولين العاملين في الوزارة هناك، إذ أن مدني هي مقر رئاسة الوزارة الفعلي وفيها جميع أقسام الوزارة ماعدا قسم مياه النيل الذي كان في الخرطوم مع مكتب الوزير. وصلت إلى مدني والجو ملئ في جميع الوزارات ومرافق الدولة بشعارات تطهيرالفساد والمفسدين وإبعاد المرتشين والمتسيبين وعندما وصلت لمقر الوزارة التي فارقتها لاكثر من عامين، إستقبلني الالاف من العاملين بهتافات الترحيب والتأييد، مطالبين بتطهير الوزارة من القمّة إلى القاعدة، وأنا أعرف الناس بها، بل وكنت الضحيّة الكبرى لما كان فيهامن فساد ومصاباه وبعد أن هدأ هدير الهتافات وخطب الخطباء مشيدين بي وبمواقفي المعروفة للجميع، ومهنئين الثورة على إختياري، طالبوا بتطهير الوزارة من الفساد والفاسدين، حيث الذين أنا أعرف الناس بهم وبأساليبهم بعد ذلك وقفت على المنصّة المرتفعة وتلفتّ يمني ويسري حيث يقف الالاف من الناس يتطلعون إليّ، تذكرت يوم تركت الوزارة ولم يودعني عند ذلك إلا قلّة لا تزيد على أصابع اليد، هم إخوتي وأصدقائي الذين تركتهم وحيدين في ساحة النضال من أجل الحق والعدل قلت لهم "أتدرون فيم أفكر الان؟؟ إنني افكّر في اليوم الذي تركت فيه هذا المكان وحيداً محقوراً مظلوماً، ولم يودعني إلا قلّة منكم واليوم تأتون إليّ بالالاف مرحبين مسرورين". وسكتُّ وسكتوا ينظرون كالأطفال لايدرون ما هو آت بعد ذلك. ثم واصلت حديثي "اليوم جئتكم

وأنا في قمة الوزارة، أحمل سلطات لم تتهيأ لغيري فيما مضى، أستطيع أن أطهر من أشاء وأستطيع أن أرفع من أشاء وأنا أول وزير لهذه الوزارة منذ إنشائها يأتي إليها من داخلها ومن أبنائها أعرفكم جميعا فرداً فرداً وأعرف كل أمر فيها أصدقائي ومن كانوا يقفون معي، يتوقعون بأني جئت رافعاً سيفي لأطهّر الفاسدين والمتسيبين لأني أعرف الناس بهم. وأولئك الذين كانوا يضمرون لي الكراهية والعداء، ويقفون في المعسكر الآخر يتوجسون إنتقامي والتشفي منهم ولكني أقولها لكم جميعا بأني لن أفعل لا هذا ولا ذاك ولن أطهر أحداً أو أنتقم من أحد فكلكم اليوم إخوتي وزملائي. أتطلع أن تعملوا معي جميعا يدا واحدة من أجل الناس ومن أجل البلد فأنا اليوم في موقع الحكم بالنسبة لكم جميعا ولن أستعمل ما أعرفه ضد أي منكم لأعاقبه على ذلك. وأقولها لكم علناً، إن كان بينكم من يعلم بأن أحداً قد إرتكب ذنباً فليتقدم إلي بإتهاماته وما يدعمها من برهان وسأحقق في الدعوى وإن ثبتت فسيلقى المذنب عقابه العادل وان لم تثبت فسيبقى معي معززاً مكرَماً وكل عريضة إتهام تصل إليّ غير موقعة فلن أقرأها وسيكون مصيرها سلّة المهملات" ولم يجد خطابي ترحيباً من بعض الأصدقاء، وبعض من كانوا يقفون بجانبي في الوزارة ولكنها أخلاقي وتربيتي وطريقتي في الحياة

مقابلتي للسيد رئيس الوزراء بمكتبه:

بعد فترة بلغت حوالي أسبوعين كان لابد لي من العودة إلى عمتبي لإنهاء معاملاتي هناك وإحضار عائلتي وأمتعتي. وبما أني أعلم بأنه لابد لي من دفع جمارك على سيارتي "الفولكس واجن" الخنفساء وممتلكاتي الشخصية التي كنت أستعملها في بيتي بعمتبي، رأيت أن أتحدّث للسيد بابكر عوض الله في هذا الشأن. فذهبت إليه في مكتبه وأخبرته بأن الحكومة هي التي إستدعتني للعودة فجأة للعمل في السودان وأني أتقاضى منها مرتباً شهريا يبلغ ٢٥٠ جنيهاً سودانياً وهو يساوي أقل من سدس مرتبي في عمتبي ولهذا فإني أطلب الإعفاء من دفع الجمارك على ممتلكاتي التي سأحضرها معي من هناك. فوافق السيد بابكر عوض الله وإتصل بالسيد منصور محجوب وزير المالية لإصدار الوثائق

اللازمة لذلك وبعدها عدت إلى عنتبى.

إنتهاء مهمتى فى يوغندا وعودتى نهائياً للخرطوم:

أثناء وجودى بعنتبى، تحدث معى السفير شندى مذكراً بما حدث بينه وبين العقيد بابكر النور إبان عمل الأخير معه فى السفارة قال لى أنه يخشى نفس الشئ من خلفه طمأنته ووعدته برفع الأمر لوزير الخارجية السيد بابكر عوض الله وإتفقنا أن يبعث رسالة باللاسلكى للسيد بابكر عوض الله يخطره بأنى أحمل رسالة هامة لعنايته شخصياً.

أنهيت جميع أعمالى فى مشروع البحيرات الإستوائية، ومهدت لكى يتولى صديقى وزميلى المهندس عبد الله محمد إبراهيم وظيفتى فى المشروع. ودعت الأصدقاء والزملاء وأخذت عائلتى وأمتعتى وعدت إلى السودان، لبدء مرحلة جديدة من حياتى وعند وصولى لمطار الخرطوم، إستقبلنى السيد بابكر عوض الله فى المطار وأخبرته بالمشكلة بين السفير شندى والملحق العسكرى سوار الذهب ورأيى فى الموضوع. لاحظت إهتمام السيد بابكر عوض الله بما أقوله وما أقترحه من حلول للمشكلة خاصة وقد كنت ملماً بها منذ أن كان العقيد بابكر النور ملحقاً عسكريا فى كمبالا فأصر السيد بابكر عوض الله على أن يأخذنى معه فوراً لإجتماع مجلس قيادة الثورة لأحدثهم بنفسى فى الموضوع إذ شعرت بأنه يواجه معارضة من داخل المجلس فى توجهاته لحل تلك المشاكل. فذهبت معه رأساً من المطار إلى حيث ينعقد المجلس وذهبت عائلتى إلى البيت

حديثى لمجلس الثورة عن مشكلة الملحقين العسكريين:

و بينما نحن فى طريقنا للإجتماع، علمت من السيد بابكر عوض الله بأن لديه مشاكل فى بعض السفارات بين السفراء المدنيين والملحقين العسكريين الذين بدأوا يشعرون بأهميتهم بعد إنقلاب مايو وبدأوا يتصلون بوزارة الدفاع أو بعض زملائهم فى مجلس الثورة يطالبون بتطهير السفير لسبب أو لآخر. ربما كان السبب الرئيسى هو الإحتكاك الذى كان موجودا من قبل كما حدث فى

منتبي بين السفير شندي والعقيد بابكر النور. ولهذا رأى السيد بابكر عوض الله بأني سأساعده كثيراً في موقفه عندما أتحدث مباشرة في الموضوع. قدمني السيد بابكر لأشرح للمجلس ما لدي من معلومات وما أقترحه من حلول. فقمت بسرد ما حدث بين العقيد بابكر النور والسفير شندي وما قلته لهما آنذاك. ثم واصلت حديثي عما حدث بين السفير شندي والملحق العسكري العقيد سوار الذهب، وحديث السفير شندي معي في الموضوع عندما كنت في كمبالا. وقد كان واضحاً لي بأن النميري وبعضاً من زملائه كانوا مؤيدين بوضوح لآرائي وما أقترحه من علاج بينما كان السيد بابكر النور غير راض تماماً عن طريقة عرضي للمشكلة. وفي نهاية الأمر وافق المجلس على مقترحاتي وتقرر تكوين لجنة في الخارجية لوضع ضوابط لهذه العلاقات وتصفية تلك المشكلة حتى لا تسبب ضرراً وخلافات بين العسكريين والمدنيين في السفارات. وطلب بابكر عوض الله أن أترأس تلك اللجنة المكونة من السفير السيد الحضري وكيل الوزارة والسيد عبد الله الحسن السفير السابق.

زيارتي للسيد محمد أحمد محجوب في منزله وهو معتقل:

في الأيام الأولى من اضطلاعي بحقيبة وزارة الري، وكان الصديق وزميل دفعتي في الدراسة الاستاذ كرار أحمد كرار مازال أميناً عاماً لمجلس الوزراء في حكومة مايو الجديده باقياً في وظيفته التي كان يشغلها في حكومة السيد محمد أحمد محجوب التي أطاح بها الإنقلاب. وكنت اجلس دائماً بجواره في الاجتماعات وفي ذات يوم ونحن نتحدث قبل بدء الاجتماع ذكرته طلبه لي في الماضي لزيارة المحجوب معه لشكره على حمايته لي عندما نوقشت مشكلتي مع الوزير نصر الدين السيد واضرابي عن العمل آنذاك. فاقترحت عليه أن نذهب للمحجوب سوياً في بيته حيث كان معتقلاً لأقدم له شكري على موقفه معي آنذاك. وأيضاً لنزور الرجل في بيته مجاملة لما وقع عليه فوافق كرار واتصلنا بوزارة الداخلية وأخذنا أذنا بذلك وذهبنا اليه. وهناك استقبلنا المحجوب في ترحاب وكرم وتحدثنا عن الماضي وما وقع عليّ آنذاك وموقفه من قضيتي في المجلس. وذكرته اتصالي به من يوغندا ابان افتتاح مشروع البحيرات الاستوائية

وشكرته على موقفه معى فى المناسبتين. وكان حديثى مطيبا لخاطره ورفع من معنوياته إذ كان حزينا لما حدث وقال لى على الرغم من أن أحداً لا ينكر كفاءة ومقدرة الذين يجلسون فى مجلس الوزارة اليوم، إلا أنها خطوة إلى الوراء وكارثه حلت على السودان وسيأتى يوم قريب تتاكد لكم ولغيركم هذه الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان، وبعد أن يخرب السودان، ويومها لا ينفع الندم ولن يرجع الزمان. وكنت أستمع اليه، غير مؤمن بما يقول معتقداً بأن الرجل حزين لما فقد من مكانه وسلطان.

عملى كوزير للرى والقوى الكهربائية المائية:

أول عمل بدأت فيه هو إجراء التغييرات اللازمة فى الوزارة لتؤدى مسئوليتها فى كفاءة ومقدرة وكان صديقى وزميلى السيد صغيرون الزين لا يزال وكيلا للرى ويعمل فى مكتب الوزير بالخرطوم، فتحدثت معه عن الظروف الجديدة والمرحلة الصعبة التى سنمر بها، وبأنى أرى أنه قد بقى فى منصبه طويلا ولم يعد لديه جديد يقدمه وإقترحت عليه أن أحوله لوظيفة مستشار فنى للوزير فى نفس درجته وافق على ذلك ورقيت السيد يحيى عبد المجيد ليكون وكيلا للرى على أن ينقل لمدنى ليبقى فى قيادة العمل اليومى للوزارة هناك هنا تذكرت أخى يحيى عبد المجيد بخطابه الذى كان قد بعث به إلى فى عنتيبى عندما كان يريد العمل فى أفغانستان، ذاكراً فيه وقتها بانه لن يصبح يوماً من الأيام قط وكيلا للرى ها هو الآن قد اصبح وكيلا للرى ويشاء قدرى أن أكون أنا الوسيلة وأن تنعكس الأقدار بصورة لم تكن فى الحسبان بل وفى نهاية المطاف أحلت أنا على المعاش فى المجموعة الثالثة بينما أحيل يحيى على المعاش فى المجموعة الأولى. وأما السيد م.ع. نائب الوكيل فقد أوقفته عن العمل وطلبت منه أن يبقى بالخرطوم لحين البت فى الإتهامات الموجهة ضده من نقابة مهندسى الرى، بإرتكاب مخالفات عديدة قلت له أننى بصدد تكوين لجنة من خارج الوزارة للتحقيق معه فإذا برأته اللجنة، فإنى سأعيده لمنصبه وأرد إليه حقوقه وإذا بى أفاجأ برفضه للعرض فى عصبية معترفا بانه إرتكب مجبراً كل المخالفات التى جاءت فى صحيفة إتهام النقابة، وطلب أن يقدم إستقالته فاشرت إليه فى

هدوء بأن يجلس على المكتب ويسجل إعترافه والأسباب التى دفعته لإرتكاب المخالفات والتوقيع على الإعتراف إحتفظت بتلك الوثيقة فى خزانة المكتب وطلبت اليه الذهاب لبيته حتى أتوصل إلى أفضل السبل لمساعدته بالإحالة على المعاش إذ أن الإستقالة ستفقده الكثير من حقوقه، فشكرنى وخرج، ومن ثم رفعت الأمر لمجلس الوزراء طالبا إحالته على المعاش. وعند مناقشة المذكرة فى المجلس هاجمنى كل من السيدين فاروق أبو عيسى وسيد أحمد الجاك إذ أنهما كانا يعلمان أن مسلكه لم يكن سليما وطالبا بأن يقدم للتحقيق والمحاكمة فقدمت للمجلس كل الحقائق وقصصت عليهم قصته كاملة معى ومع الوزارة وأكدت بأننى إذ طلب إلى المجلس إحالته على المعاش لمعرفتى الشخصية بما يكتنفه من ضغوط وبسبب ضعف شخصيته، لا أريد أن أكون مسؤولا أو سبباً فى تحطيم حياته. فأنا أعلم بأنه إرتكب تلك الأخطاء بتحريض من بعض الوزراء أو رجال الأحزاب الحاكمة الفاسدين، بجانب الحالة النفسية التى كان يعيشها أما إذا رأى المجلس أن يقدمه للمحاكمه فانى أفضل أن أتقدم بإستقالتى لكى يقوم وزير آخر بهذه المهمة تأثر النميرى بالذات من حديثى وطلب من المجلس الموافقة على طلبى وإنهاء الأمر هكذا أحيل نائب الوكيل إلى المعاش وقد كان الموظف الوحيد الذى أبعد من وزارة الرى كلها فى تلك الحقبة التى إشتهرت بالتطهير الواسع من الخدمة العامة. نعم، الموظف الوحيد وما له ثانى، وبإحالته على المعاش فقط حتى لا يفقد حقوقه

العمّال الفائضون عن الحاجة فى الوزارة:

كان هناك ما يزيد عن حوالى سبعة آلاف عامل فائض عمالة فى الوزارة، أى بلا عمل يؤدونه. وكانت القوانين لاتسمح بفصل عامل إذا كانت الدولة عاجزة عن توفير عمل يؤديه فقمنا بفتح كمائن لصنع الطوب الأحمر الذى نحتاج إليه فى المبانى ونتحصل عليه من الموردين بأسعار عالية وحولنا بذلك حوالى نصف العمال للعمل فى هذا المجال. أما نصفهم الثانى فحولناه للعمل فى الوزارات الأخرى التى كانت بها حاجة لعمالة على أن تتولى وزارة الرى دفع أجورهم ومن بقى بعد ذلك حول إلى مقاولى المبانى والحفريات فى القطاع الخاص، على أن

يدفع المقاول نصف الأجر وتدفع وزارة الري النصف الآخر وإتفقنا معهم على أن يفصل أي عامل يتخلف عن العمل أو يثبت أنه غير قادر على القيام بالعمل الذي يوكل إليه وأشركنا نقابة العمال معنا في كل تلك الإتفاقيات والتحويلات التي تتمشى مع شروط خدمة العمال. هكذا تخلصنا من العمالة الفائضه في وزارة الري التي كانت من أمراضها المستوطنة. وبعد فترة وجيزة تخلصت الوزارة من دفع أي أجور لأولئك العمال الذين إلتحقوا بالوزارات الأخرى أو بالقطاع الخاص

مشروع تسمين الماشية في سوبا:

كنت قد علمت من وزير التجارة أنذاك زميلي السيد منصور محجوب بأن هناك ضائقة في اللحوم في العاصمة المثلثة وأن أسعارها مرتفعة بسبب قلة الوارد من الماشية من الأقاليم لأسباب مختلفة وكان وزير الثروة الحيوانية انذاك الرائد هاشم العطا يقول بأنه يمكن عمل مشروع لتسمين الماشية بالقرب من الخرطوم وتوفيرها لتجار الماشية، وأن هذا المشروع يحتاج إلى توفير الأعلاف من مزرعة تكون على مقربة من العاصمة ومفتاح الحل بيد وزارة الري فتحدثت مع زملائي المختصين في الوزارة وتوصلنا إلى أنه بإمكاننا ومن موارد الوزارة الخاصة من غير حاجة لإعتمادات مالية إضافية من وزارة المالية أن نشيد مشروعاً لري الأعلاف في سوبا، على أن تتولى وزارة الزراعة العمليات الزراعية وبالفعل قمنا بتخطيط المشروع وحفر القنوات والمصارف اللازمة وتوصيل مياه الري من نهاية القنوات الشمالية لمشروع الجزيرة وقد نفذنا ذلك العمل في بضعة أسابيع كانت محط تقدير وإعجاب الكثيرين وأذكر حادثة شيقة حدثت إذ دعوت الرئيس نميري للذهاب معي صباح يوم أثناء عمليات التشييد لتفقد أعمال المشروع ومقابلة العاملين هناك ذهبنا معاً إلى الموقع، وأثناء تفقدنا للأعمال والعمال يلتفون حولنا، والمهندس المشرف يشرح للرئيس ما كان يشاهد من أعمال، جاءت آلة حفر كبيرة (بلدوزر D8) يقودها سائق ضخم أوقفها من

خلفنا ونزل منها وتقدم نحو النميري للتحية وبسجيته الودية الساذجة عانق العامل بجسمه الضخم الرئيس مربتا على ظهره بتلك الكف الضخمة العريضة، حتى إنحنى النميري من ثقل التربيت على ظهره والعامل يقول له بصوت جهور " أوعى تتنفسّ باريس نحن وراك" فردّ النميري مبتسماً "لا ما بنفنس" وعانقه مرة أخرى بحرارة. هكذا هم السودانيون الطيبون، بسطاء لايعرفون التكلف والتطبيل. يحبونك عندما يعتقدون بأنك مخلص تبتغى الخير والعدل للناس ولا يخافون منك ولا يرهبونك إن كنت باطشاً أو ظالماً أو متكبراً فالمثل عندنا يقول "ما كسر إلا الجمل"

صلتي مع أعضاء مجلس الثورة والوزراء:

فى الأسابيع الأولى من إضطلاعى بالوزارة وفى زحمة العمل والاجتماعات والمناسبات، قامت بيني وبين الكثيرين من أعضاء مجلس الثورة والوزراء صلات ود وزمالة، بسبب طريقتى فى التعامل مع من حولى من الناس فأنا رجل صريح وأتكلم بما يجيش فى صدرى ولا أعرف النفاق والكذب حتى البرئ منه، وأتحدث دائما بثقة وإيمان فيما أقول كما أننى رجل عاطفى قوى المشاعر أفعل كل شئ بفكرى وعواطفى وأندمج فيما أعمله وفيما أقوله وكأنه جزء من نفسى ووجدانى. وكما قال لى يوما الاستاذ عبد اللطيف يوسف الصمد المدير العام للصندوق الكويتى للتنمية عندما كنت أعمل معه مستشاراً هندسياً "يامرتضى إنك تأخذ كل شئ إلى قلبك حتى العمل الرسمى يصبح جزءاً منك" وفى إعتقادى أن تلك الصفات وما كنت أظهره من حماس شديد للعمل، ومن إنجازات ملموسة فيما ألتزم به قربنى منهم وقوى الصلة بينى وبين الكثيرين منهم فى المجلسين وكنت فى أكثر الأحيان أقضى الأمسيات بينهم كما كان بيتى ملتقى للأصدقاء والزملاء من العسكريين والمدنيين.

وأذكر يوم جمعه أن إتصل بى النميرى فى بيتى طالبا أن أرافقه إلى

حفل في جامعة الخرطوم بمناسبة مؤتمر للاقتصاديين هناك، جاءني صباحاً في بيتي وذهبنا معاً. هناك جلسنا جنباً لجنب في قاعة الإمتحانات بالجامعة حيث كان الإحتفال. أذكر أن أحد الاقتصاديين السودانيين وقف في المنصة يلقي خطابه وفي نهاية حديثه قال "نميري الغذاء نميري الدواء نميري الكساء" فقلت للنميري هامساً في أذنه "يا عبد إنه يدصر فيك" فرد عليّ في همس "حاقوم أبهدله". فقلت له "لا حاقوم أنا وأفعل ذلك بدلا عنك" وبالفعل، وقفت وذهبت إلى المنصة وأمسكت بورق المحاضر وقلت له بصوت عال والمكرفون أمامه "سيبب السخف والتطبيل ده" وعدت إلى مقعدي فهمس النميري في أذني "مبسوط منك"

هكذا كان النميري في ايامه الأولى في السلطة رجلا بسيطاً إحتل فجأة مركزاً كبيراً ولازال في براءته وتواضعه يلحظ المنافقين والمطبلين ويتعرف عليهم بسرعة وأذكر أيضا أني كنت معه في سيارته والتفّ حولنا بعض الطلبة والمواطنين يهتفون مطالبين بفك سراح عبد الخالق محجوب أمين عام الحزب الشيوعي وغيره من المعتقلين هاج النميري وغضب وأراد أن ينزل لشتمهم فامسكت به وقلت له "عيب ياريس". وأمرت السائق بمواصلة السير ثم قلت له إنت رئيس الجميع، الفين معك والذين ضدك وأنت مسئول عن حمايتهم جميعاً، وتوفير الحرية والعدالة للصديق وللعدو فرد على قائلا "أما الله؟ أنا حتة عسكري." فقلت له "لو إنت حتة عسكري فهذا ليس مكانك إذن" فسكت ونظر إليّ في إستغراب.

مشكلتي مع رئيس مجلس الوزراء:

في اجتماع لمجلس الوزارء في الأسابيع الأولى لحكومة مايو، كان هناك خلاف بين الإتحاد العام لنقابات العمال واللجنة الوزارية برئاسة السيد بابكر عوض الله بشأن مطالب تقدموا بها وعند طرح الموضوع للنقاش في المجلس، ذكر

السيد بابكر عوض الله في أثناء عرضه بأن الإتحاد لا يمثل العمال. وبعد فتح باب المناقشة طلبت الحديث فسمح لي وبدأت حديثي الذي كان يخالف رأي رئيس الوزراء وعلقت على إدعائه بعدم تمثيل إتحاد النقابات للعمال، قائلا بأنها إسطوانة قديمة كان يرددها الحكام البريطانيون كلما شب خلاف بين حكومة الحكم الثنائي والإتحاد. وواصلت حديثي قائلا "كيف يحق لنا نحن الجالسين في المجلس أن ندعي بأننا نمثل الشعب وإرادته، وننفي حق الإتحاد في تمثيل العمال والذي جاء عن طريق الإنتخاب من نقابات العمال المنضوية تحت لوائه". وهنا لم يتحمل السيد بابكر عوض الله حديثي اللاذع وقاطعني بعنف وغضب مردداً "لا أسمح لك بأن تقول كلاما كهذا لا أسمح لك بالكلام" فما كان مني إلا أن رفعت صوتي مصراً بأني سأواصل حديثي وليس في قدرته إيقافي عن الكلام، فذلك حقي، وإذا لم يعجبه ذلك فلا سبيل لإسكاتي سوى إحضار الشرطة من خارج المجلس لإخراجي بالقوة من القاعة وقلت له "أظنك لا زلت تحسب أنك جالس في منصة المحكمة" فتوتر جو الاجتماع وزاد الهرج والمرج خاصة وأن السيد بابكر عوض الله رجل صعب وشديد الحساسية والغضب وتكهرب الجو وإرتفعت الاصوات مطالبة بالهدوء، بعضهم يطلب مني التراجع بوصفي أصغر سناً، وبعض آخر يحاول تهدئة رئيس الوزراء ولما فشلت كل المحاولات في إسكاتي أو إعتذاري ما كان من رئيس الوزراء سوى الوقوف في غضب والخروج من القاعة ومنذ ذلك اليوم لم أعد أتحدث معه أو أتبادل معه التحية والسلام. ومما لاشك فيه أن الذين كانوا يخططون في الظلام لإقصاء الوزراء المدنيين قد وجدوا في هذه الحادثة معولا لهدم الوزارة المدنية وإحكام قبضة العسكريين. كما أنها أيضا رفعت من قدري بين أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء بعضهم يظن بأني مجنون بعض الشئ وبعضهم يعتقد بأني شجاع لا أخاف من أحد. وكانت تلك المجابهة حديث الزملاء في المجلسين

مقابلتي للدكتور منصور خالد وتعرفي عليه:

أذكر بعد عودتي من عنتبي أن قالت لي شقيقتي فاطمة محتجة على تعيين الدكتور منصور خالد وزيراً للشباب والرياضة بأن هناك قولا بأن منصور خالد عميل للمخابرات الأميريكية وأنه منذ أن كان طالبا في الجامعة كان موضع إرتياب فقلت لها ربما هداه الله وعاد إلى رشده، إذ أني سمعت "بأنه كتب مقالا يهاجم فيه حل الحزب الشيوعي فردت علي قائلة "ليس هناك شخص سئ يصبح طيباً. ولكن بإمكان الطيب أن يتدهور ويسوء". في اليوم التالي ذهبت إلى مكتب رئيس الوزراء وهناك وجدت الدكتور منصور خالد جالسا أمامه ويتحدث إليه، ولم أكن أعرفه وعندما لاحظ السيد بابكر ذلك قام بمهمة التعريف وبدا لي بأن الدكتور منصور خالد الذي كان يعمل في منظمة اليونسكو حلت به نفس الظروف التي وقعت فيها عندما أستدعيت من عملي مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية، وربما كان يطلب إعفاءات جمركية لسيارته وممتلكاته الشخصية عندما يحضرها إلى السودان لهذا أشار عليه السيد بابكر عوض الله بأن يذهب معي إلى جانب من مكتبه الكبير لأحدثه في الأمر. فعلنا ذلك وفي حديثي مع الدكتور منصور سألته عن كيفية إنهائه لعمله مع اليونسكو. فقال لي أنه إتفق معهم على أن يقبل المنصب الوزاري فإذا حدث أمر ما وتغير الوضع أو أعفي من منصبه يعاد إلى وظيفته معهم حيث أنه غير واثق بأن هذا الوضع سيستمر طويلا فنظرت إليه في إحتقار. وعندما سألني ماذا فعلت أنا عندما أنهيت عملي في عنتبي قلت له أني أنهيت كل صلة لي بعملي السابق وأني مع هذا الوضع قلبا وقالبا وإذا راح في داهيه فأنا ذاهب معه في ستين داهيه ولن أدبر لنفسي مخرجا خاصا بي قبل أن أبدأ في العمل أو حتى أفكر مجرد تفكير بذلك ومن يومها لم أجد لهذا الرجل في نفسي سوى الإحتقار.

معركة الجزيره أبا:

كان الانصار وهم طائفه دينيه من أتباع الأمام المهدى الذين حاربوا الأتراك واخرجوهم من السودان في أواخر القرن الماضي، وظلو يمثلون جزءا كبيرا من السودانيين. كما ظل في قيادتهم أبناء وأحفاد المهدى ولما جاء إنقلاب ٢٥ مايو إلى الحكم أبعدت قيادتهم التى كان على رأسها آنذاك السيد الهادى المهدى ولهذا فقد كان لهم موقف شديد العداء ضد حكومة مايو وكان الهادى المهدى مقيما فى الجزيره أبا فى نهر النيل الابيض على بعد قرابة ثلاثمائة كيلو متر جنوب مدينة الخرطوم هناك معقل طائفة الأنصار ومركز نفوذهم على غالبية القرى والأرياف على ضفتيّ نهر النيل الأبيض. فارادت الحكومة أن تقضى على نفوذهم فى تلك المنطقة، وتؤكد له واتباعه بأن سلطة الدولة موجودة فى ذلك الجزء من البلاد أيضا، ولهذا تقرر أن يقوم النميرى وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء بزيارة للمنطقة إبتداء من الخرطوم وإنتهاء بمدينة كوستى على بعد حوالى ٢٥٠ كيلو متر جنوب الخرطوم. وبدأت الرحلة بالباخرة النهرية من مرفأ الخرطوم لتقف فى المراسى النهرية على ضفتى النيل الأبيض حيث كانت إستقبالات المواطنين حارة ومرحبه حتى مدينة الدويم وهى حوالى ١٨٠ كيلو جنوب الخرطوم، وبعد ذلك مباشرة بدأنا نشاهد اعدادا كبيرة من الأنصار المسلحين بالحراب والسيوف على ضفة النهر ويلوحون باسلحتهم فى تهديد ووعيد وهتافات عدائيه استفزازية وما أن وصلنا إلى مدينة الكوه التى تقع على بعد ٣٠ كيلو مترا جنوب الدويم حيث نزلنا لمقابلة المواطنين هناك، حيث قابلتنا جماعة منظمة فى ضفتين على جانبى طريقنا من الأنصار المسلحين يهتفون بشعارات عدائيه ويتحركون لتضييق طريقنا فى تحد وإستعداء. قررنا العودة إلى الباخرة فوراً وهناك عقدنا اجتماعا وناقشنا ذلك التحدى والاستفزاز وتقرر إرسال الضابط أبو الدهب مع نخبة من العسكر لمقابلة السيد الهادى المهدى فى مقره فى الجزيرة أبا ودعوته لوقف تلك الإستفزازات وسحب اتباعه وعودتهم إلى مناطقهم. ثم واصلنا رحلتنا إلى كوستى هناك عاد الينا الضابط أبو الدهب ورفاقه وأخبرنا بأن هناك حشودا كبيرة من الأنصار المسلحين فى الجزيرة أبا وأن ما رأيناه من اعداد منهم فى طريقنا لا يمثلون إلا قمة جبل الجليد وأنهم تحرشوا به ومن معه وكادوا يفتكون بهم لولا حماية كبار الأنصار الذين قادوهم

لمقابلة السيد الهادي المهدي كما أن الهادي نفسه كان متحرشا وعدائيا في استقباله لهم وأنذرهم بأنه يستطيع أن يقضي عليهم وعلى النميري ومن معه في الباخرة في لحظات بل يستطيع أن يقضي على النظام بأسره إذا أراد أن تكون المجابهه دمويه. ولكن حقناً للدماء سيسمح لهم بالعودة للنميري ليبلغوه بشروطه الآتية:-

أولاً: إبعاد جميع الشيوعين الذين في الوزارة.

ثانياً الجلوس معه لمناقشة الوضع في البلاد والإتفاق على تكوين حكومة مقبوله له لحلفائه في الحزب الوطني الإتحادي.

ثالثاً الإتفاق على فترة محددة تجرى بعدها إنتخابات عامة تأتي بحكومة تتسلم السلطة من الحكومة المؤقتة وتعود بعدها الجيش إلى ثكناته

وقد أكد لنا أبو الدهب بأن هناك إستعدادات كبيرة للقتال تدل على أن السيد الهادي يخطط إلى تفجير حرب ضد الحكومة ونصح بأن نقطع رحلتنا ونعود فوراً إلى الخرطوم إذ لا يستبعد أن يهاجم الأنصار الباخرة في تلك الليلة وبالفعل قطعنا رحلتنا وعدنا على طائرة مروحيه إلى الخرطوم.

الهجوم على الجزيرة أبا:

بعد عودتنا إلى الخرطوم قرر العسكر دون اشراك مجلس الوزراء أو حتى إعلامه رسميا، بضرب الجزيره أبا جوا وبراً وبُعث بالضابط أبو القاسم محمد إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة لقيادة الحملة ضد الانصار في معقلهم هناك ومرت الأيام وكثرت الاشاعات، وجاء الناس الينا نحن المدنيين في حكومة العسكر يسألوننا عن صحة الاخبار التي يتداولها الشارع في العاصمة والاقاليم بأن قوات الإمام الهادي قد قضت على قوات الحكومة أو أن الإمام قد قتل وهدم قصره عليه، أو أن الإمام هرب إلى مناطق نفوذه الخاصه إن كانت في غرب السودان أو شرقه وبما أن اجتماعات مجلس الوزراء كانت متوقفة بسبب معركة الجزيرة أبا فقد أصبحت رئاسة القوات المسلحة في الخرطوم مقراً للنميري وزملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة وكبار ضباط الجيش ولم يعد وزراء

الشعب من المدنيين يعلمون بما يجرى من قتال ومعارك بل أصبح الشارع مصدر ما يصلهم من شائعات منها أن مصر شاركت بقوات جوية في المعركة. ولهذا قررت أن أذهب إلى هناك لاقف على حقيقة الأمر

عندما دخلت إلى مبنى رئاسة القوات المسلحة قابلني منصور خالد خارجا وبعد التحية والسلام سألته عن مكتب الرئيس إذ كنت ذاهبا إليه لأعرف حقيقة ما يجرى من قتال في الجزيرة "أبا". فنصحني منصور ألا أذهب قائلا أن الرئيس مشغول بإدارة المعركة ومتوتر الأعصاب ولا يظنه يرغب في استقبال أحد فلم أهتم بما قاله إذ أنني كنت أحتقره لتطبيله وتأليهه للرئيس وواصلت سيري نحو المكتب ودخلت عليه مسلماً وجلست أمامه ولاحظت فورا أنه يعبث بتثقيب غطاء الجوخ الأخضر الذي على مكتبه بواسطة فتاحة الخطابات الحديدية بعصبية واضطراب فقلت له "أيه ياريس الحكاية؟" رد قائلا "حكاية أيه؟؟" قلت الحرب دي طالت والناس بتسألنا عن الحاصل "فرد في غضب وانفعال" أنتو فاكرين الحكاية دي لعب ديل ستين ألف مقاتل مسلح". قلت. ديل يطلعوا مين؟ قال "الأنصار أنتم فاكرنهم حاجة سهلة ده جيش "قلت جيش بتاع مين وأنصار أيه ولا أنت عاوز تخوفني ده كلام تقوله ياريس وأنت القائد أحسن نقول الحقيقة للناس لأن الشائعات ماليه البلد. وضررها أكبر واخطر من الستين الف أنصاري. وظل ينظر إليّ في استخفاف بل أظنه لم يكن يستمع إليّ. فالهلع والخوف كانا يملأن قلبه وكل ما يحيط به ولم يكن يود أن أواصل حديثي معه بل شعرت بأنه يفضل خروجي فودعت وخرجت والشك يملأني في قدرته وتماسك أعصابه وحسن تقديره في وقت الشدائد حتى في مجال عسكريته وقد علمت فيما بعد أنه كان ينوي الدخول في مساومات مع الأنصار لولا ضغوط وتدخلات حسمت الموقف كما كان لقيادة أبو القاسم محمد إبراهيم للمعركة وحسمها في عنف، الأثر الكبير في إنهاء مقاومة الأنصار بهروب زعيمهم الهادي المهدي وما تبع ذلك من هجوم فاشل للأنصار في "ود نوباوي بأم درمان"

دعوة أهالي القطينة للأحتفال بالسيد بابكر عوض الله:

دعينا في يوم جمعة إلى القطينة على النيل الأبيض بمقربة من الخرطوم

للإحتفال بإبنيَّ القطينة الذين أصبحا في قيادة الثورة، وهما السيد بابكر عوض الله وشخصي وفي الحقيقة لم أكن من أبناء القطينة تماماً ولكنها موطن أهلي وأبي وجدي، وكانت ظاهرة الإحتفالات تكريماً لأعضاء مجلس الثورة والوزراء الذين جاءوا من مناطق خارج العاصمة فرصة لتعرف الناس بهم ومناسبة لطرح شكاوى تلك المناطق وما ينقصها من خدمات. فجئنا جميعاً من مجلس الثورة والوزراء إلى القطينة وقضينا يوم جمعة بأكمله هناك. وفي العصر تجمع الناس في عصرية سياسية. جلسنا نحن جميعا في المنصة الرئيسية نستمع للخطباء والشعراء الذين كانوا يمجدون الثورة وأبناءها البررة. ثم جاءت قائمة مطالبهم في توفير الماء والكهرباء وغير ذلك من الخدمات التي يفتقدونها. وفي النهاية عندما جاء دور المحتفى بهما في الرد بالشكر على الدعوة الكريمة على ما جاء من مطالبهم طلب مني السيد بابكر عوض الله الرد نيابة عنه وعن الضيوف. فوقفت أرتجل القول، وبعد عبارات الشكر والتقدير وبعد التأكيد لهم بأننا سائرون في الدرب الذي إخترناه من أجل الشعب وحقوقه، بدأت أرد عليهم في موضوع مطالبهم بأننا لسنا كالحكومات السابقة نكذب على الناس ونوعدهم بتوفير خدمات غير مدرجة في الخطة، حيث لا بدّ من التريث حتى يأتي دور منطقتهم في ذلك أو عليهم أن يوفروها بالعون الذاتي.

لم يعجب حديثي السامعين بل كانوا يتمنون أن أقول لهم ماننا سنحقق ولو بعض ما يطلبون، فيصفقون ويهتفون وينفضون سعداء وغدا ينسون ما سمعوا. ولهذا وقف التصفيق بغتة فقال لي السيد بابكر عوض الله من خلفي "ليه يا مرتضى تقول لهم الكلام دا "فقلت "أليس تلك هي الحقيقة وما أقره مجلس الوزراء في ميزانية هذا لعام؟" فقال "يعني لأزم تقول لهم الحقيقة؟" ولكنني لم أردّ، وأنهيت خطابي. وجاءني بعدها من قال لي بأنني غير دبلوماسي ولا أعرف دروب السياسة وأساليبها، وإنني لم أوفق في ردي على الذين أرادوا أن يحتفلوا بنا.

والدي وتأديب إبنه الوزير:

بعد أن تسلمت حقيبة وزارة الري والقوى الكهربائية المائية وفي الشهور

الأولي من إنقلاب مايو قرر وزير الخزانة السيد منصور محجوب، إنهاء خدمات جميع موظفى الدولة الذين بلغوا سن المعاش التى كانت أنذاك ٥٥ سنة و لا زالوا يعملون تحت ما كان يسمى بنظام المشاهرة أى إيقاف صرف المستحق من المعاش والإستمرار فى الخدمة بالمرتب الذى كان يتقاضاه الموظف وذلك بعقد شهرى يجدد نهاية كل شهر. وكان الغرض من ذلك هو توفير اعتمادات ناتجه عن الفرق ما بين المرتب والمعاش لتشغيل العاطلين من خريجى الجامعات الذين لم تتمكن الوزارات من استيعابهم لعدم توفر الاعتمادات وعندما تسلم العم المهندس "م.ف" الإنذار بإنهاء خدمته من وكيل وزارة الرى طلب مقابلتى والعم "م.ف" كان زميل الدراسة وصديقا لوالدى رحمهما الله

دخل عليّ العم (م.ف) فى مكتبى وبعد أن قمت باستقباله فى احترام وترحيب وأجلسته على مقعده وجلست إليه لاستمع لما يريد، قال لى "ياإبنى كم فرحنا عندما عينت وزيرا لنا. وتفاءلت خيرا بقدومك على رأس هذه الوزاره. وفجأة وصلنى إنذار إنهاء خدماتى. ولهذا جئت اليك لتوقف هذا الضرر" حاولت شرح الموضوع له ومسبباته وما يهدف اليه القرار، عاذراً السيد الوكيل فى إصدار أوامره التى هى اصلا أوامر وزير الخزانة بتوجيه من الحكومة ممثلة فى مجلس الوزراء ولما شعر بأنى لا أنوى تغيير الوضع وقف فجأة وودعنى وخرج.

ذهبت وزوجتى وأولادى كعادتى فى نهاية كل أسبوع إلى منزلنا فى حى العباسية بمدينة أم درمان لزيارة والديَّ فاستقبلتنا فى مدخل البيت والدتى المرحومه الحاجة عائشة محمد أحمد فضل وحذرتنى بأن الوالد غاضب عليّ إذ أنى تسببت فى إنهاء خدمة العم "م.ف" الذى كان قد زار والدى وقص عليه قصته الحزينة دخلت مع أولادى إلى ديوان والدى تصحبنى زوجتى وأمى وسلمنا عليه وجلسنا لنتحدث عن صحته وأحواله، وهو مسرور فرح يضم إبنى "سامى" إليه ويداعب إبنى "حسن" باسماً. ضاحكا وفجأة التفت إليّ وقال "ليه يامرتضى رفت عمك؟" رددت عليه" يا أبى إننى لم "ارفت" عمى كل ما فى الأمر أن وزارة الخزانة أصدرت أوامرها لجميع الوزارات لإنهاء خدمات الموظفين الذين بلغوا السن المعاشيه ولا زالوا يعملون بعقد المشاهره، وذلك لتوفير اعتمادات لتشغيل خريجى الجامعات العاطلين عن العمل. "فردّ "ولكنك الوزير ويمكنك أن تستثنى من تشاء" رددت مندهشا "ياوالد، أتظن أنى استغل مركزى لاعبث بالأموال

العامة، التي أنا حارس عليها، لمنفعة من لهم صلة بي وأنا بالأمس، أمام الناس جميعاً حلفت اليمين لكي احترم قوانين البلاد وأؤدي عملي بأمانة وصدق"؟ نهض فجأة وأمسك بعصا منتهراً: "ياولد، أتعلمني الأخلاق وتحدثني عن المحافظة على الأموال العامة؟" وبدأ يضربني بالعصا فما كان مني سوى أن اخذت اتحاشى بيديّ وقع العصا على رأسي جاءت والدتي محتجة مستاءة تبعد العصا عني وتدفعني للخروج من باب الديوان. وهكذا خرجت بينما أولادي وزوجتي جالسون ينظرون لهذا المشهد الغريب في دهشة ورعب.

ذهبت مع والدتي إلى الجانب الآخر من البيت حيث جلست مع والدتي استمع لاستيائها من فعلته، مفسرة لي بأنه يحسب نفسه لايزال مشرفا على تربيتي ويحسبني لازلت ولده الصغير المحتاج لتأديبه وتوعيته حتي ولو صرت وزيراً. وضحكنا تلك كانت حياتنا وذلك كان أسلوب تعاملنا وتربيتنا. وبعد قليل جاء والدي رحمه الله يحمل "حسن" الصغير ويمسك بيد "سامي" وهو يحدث لزوجتي وجلسوا الينا وتواصل الحديث والأنس والسمر وجاء العشاء ونسينا ما حدث في الديوان وكأن شيئا لم يكن. وفجأة استفسرني ابني "سامي" يا أبوي "الدق حرقك؟" قلت ضاحكا طبعا، ما شفت العصاية غليظة كيف؟" وضحك والدي وضحكنا جميعا. فقد كانت حقا نكتة كبرى وهكذا كان والدي رحمه الله رجل شديد الحساسية، يثور بعنف إذ أعتقد أني جرحت كرامته وكبرياءه وكان رجلا سريع الإنفعال لا يتردد في المجابهة مهما كان الثمن، لأسترداد كرامته وعزة نفسه ولتكن بالعصا فأنا لازلت بعد إبنه الصغير، وزيراً كنت أم غفيراً.

إعفاء الدكتور محمد عبد الله نور وتعيين السيد على التوم:

كانت صلتي في الشهور الأولى بالرئيس النميري قوية جداً وكان واضحاً أنني أتمتع بثقته ووده، وكان هذا هو الحال مع الأغلبية من أعضاء مجلس الثورة أذكر أني كنت معه بمكتبه في القصر عندما جاءه عدد من الخبراء في وزارة الزراعة يشتكون من وزيرهم لعدّة أسباب ذكروها وكان من بينهم المرحوم الدكتور تاج الدين البيلي الذي تربطني به صلة نسب وبعد إنتهاء المقابلة تحدث

النميري معي في الموضوع فقلت له من الأفضل أن تتحدث مع الدكتور نور بعد عودته من القاهرة حيث كان في زيارة رسمية بعد عدة أيام إتصل بي النميري في منزلي مساء وكنت مريضا أعاني من الحمى بسبب أوجاع في الحلق بعد السؤال عن صحتي، أخبرني بأنه بصدد إعفاء محمد عبد الله نور وتعيين "الدكتور قريبك" ولم يكن يتذكر حتى أن اسمه "تاج الدين بيلي" كل ما يتذكره أنه "قريبي" وكأنها مكافأة لي أن لم يكن ما هو أبعد من ذلك. إندهشت وقلت له "هذا لا يجوز ياريس أولا محمد عبد الله نور لا زال خارج البلد وثانيا أنت لم تسمع وجهة نظره فيما هو مأخوذ عليه وبعدين تاج الدين بيلي دا ما ممكن تحكم بأنه الأصلح من مقابلتك له يومذاك فسيبك من الموضوع دا قال لي "قلت كدا؟" وإنتهى الأمر. وبعد عودة محمد عبد الله نور بفترة وجيزة أعفي من منصبه وعين السيد علي التوم وزيراً للزراعة"

مصالحتي مع رئيس الوزراء وبدء تحرك العسكر للإستئثار بالسلطة:

سافر السيد بابكر عوض الله لحضور اجتماعات الهيئة العامة للأمم المتحدة في سبتمبر ١٩٦٩ وفي طريق عودته زار برلين الشرقية إذ كانت حكومته قد إعترفت بألمانيا الديمقراطية وبصدد تبادل التمثيل الدبلوماسي معها. هناك ألقى خطاباً يشيد بدور الشيوعيين السودانيين في التحرّر من الإستعمار البريطاني وفي دعمهم لثورة مايو. أثار ذلك الخطاب العسكر في مجلس الثورة وفي القوات المسلحة، وبالطبع كانت هناك جهات متعددة في الوزارة وخارجها تخطط وتعمل في الظلام والعلن لحل الحكومة الدنية للتمهيد لبسط سيطرة المؤسسة العسكرية، لمعرفتهم بطبيعة تكوين المؤسسة وخلفيات ضباطها فقد كانوا يعلمون بأن جميع الضباط في المؤسسة من خريجي المرحلة الثانوية والغالبية العظمى منهم كانوا من الطلاب ضعيفي الدراسة والمعرفة وناقصي التحصيل العلمي كما كانوا يعرفون تعطش العسكر للسلطة وإصدار الأوامر للناس وجرهم صفوفا خلفهم دون مناقشة أو محاسبة أو سؤال فكل شئ في فكر العسكر وعقيدتهم خاضع للضبط والربط وأصحاب المصالح يدركون بأنه إذ تم بسط السلطة العسكرية يسهل التضليل والتهويش، وتنفق الملايين في الصرف

البذخي ومشاريع الأفيال البيضاء. منذ ذلك تسهل الرشوة والفساد وتنتفخ الجيوب في المؤسسة العسكرية وفي بعض القطاعات المدنية والشركات الأجنبية تحت المظلة المحكمة التي لا ينفذ منها صوت أو نور، مظلّة نصبت في أجواء من الضبط وأحكمت بأوتاد حديدية للربط. كانت غالبية الوزراء، كما جاء ذكره من قبل، يتصفون بالنزاهة والوطنية والأمانة مصممين في أعمال وزاراتهم، عارفين بالنظم والقوانين التي تحكم المعاملات في الانفاق والصرف العام. وكان التقشف والإنضباط الطابع المميز للحكومة فلم تخصص سيارات حكومية للوزراء بل كان كل منهم يستعمل سيارته الخاصة، كما خفضت مرتبات الوزراء حتى أصبح دخل الوزير أقل من مرتب وكيل الوزارة ومخصصاته. وكان الوزراء يسكنون في منازلهم الخاصة أو أينما كانوا يسكنون من قبل تولي المنصب. ووضعت خطة لتنمية واقعية وميزانية تقشفية هدفها المصلحة العامة دون محاباة لمنطقة أو فئة من المواطنين. وأعطي للعاملين في جميع القطاعات حق التجمع والتعبير والتظاهر وتم إشراكهم في برامج الوزارات وقيادة العمل وتوجيه التنفيذ والإنفاق العام بهدف الاقتصاد وتخفيض التكاليف. هذا ما شجع الكثير من العاملين على زيادة العمل الإضافي دون أجر أو مكافأة.

وبالنسبة لمشكلة الجنوب فقد أنشئت لأول مرة وزارة تعنى بشئون الجنوب ومشاكله شغلها السيد جوزيف قرنق. وتم إعلان ٩ يونيو المشهور الذي ردّ للجنوب إعتباره وحقه في الحكم الذاتي وإدارة شئونه بواسطة أبنائه. كما تحسنت العلاقات بين السودان وجميع جيرانه بعد أن أرسلت وفود من الوزارة لكل جارة لحل المشاكل وحسم الخلاف وتأكيد الصداقة والود وعدم التدخل في الشئون الداخلية للطرفين. أما الجارة الشقيقة مصر، مصر عبد الناصر، فقد أصبحت علاقتنا معها في قمة المتانة والجودة والمودة. وكان الرئيس جمال عبد الناصر الأب الروحي والشقيق الأكبر وموضع الحب والتقدير والثقة من الجميع

لكل ذلك كان واضحا بأن مجلس الوزراء المدني، والوزراء كل في وزارته، هم السلطة الحقيقية الفاعلة في أمور الدولة والوطن. وهذا أمر لم يكن يتوقعه أحد بعد إنقلاب عسكري أبعد حكومة مدنية من السلطة ولم يكن له من سابق لذلك. شعر العسكر في مجلس قيادة الثورة وفي القوات المسلحة أنهم وقد إستولوا على السلطة، إلا أنها طارت من أيديهم لاسيما حين يأتي إليهم أصحاب

المصالح الخاصة ولا يستطيعون عمل شئ. أحسوا بالفراغ وهم شباب ممتلئون قوة وحيوية وفى قمة السلطة ولازالت مرتباتهم ومخصصاتهم كما كانت عندما كانوا ضباطاً فى الجيش. واكتشفوا أنهم على رأس دولة، وليست لديهم سلطة تنفيذية فى تسيير أمور الدولة وشئون الناس. وهكذا، وهم صانعون محتارون، إنهال عليهم التشجيع والإغراء من أصحاب المصالح واللاهثين وراء المناصب والمراكز للإستيلاء على مجلس الوزراء حيث السلطة الحقيقية وحيث الوصول إلى مصالح الناس ومطالبهم. أفليسوا هم الذين وضعوا رؤوسهم على أكفهم عندما تحركوا ليلا من "خور عمر" للإستيلاء على السلطة فى الخرطوم؟ فالسلطة كل السلطة مركزة فى مجلس الوزراء وليس فى مجلس رأس الدولة. إذن لابد من تكملة ما تآمروا على سرقته والحصول عليه والإستئثار به.

ومن ثم، بدأت الخطوة الأولى بتحرك من مجلس قيادة الثورة بالهجوم العلنى على رئيس الوزراء الذى كان خارج البلاد وإمتلأ الجو بالشائعات عن إقالة رئيس الوزراء وإجراء تعديل وزارى وشيك لتصحيح مسار الثورة وتغيير مواقع الثوار. فتحركت مع بعض الزملاء من الوزراء أذكر منهم فاروق أبو عيسى والشيلى وسيد أحمد الجاك وذهبنا لمقابلة النميرى وزملائه تحدثنا عن خطأ الأسلوب فى التعامل مع الأزمة، وعدم المسئولية فى إتخاذ قرارات تفسر وتذاع بناء على ما نشرته وكالات الأنباء الأجنبية. طلبنا منهم التريث حتى يعود رئيس الوزراء إلى البلاد، وتعرف الحقائق. أشعرناهم بأننا لن نسمح بإقالة رئيس الوزراء إذ أننا سنذهب معه أيضا إذا تم ذلك. فتراجعوا وبدأنا نخطط للمجابهة. تضامنا مع السيد بابكر عوض الله. وقد كنت أعتقد بأن السيد بابكر عوض الله لن يقبل أية إهانة أو تجريح وأنه سيعود محتجاً على ما أصابه من نقد وتهجم وهو فى الخارج. وبدافع من ضميرى ومشاعرى نسيت فى تلك الأيام ما كان بينى وبين السيد بابكر عوض الله من خصام وتحمست للدخول بجانبه فى مجابهة العسكر وأساليبهم فى التعامل مع البشر. وذهبت مع غيرى لإستقباله فى المطار. وبعد نزوله من الطائرة وتبادل التحية والترحيب والسلام، لاحظت أن الفارس يبدو حزينا ومنكسر الجناح. صحبته مع زملائى من الوزراء إلى داره التى دخلتها لأول مرة منذ أن تعرفت به فى أول لقاء بيننا بعد مايو. وهناك فتحنا الموضوع ونحن فى حماس للمجابهة. وكم كانت خيبة أملى كبيرة،

وشعرت بإحباط شديد، حين قال لنا السيد بابكر عوض الله بأنه قابل الرئيس جمال عبد الناصر عندما كان في القاهرة في طريق عودته للخرطوم، وأنه تحدث معه في الأزمة وأشار إليه جمال بعدم المجابهة مع العسكر بل طلب إليه أن يقبل بأي منصب يعرضونه عليه، وذلك ما إستقر عليه رأيه

من ذلك اليوم إنتهى الرجل وإنطفأت فيه نار المقاومة والتحدي ورضخ لما يطلبه منه العسكر، الذين كانت أغلبيتهم في سن أبنائه، بعد أن كان لهم قدوة وأبا ومستشاراً. ولم يتخذ أي إجراء ولم تقال الحكومة وتعدل في تلك الأيام وربما كان قد إتفق معهم على أمر ينفذ في المستقبل بعد أن تزول العاصفة وهذا ما أثبتته الأيام فيما بعد

في هذا الجو بدأت التكهنات والشائعات في مجلس الوزراء وفي القوات المسلحة ومجالس الليل في العاصمة تتحدث عن التعديل الوزاري المرتقب. وفجأة في يوم من الأيام إتصل بي في مكتبي الرائد أبو القاسم هاشم أمين عام مجلس قيادة الثورة في حوالي الساعة الواحدة ظهراً وطلب مني الحضور فوراً للقصر الجمهوري حيث سيعقد إجتماع مشترك لمجلس الثورة والوزراء ولما سألته عن السبب، فضل أن يخبرني بعد وصولي القصر هناك قابلني في الممر المؤدي إلى القاعة وأخذني جانباً ليقول لي بأن مجلس الثورة قرر إجراء تعديل وزاري يصبح فيه النميري رئيساً لمجلس الوزراء ويصبح السيد/ بابكر عوض الله وزيراً للعدل. كما تقرر أيضا إخراج عدد من الوزراء ليحل محلهم بعض أعضاء مجلس الثورة وبعض ضباط الجيش. وأن الخارجين من الوزارة قد أخطروا بالقرار ورحبوا به كما تقرر تعيينهم سفراء في بعض الدول، ومناصب السفراء عادة هبات العسكر البراقة للمثقفين المتطلعين إلى المناصب، ولضباط الجيش ذوي الطموحات في السلطة، حيث المستوى المعيشي العالي الذي لا يكلفهم كثير شئ بسبب المعاملة الدبلوماسية التي تهئ لهم المشتريات المعفاة من الضرائب في السوق الحره وعلى الأخص المشروبات الروحية التي يسيل لها لعاب غالبية الضباط والمثقفين "الوطنيين". ذهلت لما سمعت وقبل أن أنطق بكلمة طلب مني بناء على نصيحة من زملائه - كما بدا لي - بعدم إثارة أي مشاكل إذ أن الجميع في داخل القاعة التي سادخلها بعض لحظات وقد حضروا قبلي بفترة، رحبوا بالخطوة المباركة.

دخلت القاعة الكبيرة وكان الجميع جالسين ووجدت مقعداً خاليا بالقرب من الأخ والصديق عبد الكريم ميرغني وزير التخطيط جلست عليه تحدث السيد بابكر عوض الله قائلا "أن الثورة دائمة الحركة، والثورة لا تعرف التوقف والسكون والثوار في درب الثورة يتبادلون المواقع من أجل الثوره وتقويتها ودعم مسيرتها. ومن هذا المنطلق تخليت عن رئاسة مجلس الوزراء للأخ الرئيس القائد ليصبح رئيسا للمجلسين لتتوحد القيادة وتنتظم الخطوة للأمام" ثم تحدث بعده النميري شاكراً له مواقفه الشجاعة وتفهمه للثورة وأهدافها ومتطلباتها في كل مرحلة ثم شكر الوزراء الذين تقرر إعفاؤهم وتمنى لهم التوفيق في مناصبهم الجديدة ثم رحب بالثوار الذين دخلوا المجلس مؤكداً ولاءهم ودعمهم للمسيرة كما إقتضت بذلك المرحلة الجديدة. تحدث بعده الدكتور محيي الدين صابر وزير التربية والتعليم مؤيداً التعديل ومؤكداً أنها خطوة في الإتجاه الصحيح وفي أثناء ذلك لاحظت الدكتور منصور خالد وزير الشباب والرياضة، الذي كان يجلس في المقعد الملاصق لمقعد عبد الكريم ميرغني من الجانب الآخر، يومئ لرجال الإعلام في جهازي الإذاعة والتلفزيون للدخول إلى قاعة الإجتماع، كما لاحظت أيضا أنه أخرج ورقة من جيبه ثم وقف فجأة وذهب إلى النميري وسلمه الورقة وهنا وضحت لي المؤامرة كاملة.

عاد منصور خالد وجلس في مقعده في تلك اللحظة لم أستطع أن أتمالك مشاعري وتملكني غضب شديد. تأكد لي بأن هناك طبخة تم إعدادها وأنا وغيري من الذين لا يعرفون العمل في الظلام غير فاطنين لها وإننا أصبحنا "طراطير" معهم ما كان مني إلا أن وقفت فجأة، ودون طلب الإذن بالحديث إلتفت أولا نحو مقعد منصور وإنحنيت نحوه وبصقت في وجهه ثم إنتصبت واقفا وبدأت حديثي في غضب وإنفعال شديد مخاطباً النميري وبابكر عوض الله قائلا "يعني الحكاية كلها مطبوخة وأنا غير داري بما يدور من حولي فجأة يتصل بي الأخ أبو القاسم هاشم يطلب مني الحضور إلى إجتماع هام ولا يخبرني بموضوع الإجتماع. وعند وصولي يأخذني جانباً ليخبرني بما أتخذ من قرارات خطيرة وبأن الجميع موافقون ومتفهمون لما حدث ويطلب مني إلا أثير أي مشاكل ثم أحضر إلى هنا لأسمع حديثا عن مسيرة الثورة وما تتطلبه من تغيير لمواقع الثوار ويخرج هذا ويدخل ذاك ولا أدري لماذا حدث ذلك ويقال لي بأن السبب هو

الثوره ومسيريها إنتو فاكرين أنا طرطور، ولا نحن في نادي كوره. يعني لما أطلع من هنا ويسالني الناس. لماذا خرج هذا ودخل ذاك أقول لهم أنها الثورة وتغيير المواقع؟؟ أنا كنت فاكر إننا أخوة ورفاق. نعمل يداً واحدة لخدمة البلد والناس. أما إذا كانت الحكاية مؤمرات، ومناصب توزع، وقرارات تتخذ دون علمي ومشورتي، فأنا لست في حاجة لمنصب وزير وأنا أيضا خارج مع الخارجين" ثم التفت إليّ الأخ الدكتور طه بعشر وزير العمل، وقد كان من الذين أخرجوا من الوزارة، وكانت لي به صلة العمل المشترك عندما كان رئيسا لإتحاد الطلبة السودانيين بالمملكة المتحدة وكنت أميناً عاماً للإتحاد في أوائل الخمسينات قلت له "وأنت يا بعشر أمحتاج أنت لكي يوظفوك سفيراً؟ أما لديك في مهنتك في الطب ما يكفي لملئ يديك؟" ثم إنفجرت باكيا من الحزن والأسى والغضب لما شاهدته وسمعته في هذه المسرحية السخيفة. ولابد لي هنا أن أذكر بأني مريض بالسكر ولهذا فأنا سريع الغضب وشديد الإنفعال. وعلى الفور وقف الصديق عبد الكريم ميرغني وضمني إليه مواسيا وأقعدني في محبة وود ثم طلب إحضار كوب من الماء مردداً "إشرب يامرتضى" وكان الصمت يهيمن على القاعة والحاضرين. وفجأة وقف النميري وقال مخاطبا الإجتماع "ياجماعة لقد حان موعد سفري (وكان يومها مسافراً في أول رحلة له بعد الإنقلاب في ٢٥ مايو إلى خارج العاصمة تلبية لدعوات من الأقاليم) لننسى ماحدث. ولينفض الإجتماع ولنلتقي مرة أخرى للتشاور والبحث" ثم ودع وخرج وانتهى الإجتماع إلى لا شئ وعاد رجال الإعلام ومعداتهم دون أي أخبار أو بيانات وملأت المرارة قلوب أهل المكيدة والتآمر

التعديل الوزاري والإستيلاء على مجلس الوزراء:

بعد حوالي شهر من اجتماع القصر الذي فشل في إقرار التعديل الوزاري، دعا مجلس الثورة كل وزير على حده لمناقشته في أمر التعديل الوزاري المزمع إجراؤه وكلفت لجنة جلس فيها النميري وبعض أعضاء المجلس لمناقشة الوزراء في أبعاد هذا أو إدخال ذاك وعندما جاء دوري وجلست معهم كان الجو وديا للغاية وأذكر عند سؤالي عن أسباب إخراج الدكتور طه بعشر من وزارة العمل

أجابوا بأن العاملين في الوزارة غير راضين عن أدائه لتردده وعدم حسمه للأمور فقلت لهم يعني يصبح العاملون هم الذين يراقبون الوزير ويحكمون على أدائه وليس العكس؟ دا كلام دا ؟ ولم يكن لديهم سبب آخر سوى أنهم يريدون إخراجه لإدخال شخص آخر مكانه. وفي النهاية حوّل الأخ بعشر ليصبح وزيراً للصحة بدلا من الدكتور موريس سدره، الذي كان محسوباً على الحزب الشيوعي وكان أبعاد الشيوعيين أو من كانوا محسوبين عليهم من الدوافع المعروفة للتعديل الوزاري وعندما سألتهم أيضا عن أسباب إدخال الضابط محمد عبد الحليم في مجلس الوزراء وزيراً للدولة، ردّ النميري بأن محمد عبد الحليم له صلة قوية بمصر، وفي كثير من الأحيان يحمل رسائل إلى الرئيس جمال ولهذا فمن اللائق أن يوضع في مركز يناسب المهمات التي توكل إليه فقلت له "يعني ياريس عاوز واحد مراسلة بدرجة وزير؟" فضحكوا جميعا هكذا تم التعديل الوزاري الأول لحكومة مايو بعد هذه المداولات التي كانت بمثابة ظاهرة لإثبات حسن نوايا العسكر وتأكيدهم لمبدأ المشاركة والشورى في الأمور الهامة مع زملائهم المدنيين ومع ذلك كنت متأكداً من أن هناك مؤامرة ذات أهداف بعيدة تمت حياكتها في مجالس الليل من قوى خفية داخلية وخارجية بعد ذلك أصبح النميري رئيسا للوزراء وأصبح السيد بابكر عوض الله وزيراً للعدل ودخل عدد من أعضاء مجلس الثورة وبعض ضباط الجيش ممن كانوا قد أحيلوا إلى المعاش في السابق من أمثال عمر الحاج موسى الذي حل محل محجوب عثمان في وزارة الإعلام

اللجنة السرية بين مجلس الثورة والحزب الشيوعي:

في تلك الفترة التي كانت علاقتي بالنميري وزملائه في مجلس الثورة تزداد وتقوى، إتصلت بي شقيقتي الثائرة والمناضلة الجسورة منذ طفولتها، فاطمة أحمد إبراهيم رئيسة الإتحاد النسائي وعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي، وأخبرتني في إحتجاج بأن سلطات الأمن قد إعتقلت العديد من أعضاء حزبهم. وهي وقيادة الحزب لاتدري الأسباب التي دعت لذلك فأجبتها بكوني لا أعلم عن الأمر شيئا ووعدتها بالإتصال بالمسئولين وبعد تفكير فيما سمعت قررت فتح الموضوع مع النميري فإتصلت به وأخبرته بأن لدى أمراً هاماً

أود بحثه معه. فطلب مني الحضور إليه في منزله بعد ساعات العمل لإنشغاله في ذلك اليوم بمكتبه وبالفعل توجهت إلى هناك بعد ساعات الدوام الرسمي

وجدت معه عددا من زملائه أعضاء مجلس الثورة. فسألني إن كنت أفضل الحديث إليه على إنفراد حتى نخرج من الغرفة. رددت بأن الأمر ليس خاصا، بل من الأفضل أن أضعه أمامهم جميعاً كان معه الرائد فاروق حمد الله وزير الداخلية، ومأمون عوض أبو زيد رئيس جهاز الأمن القومي، وأبو القاسم محمد إبراهيم وزير الحكومة المحلية، وخالد حسن عباس وزير الدفاع فدخلت في الموضوع مباشرة وقصصت عليهم ما حدثتني به شقيقتي فاطمة مواصلا حديثي دون توقف "إنني لا أنتمي للحزب الشيوعي أو أي حزب أخر ولا أنا بصدد الدفاع عن الحزب الشيوعي والشيوعيين ولكن من حقي عليكم أن أعرف منكم إن كنت أنتم أعداء للشيوعيين على اساس أنهم كفار أو عملاء لجهات أجنبية" فرد نميري بالنفي وقال لي بأن الشيوعيين هم الذين ضدنا وخلي فاروق يحدثك بما عنده فتحدث فاروق قائلا بأن الشيوعيين وزعوا منشورات ضد الثورة وضد بعض ضباط القوات المسلحة وهذه الفعلة عملت لنا مشكلة وأثارت القوات المسلحة. فكان لابد من إعتقال الشيوعيين وأخرج من ملف كان يحمله معه منشورات أطلعني عليها لدى قراءتها، ذهلت لما فيها من هجوم ضد الحكومة وتبعيتها لجهات خارجية - إلخ وقلت لهم والله هذا شئ يحير إذ أنني فهمت من فاطمة والشفيع في عدة مرات بأنهم معكم ومع هذه الحكومة. والله يعلم، لو أن فاطمة أو الشفيع نصحني بعدم التعاون معكم ورفض ما عرضتموه عليّ لما قبلت المنصب الذي أشغله الآن. فرد فاروق في ثقة "نعم فاطمة والشفيع معنا ويقولان ذلك علناً ولكن حزبهم يقول شيئا أخر" فقلت "إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا تجلسوا معا لحسم الأمر ووضع الأمور في نصابها؟"

كان لحديثي وقع طيب ومقبول لهم ووعدوا بحسم الموضوع وبعد فترة أخبرت بقرار سري لمجلس قيادة الثورة بتكوين لجنة سرية للتباحث مع الحزب الشيوعي لحل المشاكل والخلافات بينهما، تتكون من فاروق حمد الله وزير الداخلية، وأبو القاسم محمد إبراهيم وزير الحكومة المحلية، يمثلان مجلس قيادة الثورة، وجوزيف قرنق ومحمد إبراهيم نقد ويمثلان الحزب الشيوعي، وعينت أنا سكرتيراً لتلك اللجنة بدأت هذه اللجنة المشتركة أول إجتماعاتها في بيتي

وإستمرت لفترة طويلة تعمل للتوفيق بين الجانبين كلما بدرت مشاكل أو خلافات لأن الشيوعيين كان لهم تنظيم سرى نشط فى جميع المرافق، وكان مسبب إحراجاً للحكومة فى كثير من المناسبات وقد عالجت تلك اللجنة الكثير من أسباب المشاكل والخلاف. ولكن كان واضحا بأن الشيوعيين منقسمين فيما بينهم، فقسم منهم يؤيد الحكومة وقسم يعمل ضدها وقد أخلّوا بكثير مما كان يتم الإتفاق عليه لهذا ضقت ذرعاً بعدم إلتزامهم بما تم الإتفاق عليه، وكم من مرة وزعوا المنشورات ضد الحكومة ومواقفها. أذكر أنى إتصلت بفاطمة والشفيع محتجاً على أفعالهم، فذكرا بأنهما لا علم لهما فقلت لهما "والله لو كنت وزيراً للداخلية لوضعتكما فى السجن". وطلبت من الرائد فاروق حمد الله إعفائى من اللجنة ولكنه توسل إلىّ فى البقاء والصبر. وأذكر أنى قلت لنقد وقرنق فى إجتماع بمنزلى أن موقف حزبكم والنظام كمثل رجل يحمل بندقية وأمامه شخص أخر يقول له "أنى صديقك" ثم يضربه على وجهه وهكذا يستمر الحال إلى أن يجئ اليوم الذى يفرغ فيه صاحب البندقية رصاصاته على صدر الذى يدعى صداقته على ذلك النحو. كذلك أذكر أن اللجنة تسلمت وثيقة من السيد عبد الخالق محجوب يرفض فيها التأميم والمصادرات ويطالب بإعادة الممتلكات إلى أصحابها أو اللجوء إلى القضاء إن كان هناك ما يثبت إجرام أصحابها، وعدم تأميم البنوك بل يوصى بدخول الحكومة فى شراكة مع المساهمين والتخلص من أصحاب الأسهم الأجانب بشراء أسهمهم بطريقة عادلة وقانونية حتى لا نستعدى الجهات الأجنبية ذات المصلحة رفض مجلس الثورة المذكرة وكان النميرى أكثرهم حماساً ضد المقترحات بل كان النميرى أكثرهم حقداً على كل من كان يملك ثروة أو كان معروفاً بيسر الحال.

إبعاد السفراء الذين لهم زوجات أجنبيات:

أذكر أيضا فى الأيام الأولى وقبل التعديل الوزارى الذى جاء ذكره من قبل، وبعد عودتى من يوغندا، أن اتصل بى الدكتور محمد عبد الله نور وزير الزراعة أنذاك. وأخبرنى أن مجلس الوزراء - أثناء غيابى - إتخذ قراراً بعدم السماح للسفراء أو موظفى الدولة الذين يشغلون مراكز حساسة أو قيادية أى

في المجموعة الثالثة وما فوقها، بالزواج بأجنبيات. وعرفت الأجنبية في تلك المذكرة المقدمة من السيد بابكر عوض الله بوصفه وزيراً للخارجية بأنها الزوجة غير العربية وغير الإفريقية وعلى أولئك الموظفين والسفراء الذين تنطبق عليهم تلك الحالة إما أن يطلق الزوجه أو يعفى من الوظيفة القيادية ويبعد لوظيفة أخرى. سألته ألم تخبرهم بأنك وأنا في المجلس متزوجان بأجنبيتين؟؟ فرد بالنفي قلت له "إذا كان الأمر كذلك لابد لي ولك أن نتخلى عن منصبينا ولهذا فإنني سأفتح الموضوع في الإجتماع القادم وبالفعل في أول إجتماع بعد عودتي، فتحت الموضوع كما أخبرني به الدكتور محمد عبد الله نور وطلبت إعفائي وزميلي لاسيما ونحن في قمة القيادة ولقد كانت أغلبيتهم لاتدري بتلك الحقيقة وبدأ بعضهم يقول بأن القرار لا ينطبق على الوزراء لأننا ثوار إختارتهم الثورة لثقتها فينا وما إلى ذلك من الأسباب الواهية ولكني أصررت، وقلت لهم إن كنتم تعتقدون بأن الذين يتزوجون بالأجنبيات هم الذين يخونون أوطانهم فلتعلموا أن كل الخيانات التي حدثت في تاريخ السودان جاءت من سودانيين متزوجين بسودانيات، وخيانة الأوطان تأتي من أخلاقيات الشخص وليست من الزوجة إن كانت سودانية أو أجنبية وإن كنتم تعتقدون بأن الموظف القيادي في الخدمة العامة معرض لذلك بسبب زوجته الأجنبية فالوزير أكثر تعرضاً وأكثر ضرراً إذا خان الأمانة. وأصريت على موقفي فما كان من المجلس إلا أن ألغى القرار، وإستبدله بآخر ينطبق على السفراء فقط ويعمل به دون أثر رجعي ويطبق على السفراء الجدد.

مشروع الجموعية الزراعي على النيل الأبيض:

دعينا في حفل قرية الجموعية على النيل الأبيض بالقرب من جبل الأولياء أقامه أهالي الجموعية إبتهاجاً بإبنهم وزير الصناعة وقتها السيد موسى المبارك حضر الحفل أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء وجاء في خطاب الترحيب بالضيوف رجاء من الأهالي لقادة الثورة بتنفيذ مشروع زراعي على النيل الأبيض في منطقتهم لزراعة الخضروات والأصناف يهيئ لأهالي المنطقة مورداً للعمل والعيش الكريم. كنت أجلس بالقرب من النميري، فإلتفت إلى سائلا إن

كنت أعرف شيئا من المشروع أجبته بالنفي ونصحته أن يقول لهم عندما يجئ دوره في الحديث بأنه طلب إليّ أن اضطلع بدراسة الموضوع بهدف تحقيقة إذا ثبتت جدواه وبهذا وعدهم النميري وإنتهى الإحتفال.

في اليوم التالي إستدعيت المسئولين في الوزارة لمراجعة الوثائق والملفات للحصول على معلومات عن تلك المنطقة وبالفعل أفادوني بأن هناك في منطقة الجموعية ما يقرب من حوالي ١٢ ألف فدان صالحة للري والزراعة على الضفة اليسرى من النيل الأبيض تمت سلفا دراستها منذ أيام الحكم البريطاني ولما كانت تكاليف الإستصلاح عالية، أهمل الموضوع. طلبت تحديث الدراسة وتقدير التكاليف والبحث في إمكانية تخفيضها على نمط ما حدث في مشروع سوبا للتسمين. وجاءني المسئولون بالبشرى بأنه من الممكن تنفيذ المشروع من فوائض المواد المتبقية من المشاريع الكبرى التي إنتهى تنفيذها أمّا بالنسبة لمضخّات رفع المياه من النيل الأبيض فبالإمكان الإستفادة من مضخات كانت مستعملة في مشاريع القطاع الخاص على النيل الأبيض، التي آلت ملكيتها للحكومة بعد إنتهاء فترة عقد الإيجار (Lease) ومداها خمسة عشر سنة وكانت الوزارة قد أعادت تخطيطها للري بطرق أفضل كفاءة، ممّا أدّى لتوفير عدد من المضخات كما استغني عن مباني محطة الضخ وذلك بوضع المضخات على عوامة وتوصيلها إلى حوض تدفّق المياه بواسطة الخراطيم المطاطية وهكذا لم يعد ناقصاً لتنفيذ المشروع سوى تكاليف الوقود لآليات الحفر والشاحنات والعربات والمعدّات التي طلبنا من وزارة المالية تخصيص إعتماد مالي لها وهو ما يمكن توفيره. ذهبت بعد ذلك للنميري وشرحت له الموضوع وما توصلنا إليه وتم الإتصال بوزارة المالية والزراعة للقيام بالإجراءات والتحضيرات اللازمة لتنفيذ المشروع. وأعلنت في الإذاعة والتلفزيون القرار بتنفيذ مشروع الجموعيّة الزراعي هدية من العاملين في وزارة الري إلى الثورة وإلى أهالي قرية الجموعية استجابة من الثورة لطلبهم في حفل تكريم ابنهم موسى المبارك. ومن ثم وضعنا البرامج وخطط التنفيذ. كما اتصلنا بوزارتي الزراعة والمالية وأعلمناهما ببرنامج التنفيذ وذلك لأخذ التدابير والخطوات اللازمة فيما يتعلق بمسئولياتهما المحدّدة نحو المشروع وإدارته وتشغيله كما كنّا دائما نفعل مع لجنة مشروع الجزيرة والمناقل في مناطق زراعة القطن. بالإضافة لإتصالي الشخصي عدة مرات مع وزير

الزراعة السيد على التوم وهكذا بدأنا تنفيذ المشروع تحت رقابة مقتدرة ومنضبطة وواعية وكان من بنود لائحة إرشاداتها إيداع تقرير في مكتب الوزير صباح كل يوم عن تقدّم سير الأعمال وما تم إنجازه خلال الـ ٢٤ ساعة الماضية ومقارنتها بالرسم البياني لبرنامج التنفيذ والمعوقات التي طرأت وعلاوة على ذلك، كان للزيارات التفقدية لموقع العمل ومناقشة العاملين على جميع المستويات من قبل المسئولين عن الإشراف الذين كان على رأسهم كل من المهندس محمد صالح حسن والمهندس محمد عبد الكريم عساكر. وهكذا أنجز المشروع في مده قياسية بلغت ٤٥ يوماً لم تزد وافتتح المشروع الرئيس نميرى وتدفقت مياه الري في الترعة الرئيسية ولكن لم تكن الحقول قد جهزت للزراعة إذ كان المسئولون في وزارة الزراعة يغطون في نوم عميق ويومها قامت ضجّة كبرى في الصحف والإعلام ضد وزارة الري التي تعمل دون تنسيق مع الوزارت الأخرى الأمر الذي أدى لضخ المياه في القنوات ومجاري ري الحقول دون أن تكون البذور قد دفنت في الأرض وكان الهجوم على الوزارة والمسلط على شخصي أولا وعلى العاملين معي ثانيا في صحف الحكومة بإيعاز وتوجيه من الذين كانوا يعملون في الظلام ومن بينهم وزير الإعلام الضابط المتقاعد عمر الحاج موسى. فتأليت على نفسي أن أتصدى لتلك الإدعاءات طالبا من مجلس الثورة التحقيق في الأمر ومعرفة أسباب القصور والفشل، وإذا كان المذنب وزارة الري يعفى وزيرها وإذا كانت وزارة الزراعة فيعفى وزير الزراعة وإذا كانت الوزارتان معاً فليذهب الإثنان معاً وأصررت على موقفي فاضطر المجلس لتكوين لجنة تحقيق برئاسة السيد بابكر عوض الله والدكتور قريب الله الأنصاري وكيل وزارة التخطيط أميناً لها، ومن أعضائها كل من الرائد أبو القاسم هاشم والرائد هاشم العطا رئيس القطاع الزراعي أنذاك. عقدت اللجنة جلساتها في وزارة التخطيط وفي أول اجتماع لها، قدمت في تفصيل وبالوثائق الخطوات التي اتخذتها وزارة الري في الإضطلاع بتنفيذ المشروع والرسائل المتبادلة بينها وبين الجهات ذات الاختصاص في كل من وزارة المالية ووزارة الزراعة. وأذكر بعد انتهاء عرض موقف الوزارة من القضية إن اتصل بي الدكتور قريب الله في مكتبي وذكر لي بأن السيد بابكر عوض الله قال له معلقاً على عرضي لقضيتي بأنها المره الأولى له وبصفته قاضياً يستمع فيها إلى دفاع جيد من شخص لا صلة له بالقانون كالذى عرضته على اللجنة. وبعد السماع لأقوال السيد على التوم، اتخذت اللجنة قرارها الذي علمت بأنّه ألقى باللائمة على وزير الزراعة ولكن نسبة للعلاقة

التي كانت في إزدياد بين الرئيس النميري والسيد على التوم فقد فضل النميري عدم اتخاذ قرار بإعفائه. وظلت نتيجة التحقيق في الكتمان، على الرغم من إلحاحي عدة مرات لبعض أعضاء مجلس الثورة بإعلان قرار اللجنة وإعفاء الوزير المذنب. هكذا إلى أن جاء عيد الإستقلال في أول يناير ١٩٧١ الذي أقيم احتفاله في مدينة الأبيض. هناك أشاد النميري في خطابه بالسيد على التوم والإنجازات التي حققها. فقررت أن أقدم أستقالتي فور عودتي إلى الخرطوم. دخلت على النميري في القطار الخاص الذي أقلنا بينما يتأهب القطار للدخول إلى محطة الخرطوم وكان يجلس معه بعض أعضاء مجلس الثورة. قلت له "يا ريس إذا لم يتخذ قرار في أمر التحقيق الذي أجري بشأن مشروع الجموعية فثق أنني غير عائد لمكتبي في الوزارة من صباح الغد". في مساء ذلك اليوم نفسه جاء في نشرة الأخبار المسائية قرار إعفاء الوزير على التوم وتعيين الدكتور عثمان أبو القاسم وزيراً للزراعة.



في احتفال إفتتاح مشروع الجموعية بالقرب من الخرطوم

مشروع السوكي الزراعي:

كان مشروع السوكي من أولّ المشاريع الكبرى الذي اضطلعت الوزارة بتنفيذه بالعمل المباشر بعد مايو ١٩٦٩ إذ تبلغ مساحته حوالي ٩٠ ألف فدان وقد كنت مصمماً بعد اضطلاعي بقيادة الوزارة التي عملت فيها منذ تخرجي من الجامعة، أن أثبت بأن العمل المباشر في تنفيذ أعمال الري إذا أحكمت رقابته واضطلع به مهندسون وفنيون أمناء مقتدرون، وهيئت لهم الظروف والأجواء الطيبة والمشجعة والعادلة للعمل، مع العزم والإنصاف والتقدير من المسئولين فانه سوف يحقق لا محالة مستويات عالية في الإنتاج وتقليل التكلفة ولهذا كان مشروع الرهد الزراعي ومشروع السوكي في قمة الخطة الخمسية للتنمية التي إعتمدها مجلس الوزراء تم وضع برامج تنفيذ المشروع واختيرت له مجموعة ممتازة من خيرة المهندسين وعلى رأسهم المهندس/ الريح عبد السلام نائب الوكيل للإنشاء والتعمير والمهندس عبد الفتاح يوسف مهندساً مقيماً للإشراف على التنفيذ تساعده نخبة ممتازة من المهندسين المدنيين والإنشائيين والميكانيكيين ومساعديهم. وفّرت لهم جميع المواد والمعدات والشاحنات والعربات اللازمة للتنفيذ، كما أحكمت الضوابط في الشراء والحصول على المواد الإنشائية والوقود سواء كانت من المخازن التابعة للحكومة أو كانت من السوق. ووضعت الإرشادات في كيفية الصرف وأحكمت الرقابة المحاسبية والمراجعة الدورية. وكما حدث في مشروعيّ سوبا والجموعية، كانت تصل إلى مكتبي في الخرطوم صباح كل يوم المعلومات اللازمة عن سير الأعمال وإجمالي الصرف والمعوقات التي طرأت والتوقعات في المستقبل. هذا بالإضافة لزيارات الموقع التي كنت أقوم بها من وقت لآخر للوقوف على سير الأعمال على الطبيعة ومقابلة العاملين هناك وجهاً لوجه والإستماع إلى آرائهم أو شكاويهم. وتجدر الإشارة بأن مشروع السوكي قد تّم تخطيطه وتصميمه وتنفيذه بواسطة العاملين في الوزارة مع استغلال الإمكانات المتاحة فيها لتحقيق أكبر قدر من الإنتاج بأقل تكلفة

غضب الشركات الأجنبيّة والمحليّة:

منذ أن توليت حقيبة وزارة الري وأعددنا أساليب العمل ومصادره

وتخطيطه بهدف تحقيق أكبر قدر من الإنتاج بأقل التكاليف، ثارت الجهات صاحبة المصلحة في الداخل والخارج على أسلوبنا في تقليل الإعتماد على المقاولين أجانب كانوا أم محليين وكما جاء ذكره من قبل، بدأوا يخطّطون في الظلام ضد وزارة الري وضدي شخصياً لأسلوب عملنا الجديد فقد كانت تصميمات محطات المضخات وبعض المشاريع تحال لبيوت الخبرة الأجنبية والتنفيذ للشركات العالمية. وكانت محطة مضخات مشروع السوكي قبل مايو قد أوكلت إلى شركة يابانية للقيام بالتصميم وتوريد المضخات. وبعد مايو أبعدنا الشركة اليابانية وأوكلنا مهمة التصميمات للمهندسين السودانيين وعلى رأسهم المهندس محمد صالح حسن كما وقع عطاء توريد المضخات على شركة إندرتز النمساوية ولهذا كانت العيون الفاضبة مسلطة على مشروع السوكي والعاملين فيه آملين أن تحل بنا أيه كارثة لكي ينقضوا علينا وعلى أسلوبنا في العمل وخاصة بعد أن حققنا نجاحات لها دوي كبير في مشروعيّ سوبا والجموعية وقد كنت ألاحظ ذلك من بعض ما يكتب في جرائد الحكومة التي يحركها وزير الإعلام عمر الحاج موسى ويقوم بالكتابة فيها ضد وزارة الري بعض المأجورين من الصحفيين الصغار

إضراب العمّال في مشروع السوكي:

وبينما نحن في سباق مع الزمن، وصلني خبر بأن العمال الذين يعملون في مشروع السوكي هدّدوا بالإضراب ووقف العمل احتجاجاً على توجيهات من المسئولين تضر بمصالحهم وحقوقهم فقررت الذهاب إلى هناك فوراً ومعرفة الأسباب التي دعت لذلك وكان يصحبني كل من السيد يحيى عبد المجيد وكيل الوزارة والسيد الريّح عبد السلام نائب الوكيل. وعند وصولنا بالعربات في موقع المشروع قابلتنا الشعارات في الطريق المؤدي إلى مكاتب رئاسة الإشراف، تهاجم المهندس المقيم وتصرفاته وتنادي بتطهيره فغضبت على هذا الأسلوب الظالم من نقابة العمال ضد شخص المهندس المقيم وقررت عدم الإجتماع معهم أو معرفة تظلماتهم حتى تجمع تلك الشعارات واللافتات وتعتذر النقابة للمهندس عبد الفتاح يوسف وبالفعل عند وصولي ومقابلة مسؤولي النقابة أخبرتهم

بقراري وقلت لهم بأن الأمر في يدكم، إذ أنني لا أقبل هذا الأسلوب في التعامل بين العمال والمهندسين المشرفين وبعد أن قامت النقابة بجمع كل الشعارات واللافتات وقدمت اعتذارها للمهندس عبد الفتاح جلست معهم استمع لشكواهم، التي تلخصت بأن المهندس المقيم قد سحب سلطات الملاحظين في إصدار طلبات استجلاب المواد من المخازن كما هو الحال في السابق وعندما احتج الملاحظون المعنيون، أمر السيد عبد الفتاح بنقلهم للرئاسة بمدني، الأمر الذي أثار حفيظة العاملين حين إستفسرت عن الداعي لإصرار الملاحظين على إصدار تلك الطلبات وهي مسئوليات خارجة عن إختصاصاتهم وكانت مستغلة في الماضي من بعض الملاحظين بفرص السرقة، جاءني جوابهم بأن سحب تلك السلطة منهم أمر سيشين سمعتهم فقلت لهم إذا كانوا هم أبرياء وليست لهم دوافع سوء فإن سحب تلك السلطة وإعادتها لمهندس الإشراف هي الإجراء السليم الذي يتمشى مع النظم والأساليب الصحيحة في توفير المواد اللازمة للإنشاء. وأيدت قرار المهندس المقيم على أن يلغي أمر النقل إذا قبل الملاحظون الإنصياع للتعليمات الجديدة وهكذا تم الإتفاق، وسار تنفيذ المشروع كما كان مخططا له

إنهيار بيارة السوكي:

كانت حفريات بيارة السوكي حيث تقام محطة المضخات التي ترفع مياه النيل الأزرق إلى حوض الرمي حيث الترعة الرئيسية للمشروع تنفذ على مدار الأربعة وعشرين ساعة في اليوم سباقا مع الزمن للوصول إلى مستوى قواعد المضخات التي كانت على عمق يزيد كثيراً عن مستوى سطح المياه في النيل الذي يبعد بضعة أمتار عن تلك البيارة. هذا وكنا قد قمنا أثناء المسح الميداني للموقع، بعمل ثقوب الجسات اللازمة للتعرف على نوعية التربة في تلك الأعماق ومن ثم تقررت نوعية الحماية المطلوبة لمنع إنهيار التربة أثناء الحفر، كما تقررت الأسس والمعطيات الفنية اللازمة لتصميم القواعد الخرسانية كنت في تلك الفترة في زيارة رسمية للقاهرة بصحبة النميري، عندما وصلنا خبر إنهيار بيارة السوكي وغمرها بالمياه. ذلك الحدث الذي ضخّم بصورة مفزعة من خلال إستغلال وسائل الإعلام الحكومية بإيعاز من الحاقدين وعلى رأسهم وزير الإعلام

الضابط بالمعاش عمر الحاج موسى لذا قررت العودة فوراً للخرطوم قائلا للنميرى "إذا وجدت السبب هو إهمال من جانب زملائى فى الوزارة فإنى سأتنحى عن الوزارة لأفسح الطريق لكم لعقاب المسؤولين عن الإهمال أما إذا كانت الحادثة لأسباب خارجة عن الإرادة فإنى سأعلن الحقيقة كل الحقيقة للشعب"

المؤتمر الصحفى فى السوكى وأسباب أنهيار البياره:

عند وصولى لبيتى فى الخرطوم، وجدت فى إنتظارى المهندس الربيع عبد السلام مساعد الوكيل للإنشاء والتعمير الذى كان فى حالة توتر شديد، وهو يحدثنى فى قناعة بالأسباب التى أدت لأنهيار الحفريات وتدفق مياه النيل فى أساسات محطة الضخ، فالذى حدث كان أمراً طبيعياً ومحتمل الحدوث، كما هو معروف فى مراجع هندسة التربه، أذ أن فحص التربة فى أعماق طبقات الأرض للتعرف على نوعيتها وخصائصها تتم بالثقوب بمعدات خاصة ترفع عينات من تلك الطبقات التى تخترقها الحافره، وهذا ما قمنا بعمله فى المسح الميدانى أبان تصميم القواعد للمضخات، ولكن تواجدت فى تلك الأعماق تربة رملية فى شكل إنبوب يمتد من النيل إلى البياره يخترق الطبقة الطينيه التى تمثل النمط العام فى ذلك الموقع، ولكن لم تخترقها الثقوب التى اجريت للفحص لصغر حجمها وبالتالى لم يكتشف تواجدها، وهذا وارد فى المسح، ومعروف فى علم ميكانيكية التربة وعندما وصلت الحفريات لمستوى ذلك الأنبوب الطبيعى إنجرفت التربة الرملية الأنبوبية بسبب الضغط العالى للمياه من جانب النيل، وفتحت بذلك مجرى تدفقت عبره مياه النيل إلى حفريات الاساس. فأستفسرت منه مندهشا ولِمَ لم تبدأوا فى حفر بيارة أخرى؟ ردّ قائلا: بأن ذلك ما فعلناه ولكن السيد الوكيل يحى قد أمر بوقف الحفر فى الموقع الجديد بعد أن قطعنا شوطا كبيراً فيه حتى تعود أنت من القاهرة. قلت إذن عد إلى الموقع، ودع رجالك يواصلون الحفر فى البيارة الجديدة، وهكذا عاد الربيع فى مساء ذلك اليوم، وهو أشد قوة وعزيمة فى مواصلة العمل الذى بدأوه فى ثقة وبمعرفة ودراية ولكن نسبة للضجة والتهويل الذى صاحب إعلان الحادث ونشره بصورة مفرضه – رأيت أن أوضح للرئيس وزملائه ما حدث فى بيارة السوكى وهنالك فى القصر شرحت

ما حدث، وأخبرتهم بقرارنا ببدء الحفر في البيارة الجديدة ولكن النميري سألني في دهشة إن كنت أضمن أن البيارة الجديدة لن تنهار كشقيقتها المشئومة، فأجبت بأني لا استطيع أن أضمن ذلك، ولكن المعطيات التي لدينا تشير إلى أن ما وقع من قبل بعيد الاحتمال، خاصة ولدينا فكرة عن موقع الأنبوب الرملي الذي سبب الحادث ولكن النميري لم يقتنع وأصر أن أؤكد له بأن ما حدث لن يتكرر فضحكت قائلا أني لا أضمن أن أعيش لنهاية يومي هذا، فكيف لي أن أضمن ما هو موجود في باطن الارض في تلك المنطقة وذكرت له المقولة الهندسية عن المفاجآت في الاساسات التي تقول "مهما كانت أساليب فحص التربة المتاحة فإنك لن تعرف ما هو قابع في الاساسات حتى يتم الحفر إلى المستوى المطلوب "وأضفت قائلا" ياريس إذا أراد المرء أن يسمو ويتطور فلابد له من قبول المخاطر المعقوله.. وهذه طبيعة الدنيا وسنة الحياة". وتدخل الصديق الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر، الذي كنت دائما أحظى بوده وإعجابه، حتى لقد أسمى أول ابنائه "المرتضى" قائلا "ياريس، عندما توجهنا إلى الخرطوم من خور عمر في صبيحة ٢٥ مايو فهل كنا ضامنين النجاح؟ ياريس خلّي مرتضى يشوف شغله هو وعصابته، (وهكذا كان الرائد الزين يسمينا في وزارة الري)، وهم عارفين البيعملو فيه" وهكذا إنتهى الاجتماع

بعد ذلك، دعوت الصحافه وأجهزة الإعلام لزيارة موقع الأعمال في السوكي، ودعوت معهم بعض أساتذة جامعة الخرطوم وكلية الهندسة، حيث عقدت مؤتمراً كبيرا تحدث فيه المهندسون المشرفون والمسئولون في الوزارة عما حدث في البياره التي إنهارت موضحين ذلك بالبيانات والخرائط، وأجابوا على الاسئلة والاستفسارات العلميه والإدارية، وكان انتصاراً كبيراً للوزاره والعاملين فيها، وفنّدت الاشاعات المغرضه والاكاذيب الملفقة التي نشرها الحاقدون في داخل الحكومة وخارجها وتوجت ذلك النصر المبين، بنشر مقالي المشهور الذي أصبح عنوانه حديث المجتمع والمجالس" فلتنهار بيارة السوكي الأولى والثانية ولتبقى الحقيقة فهي أنفع وأجدى لشعبنا" (أنظر الملاحق)



إحتفال مشروع السوكي يوليو ١٩٧١ حيث قُلدت وشاح النيلين من الطبقة الأولى

مشروع الرهد الزراعي:

ظل مشروع الرهد الزراعي الذي تبلغ مساحته الاجمالية حوالي مليون فدان حبيس الخرائط والمخططات القابعة في مكاتب وزارة الري والمالية والزراعة منذ الإنتهاء من تشييد خزان الروصيرص على النيل الأزرق في أوائل الستينات وأذكر في حفل افتتاح الخزان أن قال وزير الري آنذاك السيد الشريف حسين الهندي بأنه خزان أقيم على النيل الأزرق ليست به فائدة إلا إذا تحقق مشروع الرهد أي لابد من إستصلاح أراضي الرهد المنبسطة الشاسعة لتنساب خلالها مياه ذلك الخزان عبر قناة الرهد الرئيسية التي كان مأخذها بفتحاته ذات الأبواب الحديدية الضخمة قد نفذ كجزء من ذلك السد دون أن تحفر القناة التي يبلغ طولها حوالي ١٠٠ كيلو متراً لتصل إلى أراضي الرهد الخصبة حيث المشروع الكبير وكانت مهمة كبرى هي حفر تلك القناة

الضخمة، والتي يعتمد حفرها على توفير آليات ذات تكاليف باهظة تحتاج إلى دعم خارجي لم توفق الحكومات المتعاقبة في الحصول عليه. وقد كنت فيما مضى مسئولا عن إنشاء سد الروصيرص إبان مراحله النهائية في التشييد، وكنت أعرف الكثير عنه، ولهذا آليت على نفسي أن احقق الأمل الكبير في تنفيذ المشروع لإستغلال مياه الخزان التي لم يتم إستغلالها بعد وفور إستلامي لحقيبة الوزارة بدأت إتصالاتي مع البنك الدولي في الحصول على التمويل. عقدت عدة اجتماعات مع مندوبي البنك الدولي بهدف اقناعهم بمساعدتنا في تحقيق المشروع بتوفير العملة الاجنبية لشراء الآليات اللازمة للحفر وكان واضحا مماطلة البنك و مراوغته لأسباب سياسية ذلك أن حكومة مايو لم تكن تحظى بعطف الإدارة الامريكية وتوابعها من حكومات الغرب، والبنك الدولي وغيره من مؤسسات التمويل الدولية تخضع بصورة كبيرة لضغوط تلك الحكومات التي تملك حصة كبيرة في رؤوس أموال تلك المؤسسات وعلى الرغم من ذلك، بدأنا في تنفيذ القناة الرئيسية من مصادرنا الذاتية التي خُصصت لنا للمشروع في خطة التنمية الخمسية التي اقرتها الحكومة وهكذا احتفلنا ببدء العمل في الموقع عند السد وتحت أضواء مكثفة من الإعلام محليا وعالميا خاصة والمشروع كان أكبر مشروع للري في القارة الأفريقية في ذلك الوقت. وفي نفس الوقت، بدأت إتصالاتي بالمسئولين في الإتحاد السوفيتي أملا في مساعدتهم لنا في توفير الآليات اللازمة

سفري إلى موسكو وإختلافي مع السوفيت:

كان يسكن بجواري في شارع ٢٥ في إمتداد الخرطوم الجديد، دبلوماسي سوفيتي، اسمه "اناتولي"، وكنا نتبادل الزيارات الاجتماعية من وقت لآخر كلما اقتضت المناسبات. وعندما علم بما احتاج اليه من الآليات أحضر لي كتيبا يحوي أنواع اليات الحفر المتوفرة في الإتحاد السوفيتي ثم سافرت إلى موسكو في أواخر عام ١٩٧٠ في وفد ترأسه النميري، وبه كل من اللواء خالد حسن عباس وزير الدفاع، وعبد الكريم ميرغني وزير التخطيط، والدكتور سيد أحمد الجاك وزير المواصلات، وشخصي وهناك أستقبلنا المسئولون في الحزب والدولة،

وعلى رأسهم أمين عام الحزب الشيوعي ورئيس الوزراء كوسيجين، والوزراء المختصون، بغرض الإتفاق على ما جئنا للحصول عليه. وكان عليّ أن اجتمع إلى وزير المعدات كما يسمى هناك للتباحث معه في طلباتي لآليات الحفر، وقد كان رجلا كبير السن تحدثنا كثيراً عن شبكات الري والصرف وتخطيطها وحفرها بالأيدي فيما مضى ثم أخبرته بقطاع قناة الرهد، وعمقها ونوعية التربه التي تخترقها، وحاجتنا لنوعية خاصة من الآليات ذات المقدره التي تناسب ما ستقوم به من اداء. وأشرحت له الكتيب الذي احضرته معي موضحاً له ما أريد منها فقلب صفحاته مبتسما، وقال لي أنه دعاية فقط، لأنهم في الحقيقة لا ينتجون تلك الآليات، مؤكدا لي أن آليات أقل قوة يمكنها أن تؤدي المهمة المطلوبة، ويمكنه أن يزودني بالاعداد المطلوبة منها. فرفضت شارحا له في تفصيل تربة الطين السوداء وصلابتها مما يستدعي أن تكون الحافرة ذات قوة عالية وشرحت له آليات كتربلر (CATERPILLAR) التي تستعملها في السودان فرد بأننا تعودنا على الآلات الأمريكية ولهذا تصرّ على الحصول على آلات مثلها بينما الآلات السوفيتية التي تقل كثيراً في قوتها تستطيع أن تؤدي نفس المهمة إذا استغلت بالأسلوب الصحيح فقلت له، "ياسيدي الوزير، أن الآلة التي تستطيع أن تحفر التربة الطينية السوداء في بلدي لابد لها أن تكون ذات قوة تعادل قوة ١٢٠ حصانا على الأقل، والآلات التي تعرضها عليّ لا تزيد قوتها عن قوة ١٢ حصانا فقط وبما أن الحصان هو الحصان أن كان امريكياً أو سوفيتياً، فلابد لي من الحصول على آلة سوفيتية لها قوة ١٢٠ حصاناً سوفيتياً لكي أستطيع أن أحفر بها قناة الرهد التي بدأت حفرها قبل أن أجئ اليكم أما أن كنت تعتقد بأنكم قادرون بما لكم من معرفة وخبرة- وهذه حقيقة لا أنكرها - أن تحفروا أرضنا الصلبة بآلياتكم ذات القوة الصغيرة التي تعرضها عليّ فلا مانع لدي ولكن بشرط واحد هو أن تبعثوا الينا بالآلات مع سائقيها ومهندسيكم، وتقوموا أنتم بحفر قطاع القناة الذي يبلغ عرضه ٤٠ مترا وعمقه ٤ أمتار، وتعلمونا كيف تؤدون ذلك، وعندما نتأكد من نجاحكم ونتعلم طريقتكم بعد ذلك فقط توقع معكم إتفاق شراء تلك الآلات هزّ رأسه مبتسماً ورافضاً ما اقترحته عليه ثم وقف فجأة وطلب مني مرافقته إلى الجانب الآخر من مكتبه الكبير حيث علقت لوحة كبيرة للسد العالي في مصر. قال لي مؤشرا اليها، "أتعرف هذا السد"؟ قلت نعم، قال

"لا ياسيدي الوزير، كفانا ما فعلناه في هذا المشروع، ولن نكرر تلك الغلطة التي كلفتنا كثيرا، وعليكم وحدكم مسؤولية القيام بتنفيذ الحفريات، وعلينا نحن أن نساعدكم بتوفير الآليات التي لدينا بعد أن توقعوا على الوثائق الخاصة بشرائها "رددت مبتسماً" لا ياسيدي الوزير، أنا أعلم بمواصفات الآليات التي احتاج اليها، والآليات التي تعرضها عليّ لن تفي بالغرض، وما لمثلها أتيت إلى بلدكم" وانتهت المداولات بيننا دون إحراز أي نتائج.

الاجتماع الختامي مع الرئيس كوسيجين:

في نهاية الزيارة الرسمية، عقد اجتماع ختامي، حضره الوفد السوداني بكامل اعضائه مع الرئيس النميري، كما حضره الجانب السوفيتي برئاسة رئيس الوزراء، وذلك للتوقيع على الإتفاقيات التي تم التوصل اليها كنت الوزير الوحيد الذي خرج من المولد بدون حمص كما يقولون، وعندما علم كوسيجين بذلك خاطبني بصوت عال. "يا وزير الري، لماذا لم توفق في إنجاز مهمتك؟ فزميلك وزير الدفاع قد حصل على ما يريد من معدات كثيرة" فرددت عليه بصوت عال" ياسيد رئيس الوزراء، أن زميلي وزير الدفاع لم يخض حربا بالمعدات التي وفرتموها له مشكورين، أما أنا، فقد حفرت الأرض في بلدي بالآليات وأعرف جيدا ما إحتاج اليه، ولكن السيد وزير المعدات أخبرني بأن ما اطلبه لا وجود له في بلدكم وهكذا رجعت إلى السودان خالص الوفاض دون أن اظفر بما يساعدني على مواصلة حفر قناة الرهد التي أصبحت العقبة الكبرى في إنجاز المشروع"



زيارة الرئيس جعفر نميرى إلى الإتحاد السوفيتي - المستر كوسيجين رئيس وزراء الإتحاد السوفيتي أثناء، عبد الكريم ميرغني وزير التخطيط، أحمد سليمان سفير السودان في موسكو، المهندس سيد أحمد الجاك وزير المواصلات وشخصي

المخطط السوداني لحل مشكلة ري الرهد

بعد عودتي للسودان خلال نوفمبر اجتمعت مع زملائي المختصين في الوزارة، ووضعت أمامهم ... فيه فالبنك الدولي يقدم رجلا ويرجع أخرى، ولا ندري أن كنا سنحصل على مساعدته أم لا، والإتحاد السوفيتي خيب أملنا بإصراره على الأسس ... التي لا فائدة منها لحفر ذلك المجرى الكبير للقناة المشئومة، ولابد من ... إيجاد الحلول للخروج من المأزق الذي دخلنا فيه ولما كانت لي الثقة التي لا حدود لها بمقدرة وكفاءة زملائي في هندسة الري علماً وخبرة، وثقتي بمقدرتهم ... لتذليل الصعاب والمعضلات طلبت منهم

البحث والتفكير في إيجاد الحلول للخروج من الأزمة، وكانوا حقا عصبة واحدة تملك خبرة العقول والأفكار الثاقبة سخروها في سخاء وكرم من أجل هدف واحد هو المصلحة العامة، مصلحة كل الناس والوطن الذين حملوهم المسئولية ووثقوا فيهم لأداء المهمة. وبعد الدراسات والبحث والمداولات، تمكن أولئك المهندسون الذين أسجل أسماءهم هنا في فخر وإعتزاز من تغيير المخطط الاساسى الذى كان قد وضعه المكتب الهندسى الاستشارى البريطانى "السير ميردوخ ماكدونالد وشركاه"، والذى كان قد أقره خبراء البنك الدولى عندما وافقوا على تمويل خزان الروصيرص وهو رى المشروع الضخم بمأخذ فى سد الروصيرص لقناة موصلة إلى منطقة المشروع التى تبعد حوالى ١٥٠ كيلو متراً. ولهذا السبب كان لابد من حفر قناة عريضة وعميقة وطويلة تحتاج لآليات عديدة ذات قدرة عالية، الأمر الذى أدى إلى تكلفة باهظة تمثل نسبة كبيرة من اجمالى تكاليف استصلاح المشروع. ومن هذا المنطلق توصل المهندسون السودانيون بعد الفحص الفنى الدقيق، وبعد الدراسات المتعمقة فى البدائل، وما تنطوى عليه من متطلبات التنفيذ والتكلفة، إلى إلغاء القناة الرئيسية والاستغناء عن مأخذها الذى كان قد شيد فى جسم السد، واستبداله بالمجرى الطبيعى للنيل الأزرق كقناة موصلة للمياة من الخزان إلى مينا الشريف القريبه من منطقة المشروع حيث تقام محطة مضخات كبرى لرفع تلك المياه التى وصلت من الخزان إلى قناة تحملها إلى الأراضى المستصلحة التى تبعد حوالى ٨٠ كيلو متراً فقط. ونسبة لتقاطع مجرى نهر الدندر على بعد ٢٠ كيلو متراً اقتضت الحلول الهندسية حمل المياه عبر سحارة (سايفون) تحت مجرى نهر الدندر ومن ثم، تستمر القناة إلى أن تصل مجرى الرهد حيث تصب مياهها خلف سد صغير (براج) على نهر الرهد ومن هناك، وعبر مأخذ فى السد تنساب المياه مرة أخرى إلى قناة موصله قصيرة حتى تصل إلى شبكات الرى فى الأراضى المستصلحة فى الرهد. وقبل اقرار المخطط الجديد تم إعداد التصاميم المبدئية لجميع المنشآت وحساب كمياتها وتكاليفها، وإتضح أن التخفيض فى التكاليف بين المخططين يبلغ حوالى ٢٥٪.

اقرار المخطط الجديد لتنفيذ مشروع الرهد:

في ثقة وإعتزاز حملت المشروع الجديد إلى مجلس الوزراء حيث قدمت مذكرة ضافية شرحت فيها كل ما يتعلق بالمشروع والنتائج التي توصلنا اليها طالبا إقراره من المجلس وإعتماد مخصصات المالية السنوية حسب الخطة الجديدة لتنفيذه. ومرة أخرى كان ذلك يوماً عظيماً للوزارة والعاملين فيها. رأيت من واجبي نحو أشوقتي ورفاق دربي الذين حققوا ذلك النجاح الكبير ومن حق الناس عليّ أن أذهب وهم معي إلى الاذاعة والتلفزيون لاعلن للسودان باكمله الحقيقة كل الحقيقة، وكان يدفعني دائما شعور عميق لأثبت للناس جميعا ولأولئك المشككين في مقدرة وكفاءة المهندسين السودانيين أن لهم في ابنائهم وأخواتهم مهندسي الري خبراء ذوي علم ومعرفة يضاهون خبرة المتخصصين في هذا المجال على المستوى العالمي، وأنهم قادرون على تحمل مسئولياتهم الفنية والأخلاقية في كفاءة عالية دون الوصاية من بيوت الخبرة الاستشارية الاجنبية أو موظفي مؤسسات التمويل الدولية. والحق يقال أنه ربما كان لما واجهته شخصيا في حياتي المهنية من إنكار وتشكيك في إمكاناتي وكفاءاتي المحرك الباطني العنيف لأبراز الحقيقة والمغالاة في اثباتها لكل الناس في بلدي، وعلى الأخص الذين في موقع مسؤولية إتخاذ القرار، الذين ربما يتعرضون لضغوط من جهات أجنبية ذات مصلحة، أو من دوائر محلية ذات منفعة، أو هم مدفوعون بعقدة الخواجه وعدم الثقة في كل ما هو وطني، أو حماية لمراكزهم إذا وقعت كارثة أو لحاجة في نفس يعقوب

وهكذا ذهبت إلى مبنى الأذاعة والتلفزيون في أم درمان تصحبني تلك النخبة الممتازة من المهندسين الذين كان لهم الفضل الاكبر في استنباط المخطط الجديد لري مشروع الرهد. وبدأت حديثي أمام الكاميرات والأضواء المسلطة وهم ملتفون حولي قائلا للناس - كل الناس - أنني بموافقة الحكومة بدأت في حفر قناة الرهد عند سد الروصيرص، صرفت مبلغا كبيراً تنفيذا للمخطط المعتمد من قبل، ولكن راح ذلك الصرف هباءا منثورا ولما سدت أمامنا السبل في الحصول على التمويل اللازم لحفر تلك القناة، أن كان من البنك الدولي، أو من الأصدقاء السوفيت، فرض علينا إيجاد المخرج من المأزق الذي وقعنا فيه، إذ نحن في أشد الحاجة لمشروع الرهد الزراعي، ولهذا طلبت من المسئولين في الوزارة

الذين يجلسون معي هنا اليوم أن يجدوا لنا حلاً واقعياً ومخرجاً مشرقاً لما تورطنا فيه بدافع الاخلاص والتفاني في خدمة الوطن وقد كانوا عند حسن ظننا بهم، وكانوا على مستوى التحدى والمسئولية التي حملوها واستطاعوا بمقدرة وكفاءة الاستغناء عن المخطط الذي أجيز من قبل لتنفيذ المشروع، واستبداله بمخطط جديد يستغني عن القناة المشئومة، وفي نفس الوقت يوفر لنا حوالي ٢٥٪ من التكاليف وبعد إجراء الفحوص والاختبارات اللازمة، وبعد التاكد من أننا حصلنا على أفضل البدائل اقتصادياً وفنياً رفعت الأمر لمجلس الوزراء الذي أقر المخطط الجديد واعتمده في خطة التنمية. ولهذا رأيت أن أقدم لكم أخوتي وزملائي الذين كان لهم الفضل في صياغة المخطط الجديد. ومن ثم قدمتهم واحداً واحداً وهم المهندس يحي عبد المجيد الوكيل، والمهندس الطيب عبد الرازق نائب الوكيل، والمهندس الربيع عبد السلام مساعد الوكيل للإنشاء والتعمير، والمهندس محمد صالح حسن كبير مهندسي المشروعات، والمهندس الهادي عبد الملك مساعد كبير مهندسي المشروعات، والمهندس عثمان محمد حسن كبير المهندسين الميكانيكيين، والمهندس محمود السر جماع كبير مهندسي التشييد، والمهندس الخير حاج الأمين مساعد كبير مهندسي التشييد والمهندس فيصل طه المهندس المقيم لقناة الرهد

وشرحت في تبسيط التعديل الذي أقر والتخفيض في التكاليف الذي تحقق وبرامج تنفيذ العناصر الاساسية في المشروع، وهكذا طوينا صفحة في مشروع الرهد، وفتحنا صفحة جديدة كتبناها بأنفسنا في ثقة وتحدي ومضينا قدماً في تنفيذ أشغال البنية الاساسية لمشروع الرهد السوداني.

غضب السوفيت عليّ وعلى وزير التخطيط:

بعد أن فشلنا في الوصول إلى أي إتفاق مع السوفيت بخصوص شراء الآليات السوفيتية، وبعد أن توصلنا إلى التعديل الجوهري لري مشروع الرهد اتصل بي تليفونياً الرئيس نميري بمكتبي، وقال لي بأن السفير السوفيتي حضر اليه وأخبره أن الحكومة السوفيتية غير راضية عني لعدم تعاوني معهم في اتمام صفقة الآليات، وزيادة التعاون بين الوزارة وبينهم فقلت لنميري

ليذهب السفير السوفيتي وحكومته إلى الجحيم، وفي اعتقادي أن موقفي الصادق معهم يخدم مصالح بلدي ومصالح بلدهم لأنني لو قبلت ما عرضوه عليّ سيأتي يوم قريب تصبح فيه تلك الأنابيب اكواماً من الحديد الخرده دون أن تحقق العمل المطلوب منها. ويومها سيغضب الشعب هنا ضدي وضد السوفيت، ضحك النميري، وإنتهى الموضوع. ولكن بعد فترة قليلة وصلت مذكرة عن طريق وزارة الخارجية من الحكومة السوفيتية تتهمني وتتهم السيد عبد الكريم ميرغني وزير التخطيط بإننا نحمل أفكاراً ونعمل بدوافع معادية للسوفيت، وكانت تلك المذكرة مبعث استهزاء مني ومن الصديق عبد الكريم ومن جميع الذين علموا بها في الحكومة

الأستعجال في ري مشروع السوكي قبل موعده المحدد :

سارت أعمال تنفيذ الرهد حسب البرنامج المقرر، وعلى ما يرام، إن كان فيما يخص محطة الضخات، أو فيما يخص إستصلاح الأراضي وشبكات الري والصرف. وكان من المقرر أن يبدأ ضخ المياه في الحقول في شهر أغسطس ١٩٧٩ حين يبدأ ري محصول القطن للموسم ٧١-١٩٧٢ ولكن في حوالي شهر مايو أتصل بي الضابط بالمعاش محمد عبد الحليم الذي أصبح وزيرا للتخطيط (بعد أن كان وزير دوله للرسائل لمصر) بعد تعديل وزاري أعفي فيه الصديق عبد الكريم ميرغني إتصل بي طالباً مني أن كان في الامكان التعجيل بإنجاز مشروع السوكي في غضون شهر يونيو ليتمكن من ري محصول الفول السوداني الذي يزرع في شهر يوليو، أي تخفيض فترة التنفيذ شهراً واحداً. وأردف قائلا "إذا تمكن مهندسوك من تحقيق ذلك فأنا على إستعداد للإستجابة لمطالبهم في الحصول على الزيادات والترقيات التي كنت قد تقدمت بها إليّ في مذكرتك التي أمامي"، فوعدته خيراً على أن أبحث الأمر مع المسئولين عن تنفيذ المشروع ذهبت بعد ذلك لموقع الأعمال في السوكي يصحبني المسئولون في الوزارة حيث عقدت اجتماعاً موسعاً حضره جميع المهندسين المشرفين على تنفيذ العناصر المختلفة، وهناك حدثتهم بما طلبه السيد وزير التخطيط، وما قدمه من مكافآت مقابل ذلك وعند بدء النقاش طلب الحديث مهندس يقوم بتنفيذ أعمال محطة

المضخات، وقال يخاطبني في ثقه وثبات "يا أخ مرتضى ما كنت أتوقع أن أسمع منك هذا الحديث الغريب فأولاً، أنت كمهندس تعلم بأننا خططنا برنامج التنفيذ على أسس علميه تأخذ في الاعتبار متطلبات التنفيذ من جميع جوانبها، وإذا طرأت مستجدات تتطلب آعادة النظر في البرنامج، فأن ذلك يتم على اساس الدراسة الفنية التي يتقرر بموجبها إن كان في الإمكان تخفيض المدة، وكم هو الثمن. أما أنك تفكر بعقلية السيد وزير التخطيط بأننا نستطيع تخفيض مدة التشييد برشوتنا ببعض العلاوات والترقيات ففي ذلك إساءة لنا ولك يا آخ مرتضى وما كنا نتوقع ذلك منك" والله يعلم كم شعرت بالاحتقار لنفسي وتحسرت على قلة عقلي وتمنيت لو كان في استطاعتي أن اختفي تحت المنضدة التي كنت أجلس عليها، وتلك العيون المتسائلة تنظر إليّ فما كان مني سوى إسترداد شجاعتي والرد بموافقته مبدياً أسفي وإعتذاري وساحباً كلامي الذي أثار عتابه ثم طلبت فوراً من المسئولين تكوين لجنة لبحث إمكانية ضخ المياه في شبكات الري في أول يوليو بدلا من أول أغسطس، ورفع ما تتوصل اليه اللجنة لبحثه معهم قبل عودتي للخرطوم في مساء ذلك اليوم.

المتطلبات الإضافية لتحقيق البرنامج وتوسلي للنمساويين:

في العصر عقدنا اجتماعا لسماع ما توصلت اليه اللجنة، وقد تأكد بأنه من الممكن تشغيل المضخات وتدفق مياه الري في الشبكه في أول يوليو إذا تحققت المتطلبات التالية

أولا زيادة عدد آليات الحفر بقدر معين على أن تبدأ العمل بالحقل في تاريخ معين.

ثانيا: تعديل تصميم محطة المضخات ليصبح سقفها من الحديد والزنك (جملون) بدلا من سقف الخرسانة المسلحة كما كان مخططا من قبل، والاستعجال في توفير تلك المواد للتركيب في تاريخ معين. تلك كانت متطلبات قسم التشييد التابع للوزارة

أما الشرط الثالث والأهم، والذي يقع خارج اختصاص قسم التشييد هو آن

تقبل شركة اندرتز النمساوية المورِّدة للمضخات والمسئوله عن تركيبها وتشغيلها قبل التسليم، البدء في تركيب المضخات على قواعدها، قبل إنتهاء الأعمال المدنية في مبنى المحطة وسقفها، خلافاً لما هو منصوص عليه في شروط العقد وعلى الفور طلبت رئيس عمال التركيب النمساوي ليحضر إليّ وعند حضوره تحدثت معه فيما نحن بصدده، وما نطلبه منه لتحقيق البرنامج المقترح. فرد عليّ معتذراً أن قوانين العمل في النمسا لا تسمح بعمل تركيب الماكينات، إذا كانت هناك أي أعمال مدنية تجري حولهم، أو فوق رؤوسهم ويضمن عقد الشركة مع الوزارة على أن يبدأ تركيب المضخات على قواعدها بعد إكتمال مبنى المحطة وإنتهاء جميع أعمال الإنشاء والتشطيب فيه ومن ثم تسليمه لشركة اندرتز لبدء تركيب المضخات، وتشغيلها قبل التسليم فقلت له أنني أعلم ذلك، ولكني أرجو منك أن تتفهم احتياجاتنا، وتتعاون معنا بغض النظر عن شروط عقد الشركة معنا، فرد بأنه لا يملك تلك الصلاحيات، ويعلم أيضا أن رئاسة الشركة في النمسا لن توافق على ذلك للخطورة على حياة عمال التركيب، إذا سمع بوجود أعمال مدنية في المبنى أثناء التركيب وعندما لاحظ حزني وخيبة أملي، وتطلعي اليه في استجداء، أردف قائلا "ياسيد الوزير أن القرار بذلك في ايدي العمال أنفسهم، فإذا هم إستجابوا لرجائك فعليهم وحدهم تحمل المسئولية، وليس للشركة حين ذلك أي دخل في الموضوع، ويمكنك أن تتحدث اليهم شخصيا" ثم استفسرت منه اين التقي باولئك العمال. فرد بأنهم في راحة الظهيرة في إستراحة سكنهم في الموقع. فطلبت منه الذهاب معي اليهم فإعتذر قائلا أنه لن يذهب معي، ولن يحضر تلك المفاوضات، والأمر لا يخصه ولا يخص الشركة فذهبت وحدي إلى الاستراحه، وهناك وجدتهم مستلقين على سرائرهم عراة تماما إلا بالقدر اليسير من اللباس، وكانوا حوالي ستة عمال في أعمار تتراوح بين العشرين والخامسة والعشرين. فحييتهم باللغة الالمانية، وتحدثت اليهم بها، وعرفتهم بنفسي فجلسوا على أسرتهم ينظرون إليّ، وأنا واقف في مدخل الغرفه، ثم واصلت مخاطبتي لهم شارحاً لهم الموضوع برمته، وما دار من

مناقشات بين المسئولين عن تنفيذ العناصر المختلفة في المشروع، وما توصلوا إليه، وحدثتهم بما قاله لي رئيسهم عندما طلبت اليه بدء التركيب أثناء تشييد مبنى المحطة، ثم توسلت إليهم أن يساعدوني في تحقيق البرنامج المعجّل. فوعدوني ببحث الأمر بينهم، وإخطاري فيما بعد قبل عودتي للخرطوم مساء ذلك اليوم، وكم كنت سعيداً وشاكراً ومقدراً عندما جاءوا إليّ جميعا في العصر في مقر اجتماعنا، وأخبروني بقرارهم بالموافقة على بدء تركيب المضخات حسب البرنامج المعجّل. وهكذا تم إقرار البرنامج بمشاركة ومباركة كل القائمين بالتنفيذ مع تحملي مسئولية توفير المتطلبات اللازمة لتحقيق البرنامج

الفصل الرابع
توجهات وصراعات الحكم العكسري
حتي يوليو ١٩٧١

الفصل الرابع
توجهات وصراعات الحكم العكسرى حتى يوليو ١٩٧١

بدء التوتر فى علاقتى مع النميرى:

بدأ النميرى يتغير شيئاً فشيئاً، لما كان يسمعه من الكثيرين فى أنه العبقرى الفذ الذى فجر الثورة إلى غير ذلك من التكبير والتطبيل الذى كان يقوده منصور خالد والضابط المتقاعد أحمد عبد الحليم والضابط المتقاعد عمر الحاج موسى وغيرهم، فى داخل الحكومة وخارجها وبدأت الاحظ تباعد النميرى منى يوما بعد يوم إذ أن نوعية الكلام الذى كان يسمعه منى لم يعد يصادف هوى فى نفسه وبدأ يصدق بأنه بالفعل عبقرى زمانه، وأنها مشيئة الله وقدرته فى اختياره شخصيا لقيادة الأمة، لما فيه من صفات مميزة كانت غائبة عليه وعلى من حوله فيما مضى وفى الحقيقة فى تلك الشهور التى كانت صلتى به قوية، وكنت أقضى فى صحبته ساعات طويله تعرفت على شخصيته، وانكشفت لى جوانب واضحة فى قدراته العقلية، وما به من عقد نفسيه فجعفر النميرى ينتمى لعائلة بسيطة جداً، كان والده يعمل حارساً فى مكاتب شركة تجارية فى مدينة مدنى، وكان شقيقه الأكبر مصطفى من زملاء فصلى فى المرحلة الابتدائية فى مدنى وكان النميرى من التلاميذ المتخلفين فى دراستهم ولهذا إنتهى من الدراسة والتحصيل دون نتيجة فى المرحلة الثانوية، وكان مشهوراً بالرياضة "والفتونه" بين زملائه فى تلك المرحلة، وكنت الاحظ تخلفه الفكرى وعجزه عن فهم أبسط الأشياء، الأمر الذى كان يستدعى أن تشرح له الامور بقدر قليل وبأسلوب بسيط حتى يستوعبها، وكان ضحل المعلومات العامة وسطحى التفكير، وقد كنت أقول عنه لو كان هذا الحائط يفهم فأن النميرى يفهم، أما عقده النفسيه فقد اتضحت لى فى عدة ظروف ومناسبات فهو يتصف بانفصام الشخصية التى ربما كانت بسبب قصوره العقلى، إذ لاحظت عندما اتحدث اليه بعد اجتماعات مجلس الوزراء فى موضوع يخصه كرئيس لمجلس قيادة الثورة، أنه كان يقول لى "لا يامرتضى، ده موضوع يخص مجلس الثورة فلتحضر لى فى القصر وتحدثنى عنه هناك" وعندما كنت احتج على ذلك لضيق الوقت وبأننى أود الحصول على

موافقته، يرفض بشدة، طالبا حضوري أو ذهابي معه إلى القصر حيث أفتح معه الموضوع، وبالفعل كنت اصحبه إلى هناك وبعد أن يجلس على مكتبه يطلب مني فتح الموضوع، لأنه في تلك اللحظة أصبح رئيس مجلس قيادة الثورة. كذلك كان الامر بالنسبة له، عندما كان يتسلم حقيبة وزارة ينوب فيها عن الوزير المختص لغيابه خارج البلاد. إذ أنه كان ينوب عن كل وزير متغيب في الخارج، وكان يحب ذلك جدا، وقد كانت هذه الظاهره معروفه عنه ببرقياته التي كان يرسلها للرئيس من موقع ما، ثم يرد عليها كرئيس ويتم اذاعة البرقيتين. وأذكر بعد أول تعديل وزاري وهو رئيس للدولة، بعد إنقلاب هاشم العطا أن حضر إليّ بمنزلي الوزير يحي عبد المجيد والذي أصبح وزيرا للري بعد اعفائي في يوليو ١٩٧١، وقص عليّ القصه التالية:-

"إنه في اجتماع لمجلس الوزراء، حيث كان يحي يقدم مذكرة تخص أعمال وزارته، كان يلاحظ أن الرئيس نميري غير ملتفت لما يجري من حديث، وكان من وقت لآخر ينظر إلى المدخل الجانبي من قاعة الاجتماع في انتظار أمر ما وبعد فترة حضر أحد أمناء المجلس بورقة وسلمها له، فأوقف النميري المناقشات، وبدأ يقرأ من الورقة على النحو التالي "لقد تقدمت باستقالتي للسيد رئيس الجمهورية، وقبلها مشكورا وطلب مني أن ابلغكم بشكره وتقديره لما ابيتموه من خدمات" وهكذا حل مجلس الوزراء

والنميري يكره المتعلمين، والذين ينحدرون من عوائل ذات سمعه طيبه أو ذات يسر في المال والمال، وأذكر مرة أن كنت بمدني، حيث القيت خطاباً في تجمع كبير للعاملين في الوزارة جاء فيه "أننا قد تربينا على أيدي رجال، ما جاءت سيرتهم إلا وذكروا بالخير والعرفان اذيع بعد نشرة الأخبار في مساء ذلك اليوم، وعندما قابلته في اليوم التالي، بادرني سائلا في احتجاج "أيه الكلام الفارغ اللي قلتو امبارح عن أبوك متو وأهلك." فرديت عليه وأنا مدرك لحقده" ياريس أنها الحقيقة وأنا فخور بها، واللي موش عاجبو يشرب من البحر"

وأذكر أيضا ذهبنا للقضارف لتفقد الزراعة المطريه في تلك المناطق، وهناك نزلنا نحن الوزراء في ضيافة منزل لأحد كبار تجار القضارف، وكان رجلا معروفا بكرمه وهو مسيحي قبطي، لا أذكر أسمه الآن، ونزل النميري وأعضاء

مجلس الثورة مع زملائهم في ثكنات الحاميه العسكرية هناك، وفي الحقيقة كانت أول زيارة لي للقضارف، وتعجبت لما وجدته من مستوى رفيع لمنزل مضيفنا وبعد دخولنا للغرف المخصصه لكل منا، جاءنا الخادم يدفع عربه على عجلات بها جميع أنواع المشروبات البارده والكحولية، وزاد ذلك من دهشتي إذ لم أكن أتوقع ذلك المستوى من الخدمة حتى في بيوت الأغنياء في الخرطوم، وبحماسي وسجيتي اتصلت تلفونياً بصديقي العزيز الرائد زين العابدين عبد القادر في منزل ضيافتهم في الحاميه. ووصفت له ما نحن فيه من عز وترف، ودعوته وزملاءه ليأتوا الينا ولما جاء هو وأبو القاسم محمد ابراهيم وغيرهم، ورأوا بأنفسهم ما نحن فيه من عز نصحوني إلا أخبر الريس لأنه حاسد وسيزعل وفي مساء اليوم، حيث التقيت به في مكان التجمع السياسي حيث ستلقى الخطابات السياسية، سألني عن مكان ضيافتنا فما كان مني إلا أن حدثته بالحقيقة، مردفا بأن الرجل صاحب الدار معروف بكرمه، لكل من يزور القضارف من المسئولين في الحكومة وغيرهم وهو أيضا عضو في لجنة استقبالنا، فرد في استغراب أنه لم يسمع به أو بكرمه من قبل، على الرغم أنه جاء في السابق كقائد لتلك الحاميه فقلت له ربما لم يسمع عنك يومها. فقال محتجا كيف يكون ذلك وأنا قائد الحاميه، ثم التفت إليّ الزين يطلب منه مصادرة ممتلكات مضيفنا الشهم الكريم. فما كان مني إلا وأنفجرت غاضباً "ده كلام ده ياريس الرجل يكرمنا ويسكننا في بيته وتقول نصادر ممتلكاته لأنه ماجاب خبرك عندما حضرت إلى القضارف زمان وأنت ضابط - ده كلام ده - أصلو أنحن عصابه حراميه، والله يحصل هذا أعمل لك أزمة قدام الناس، ما تعرف تتخارج منها كيف "وهنا جرني الزين بعيدا وبسرعة قائلا لي: "أنا ماقلت ليك تمسك خشمك الفاكي ده" وإنتهي الموضوع بنفس الطريقة التي بدأ بها، كلام ساكت

وظاهرة أخرى في النميري لاحظتها، وأيدني في ملاحظتي لها الكثيرون ممن عرفوه عن قرب، وهي أنه إذا قصيت عليه قصه وقعت، وكان محورها شخص تحلى بالشجاعة أو الاقدام أو الكرم أو أي صفه طيبة، وعجبته القصة، فانه يحكيها للآخرين واضعاً نفسه شخصياً في مكان بطل القصة حتى أنه في بعض الأحيان ينسى أنك قد قصصتها عليه فيقصها عليك أو لأشخاص بطريقته إياها. وكنت في الأيام الأولى أعتقد بانه يريد أن يضحك عليّ، أو هي طريقته في

الداعية، ولهذا كنت اقفشه قائلا ياريس أنت فاكرني عبيط

عضويتي في مجلس محافظة النيل الأزرق ومقالي الذي جرّ لي المتاعب:

بوصفي وزيرا للري أصبحت عضوا في مجلس محافظة النيل الأزرق، بناءً على توجيهات من مجلس الوزراء، فيما يخص الصلة بين المحافظات ووزارة الحكومة المحلية أو الوزارات الأخرى ذات الصلة، وكان مجلس محافظة النيل الازرق يترأسه صديقي وابن دفعتي المرحوم صلاح قرشي، كما كان في عضويته استاذي المعلم محي الدين دياب الذي يمثل وزارة التربية والتعليم في المحافظة، وصديقي الدكتور عوض محمد أحمد أو عوض القوي كما كنا نسميه إذ كان يلعب حارس مرمى أيام الدراسة وغيره ممن كان لي بهم صلة قوية فيما مضى، وفي أول اجتماع جئت من الخرطوم لحضوره أمر رئيس حرس المحافظة أن ينظم لي طابور شرف، لتحية الوزير حسب تعريفه فرفضت قائلا أنني لا أطالب بهذا الشرف، واكره التعظيم والتكبير والهيلامان، ولكن الرجل لم يتقبل كلامي واصر أن ذلك عمله ومسئوليته وتدخل صلاح قرشي وهمس في اذني بأن لا مفر من طابور الشرف، وأن الأمر هام بالنسبة لرئيس الحرس، وسيعتبر رفضي اساءة له ولعمله، وأنني لن أستطيع دخول مبنى المحافظة إلا بعد تفقد الحرس ورد التحية، رضيت أم أبيت، وهكذا وقفت منتصبا انتباهاً أمام الحرس حتى اكملوا طقوسهم، ثم تفقدت الجنود ورفعت يدي تحية للعلم وبعدها دخلت المبنى

بدأ الاجتماع وأنا جالس بجانب صلاح قرشي، وبدأت الاحظ أن الجميع كانوا يلتفتون نحوي بعيونهم الفاحصة بعد مناقشة أي موضوع، كأنما يطلبون مني إرشادهم بالرأي الصائب فتضايقت وفجأة طلبت الحديث، وقلت لهم بكل صدق وأمانة ما كان يدور في خاطري في تلك اللحظات "كلما تلتفتون نحوي كأنما أنتم تطلبون مني أن ألهمكم بالرأي السديد وأوجهكم إلى الحل الوحيد اتمنى أن أختفي عن أنظاركم بانزلاقي تحت الترابيزة خجلاً فأنتم أعلم مني فيما تناقشون، ومن بينكم استاذي الجليل محي الدين، ومنكم زملاء واصدقاء أعزاء علي كانوا بالأمس يتهكمون ويقرعون عليّ فيما اجهله من أمور، حتى ما

كان معروفا للجميع فماذا تغير بالنسبة لي؟ أصرت اليوم عبقري زمانه؟ لأني أصبحت وزيراً؟ لقد جئت اليكم لأتعرف على مشاكلكم واحتياجاتكم لأساعد ما أستطعت في الحصول على ماتريدون من الخرطوم أن كان أمراً يقتضي موافقة الحكومة وإن كان أمراً استخلصه لكم من وزارة الحكومة المحلية أو غيرها من الوزارات والدواوين فانا حلقة الوصل بين مجلسكم وبين أصحاب القرار هناك" وبعدها تغير جو الاجتماع وبدأوا يعاملونني كواحدا منهم، وعادوا لسابق عهدهم معي ولهذا كتبت مقالي "عبقري زمانه" بعد عودتي للخرطوم وقصيت ما حدث لي في اجتماع مجلس المحافظة وجاء في مقالي ما يفهم منه أن كل عسكري أو متعلم كغيرهم من الناس، ما أن يشغل منصباً وزارياً أو يستولي على سلطة حتى يصبح بين يوم وليله وبقدرة قادر عبقري زمانه وكلما يصدر منه قرار أو أي حكمة ومعجزة لم يأت بها الأولون ولا الآخرون فغضب النميري من مقالي وعاتبني عليه وهكذا شيئاً فشيئاً بدأت علاقتي معه تدخل في مرحلة من الفتور، وبعدت الشقة بيني وبينه

السلم التعليمي واستقالة النميري:

بعد السيطرة الكاملة للنميري وأعوانه على الحكومة بمجلسيها، وبعد أعفاء العديد من الوزراء أصبح في مجلس الوزراء عدد من ذوي النفوس الضعيفه والمنافقين والمطبلين، الذين كانوا في كل مناسبة وفرصة يطالبون بإعادة السلطة للعسكريين ومجلس قيادة الثورة إذ هم الذين وضعوا رؤوسهم في اكفهم، ودخلوا الخرطوم في ٢٥ مايو، وفجروا الثورة وحققوا التغيير ولهذا أصبح الوزراء المدنيون يهرولون إلى مجلس قيادة الثورة عارضين عليه مشاريعهم أو الأمور التي تخص وزاراتهم ليحصلوا على الموافقة عليها دون عرضها على مجلس الوزراء صاحب الاختصاص حسبْ النظم والقوانين تفادياً للفحص والمساءلة ومجابهة المجلس بالأمر الواقع وعندما تفاقمت الأمور أثيرت هذه الظاهرة في المجلس وأنتقدت بشدة من الجميع ووجه كل الوزراء بالإلتزام بالأسلوب الصحيح وعدم الإتصال بمجلس قيادة الثورة في أمور ليست من اختصاصه وفي صباح ذات يوم طالعت في الصحف خبراً يشير بأن وزير

التربية والتعليم قد رفع لمجلس قيادة الثورة مشروع السلم التعليمي وتمت مناقشته بحضور الوزير وأقره المجلس في اجتماعه بالأمس. فاندهشت لذلك وإتصلت هاتفياً بالنميري في مكتبه محتجاً على ما تم موافقتي ووجهني أن أرفع الأمر لمجلس الوزراء، وبالفعل كتبت مذكرة ضافية وسلمتها لأمين عام مجلس الوزراء لتضمينهافي أجندة المجلس. وفي أول اجتماع عادي قدم الأمين العام الأجندة التي تمت الموافقة عليها للمناقشة في ذلك المساء.

تقديم مذكرة وزير الري وهجوم النميري وتنابلته عليّ:

ولما جاء دور مذكرتي في المناقشة لم يطلب النميري مني كمقدم للمذكرة أن أشرحها للمجلس كالعادة. بل تصدى هو بنفسه للحديث مهاجماً شخصي بأنني أتدخل في كل شيء وأنني عامل نفسي مسئول من البلد ومن الثورة. وبعد أن أكمل هجومه الشخصي ضدي تناولني زبانيته والحاقدين عليّ، وبدأوا يهاجمونني واحداً تلو الآخر. الدكتور منصور خالد والضابط بالمعاش أحمد عبد الحليم والضابط بالمعاش عمر الحاج موسى والدكتور محي الدين صابر مؤيدين سيدهم ومؤكدين أحقية مجلس قيادة الثورة وناقدين تطاولي وتدخلي فيما لا يعنيني، وحتى اولئك الذين كانت تربطني بهم مودة كفاروق أبو عيسى ومنصور محجوب وغيرهم، فقد وقفوا معي في الاحتجاج على تخطي مجلس الوزراء في أمر من صميم اختصاصه وعمله، إلا أنهم عابوا عليّ أسلوبي في تقديم المذكرة قائلين بأنه كان من الاجدر بي بحث الموضوع مع رئيس الوزراء، وترك الأمر له لتصحيح الخطأ دون أن اقدم مذكرة رسمية بوصفي وزيراً للري لان الموضوع لا يخص وزارتي، ولكنهم عذروني لأن "مرتضى دائما متحمس ولي طريقته". وكنت طوال هذه المدة صامتاً، وعندما أنتهى الجميع من التعليق من كان ضدي ومن أيدني بتحفظ، تلفت النميري ولما لم يجد من يطلب الحديث قال موجها حديثه لي- تكلم يامرتضى. فنظرت اليه في احتقار وقلت "اتكلم اقول أيه؟ أولاً لم تعطني حقي في تقديم مذكرتي بل سمحت لنفسك أن تقدم مذكرتي بالهجوم عليّ، ومن ثم تفتح باب النقاش ليهاجمني الباقون ويعتبوا عليّ تأييداً لك. وحتى عندما انتقدني البعض لعدم استشارتي لك قبل تقديم المذكرة

ظللت صامتاً ولم تقل لهم الحقيقة. "ثم نظرت لفاروق ومنصور وقلت لهما "لقد إتصلت بالرئيس بالتليفون وحدثته برأيً فيما قرأته في الصحف، ولو قال لي الرئيس ده مش شغلك أو أشار إليّ بما يريدني أن أفعله لفعلت ما يريد، ولكن سيادته أشار عليّ بتقديم هذه المذكرة وهذا ما فعلت، ولهذا فأنا اليوم متهم بحب السلطة والتدخل فيما لا يعنيني" فذهل الجميع مما سمعوا وساد الصمت القاعة ونظروا نحو النميري في تساؤل وترقب وفجاة وقف النميري وقال "يا جماعة أنا فشلت في قيادة هذا المجلس ولهذا سأتقدم باستقالتي لمجلس قيادة الثورة، وينفض الاجتماع" وكان لا يزال واقفا متكئاً على عصاته القصيره وحقيقة كان ذلك الإعلان مفاجئة أكبر ليس بالنسبة لجميع الوزراء فحسب بل بالنسبة لي شخصياً وكان رد فعلي المباشر أن سحبت عصاته قائلا "أقعد" فجلس وهو ينظر إليّ. ثم قلت له "لو كنت أنا ما مقتنع برئاستك لذهبت لبيتي وتركت هذا المجلس ولكننا جميعاً وأنت معنا رفضنا الأساليب الخاطئة والتقليل من شأن هذا المجلس، وهذا ما اتفقنا عليه، وهذا ما أردت أنا تقويمه" ثم بدأ الآخرون واحداً تلو الآخر يعارضون ما أعلنه النميري أي استقالته وأذكر حديث الصديق عبد الكريم ميرغني حين وقف قائلا للنميري "لا ياريس أنت قائد ثورة وقائد الثورة لا يستقيل فأما أن يظل في قيادتها أو يقتل" وهكذا تغير الموقف تماماً فما كان من النميري إلا أن وجّه هجومه فجاة نحو محي الدين صابر عاتباً عليه تخطيه لمجلس الوزراء وبعدها تبعه الباقون وعلى الأخص أولئك المنافقون، وتذكروا ما قيل في المجلس من قبل عن ذلك الأسلوب الخاطئ، وطالبوا الوزير أن يقدم للمجلس مذكرته عن المشروع المقترح ليدرسها ويصدر توجيهاته وقراره بشأن ذلك المشروع الهام الذي سيؤثر على التعليم وعلى الأجيال القادمة في السودان. وأنفض الاجتماع بعد منتصف الليل، وبدأ الوزراء في الخروج من القاعة ولما مررت بمحي الدين وأنا خارج اوقفني وهو لا يزال جالساً، وقال في تهكم ومداعبه: "يادنقلاوي ما تفتكر أنك انتصرت عليّ، والله ماحتشوف مذكرة ولايحزنون، وما تصدق ماحصل"

اقرار السلم التعليمي الجديد والنميري يدق الجرس إعلانا بذلك:

مرت الأيام ولم يحدث شئ، وذات صباح جاء في صدر الصحف الصادرة أن الرئيس سيدق بنفسه الجرس المدرسي في إحدى مدارس العاصمة معلناً بدء الدراسة على اساس السلم التعليمي الجديد. وفي نفس اليوم وصلت إلى مكتبي ومكاتب الوزراء مجموعة من الوثائق عن السلم التعليمي، وبعد قليل، وقبل إنتهاء ساعات العمل الرسمية إتصل بي أمين عام مجلس الوزراء يخطرني بعقد جلسه مشتركة للمجلسين في رئاسة القوات المسلحة مساء ذلك اليوم لمناقشة مشروع السلم التعليمي. وبالطبع لم اتصفح تلك الوثائق وتاكد لي بأن ما يجرى ما هو إلا مسرحية شكليه يراد بها اخراج الموضوع على اساس النظم والإجراءات، إذ أن القرارات قد إتخذت، والتنفيذ قد برمج وخطط، وسيتم الاخراج صباح اليوم التالي كما نشر في الصحف.

بدأ الاجتماع المشترك في رئاسة القوات المسلحة، وتحدث النميري بانه سيقوم بإعلان السلم التعليمي الجديد في صباح الغد، ولهذا فقد طلب توزيع الوثائق على الوزراء لتتم المناقشة في ذلك المساء ليتمكن من الإعلان صباح اليوم التالي. تم فتح باب المناقشة طالبا التعليق ممن يريد الحديث، ولم يعلق أحد سوى اولئك الذين يعتبرون أن الإنجاز عظيم، وأنها ثورة في التعليم تليق بمايو المجيدة التي اصبحت نقطة البدء في كل جوانب الحياة في السودان. وفجاة وبدافع أنهاء الاجتماع قال النميري بصوت مرتفع: يامرتضى عندك تعليق؟؟ فنظرت للجالسين، ورأيت من بينهم معلمين واخصائيين في التعليم ومناهجه وهم صامتون. فحزنت على السودان وأجياله القادمه الذين شاء حظهم العاثر أن تتولى شئونهم وتتصدر لقيادتهم تلك المجموعة من المثقفين وقلت: "لقد استلمت الوثائق نهار هذا اليوم بعد أن قرأت في الصحف أن الإعلان سيتم صباح غد ولم افتحها، دعك عن عدم قدرتي على الفهم الكامل لما هو السلم التعليمي وما اصلح للتعليم في بلدنا، وكنت اعتقد أن في هذا المجلس وزراء ذوى علم و خبره في هذه الأمور، وهم الذين لهم الرأى والقدره على مناقشة الموضوع وإيضاح ايجابياته وسلبياته للمجلس، وهذه هي مهمة أعضائه ليتمكن المجلس من إتخاذ القرارات والتوجيهات الصحيحة التي ترعى مصلحة البلد أما إذا كانت القضية هو أنا وما لي من رأى في أمر كهذا فعلى بلدنا السلام"، وانفجرت ابكي حزناً على السودان

المسكين ومستقبله في الدراسة والتعليم الذي أصبح يعتمد على رأي مثني، وأصحاب المعرفة والتخصص ساكتين لأنهم من النميري والعسكر خائفين، وفجأة وقف النميري وأعلن إنتهاء الجلسة وخرج يتبعه كل الجالسين ما عدا الراشدين الزين محمد أحمد عبد القادر وأبو القاسم محمد ابراهيم اللذين جاءا إليّ حيث اجلس وجلسا حولي يواسياني ويتحدثان معي في ود وأسف لما حدث والقاعة فارغة ليس فيها أحد، وهكذا تم في اليوم التالي إعلان سلم محي الدين صابر التعليمي الذي درسه وأجازه مجلس الثورة والوزراء لحكومة مايو

النميري وزياراته المفاجأة للوزارات:

بعد أن تأكدت له السلطة كل السلطة وأصبح الرئيس القائد وزعيم الأمة ومفجر ثورة الشعب كما كان يسميه تنابلته. بدأ النميري يزور في الساعات الأولى من الصباح ودون إنذار أو اشعار الوزارات المختلفة ويجلس في مكتب الوزير ثم يقوم بتفتيش الدواوين والمكاتب ويكون الوزير لم يحضر بعد وليس له علم بأن الرئيس في وزارته يجلس في مكتبه ويتفقد العمل والعاملين من حضر مبكرا ومن لم يحضر بعد يحقق مع من يقابل من الرؤساء والمستخدمين يسأل عن هذا وذاك، وفي ذات يوم جاء لوزارة الصحة ولم يكن وزيرها الدكتور طه بعشر قد حضر من بيته بعد وهناك ومن مكتب الوزير وقع قرار احالة وكيل وزارة الصحة للمعاش وعندما علمت بالخبر اتصلت بالأخ طه بعشر وعتبت عليه قبول هذا الإجراء. وفي مساء نفس اليوم التقيت بالنميري ومعه عدد من أعضاء مجلس الثورة وبعض الوزراء وقلت له "ياريس أنت اليومين دول تنط كل صباح في وزارة قبل حضور الوزير وبدون علمه وتقعد في مكتبه وتفتش في المكاتب أحب أقول لك بأنك إذا أردت زيارة وزارة الري فلازم تكلمني بيوم وموعد حضورك وسأستقبلك في باب الوزارة وأذهب معك أينما تشاء وتقابل كل من تشاء وتتكلم مع أي واحد، وأنا معك، وبعدها تجي لمكتبي وتطلب مني ما تريد أن افعله في الوزارة، وإذا كان مقبولاً لدي فعلته بنفسي وأن لم يكن فسأقنعك بوجهة نظري، وهذا هو الأسلوب الصحيح أما إذا دخلت وزارة الري كما تفعل الآن فثق أني لن أعود لذلك المكتب بعد ذلك وكان يستمع وينظر إليّ ولم يعلق ولم

يرد. وإلى أن أعفيت من الوزارة لم يدخل النميري وزارة الري.

فتح الممر الثالث عبر خط السكه الحديد لربط شمال مدينة الخرطوم بجنوبها:

الخرطوم عاصمة السودان يدخل اليها قطار السكه الحديد عبر كوبري على النيل الأزرق من الخرطوم بحري التي تقع شمال العاصمة على الضفة اليمنى من النيل الأزرق على بعد بضعة كيلومترات من ملتقى النيل الأزرق والنيل الابيض حيث يكونان نقطة البدء لنهر النيل العظيم الذي يشق السودان ومصر ليصب في البحر الابيض المتوسط. يدخل القطار حتى ينتهي في محطة السكك الحديدية الرئيسية في الخرطوم ومن هناك يستمر الخط إلى المخازن وبعض الورش التي تقع في الغرب بالقرب من النيل الأبيض وبذلك أصبحت الحركة بين شمال وجنوب المدينة لابد لها أن تعبر خط السكة الحديد، وكان هناك ممران للعبور أحدهما بجسر يمر القطار من تحته مقابل للمنطقة الصناعية لا يؤثر على سير الحركة عليه، والثاني ممر مزلقان بالقرب من مستشفى الخرطوم الرئيسي يوقف الحركة إذا تصادف مرور القطار. وهكذا كانت الحركة بين شمال المدينة وجنوبها في اختناقات أثناء النهار وعلى الأخص في ساعات الذروة، وقد لاحظت ذلك أثناءذهابي من بيتي في شارع ٢٥ من إمتداد الخرطوم الجديد في الجنوب إلى مكتبي المطل على النيل الأزرق في شمال المدينة. وفي الحقيقة كانت هذه المرة الأولى في حياتي أن أسكن وأعمل في الخرطوم بدأت أفكر وابحث في وقت فراغي عن فتح ممر ثالث وبالفعل وجدت نقطة بالقرب من مدرسة سانت فرانسيس شمال مزلقان مستشفى الخرطوم تناسب فتح ممر مزلقان ثاني. واتصلت بصديقي وزميلي المهندس الفي جرجس كبير مهندسي بلدية الخرطوم الذي أكد لي بان الموقع الذي عثرت عليه مخطط من مكتبه لإنشاء ممر هناك ولكن لعدم وجود الاعتمادات المالية نام المشروع ومخططاته وعناصره وتكاليفه حبيسة الادراج. فاتفقت معه أن يزورني بمكتبي لنبحث معا كيفية التنفيذ، وتوصلت معه على ما يمكن أن نوفره له من وزارة الري وما يمكن أن يوفره هو من البلدية وما يمكن أن توفره مصلحة السكك الحديدية، واتصلت فوراً بزميلي

وكيل الرى الأخ يحى عبد المجيد وطرحت عليه الفكرة متوسلا منه أن يساعد بما لديه من إمكانات لعدم وجود أى اعتمادات، واتصلت تلفونياً بعطبرة مع صديقى المهندس عبد المنعم عباس مدير عام السكك الحديدية، وتوسلت اليه أن يساعد هو من وفورات اعتماداته ومعداته ورحب هو أيضا بالفكرة، وبدأنا العمل وفتحنا الممر الثالث لربط الأحياء الشمالية للمدينة مع الجزء الشمالى حيث الدواوين والوزارات والسوق الكبير ولايزال هذا المنفذ الهام يعمل اليوم رابطا شارع الملك نمر بشارع سعد الدين فوزى فشارع افريقيا حتى المطار.

موقفى مع الأخوان المسلمين فى الوزارة:

وصل إلىّ تقرير سرى من جهاز المخابرات بأن هناك عدداً من المهندسين ينتمون لحزب الأخوان المسلمين لهم نشاط سرى معاد للثورة وذلك لإعلامى لإتخاذ ما اراه مناسباً، وكان حزب الأخوان المسلمين محظور النشاط وأبعد عدد منهم من وزارة التربية والتعليم وغيرها تحت شعار تطهير العناصر المضادة للثورة فاستدعيت اولئك المهندسين لمكتبى بالخرطوم وأريتهم ما كتب عنهم، وقلت لهم أنه لاشأن لى بما يحملون من افكار سياسية وهذا حقهم ولكن إذا قاموا بنشاط سرى ضد النظام ووقعوا فى يد المخابرات فذلك يكون قدرهم وعليهم وحدهم تحمل تبعاته. ونصحتهم بالحذر الشديد، وكان من بينهم واحد مرشح لبعثة فى انجلترا فنصحته بالأسراع فى إجراءات سفره وبالفعل تم ذلك وسافر فى بعثته، ولم اسمع بعد ذلك عن أى نشاط لهم

الأخوان الذين فصلوا من وزارة التربية والتعليم:

وفى يوم آخر حضر إلى مكتبى عدد من المدرسين الذين تم تطهيرهم من وزارة التربية والتعليم على اساس أنهم فى حزب الأخوان، وعندما دخلوا إلى بمكتبى بالوزارة ذكروا لى بانهم سمعوا عنى بأنى رجل آمين يقف مع الحق ويحارب الظلم، ولهذا فانهم أتو إلىّ بشكواهم لفصلهم من الخدمة، فقد كانوا فى حزب الأخوان عندما كانوا فى الدراسة وانه لم يعد لهم اى نشاط سياسى، وهم

مظلومون ويطلبون أن أدافع عن قضيتهم فتحدثت اليهم طويلاً شارحاً لهم مهمتي الصعبة في مساعدتهم خاصة وستكون معركتي مع الدكتور محي الدين صابر، خاصة وأنا خارج من معركة السلم التعليمي بتاعه، ولكني وعدتهم خيراً وطلبت منهم العودة إليّ بعد اسبوعين وبالفعل تقدمت بمذكرة لمجلس الوزراء شارحا فيها الظلم الذي وقع على بعض الناس في عملية التطهير، وإذا علم أي وزير بأي ظلم وقع على أي فرد فواجبه رفع الظلم عنه وهكذا تكون المسئولية الأولى لكل من يتصدى لقيادة الناس والتحكم في شئونهم إذا كان أميناً وإذا كان له وازع من ضمير وفي المناقشة تحدث من قال باننا إذا فتحنا الباب فسيدخل منه كل من هب ودب وحتى اولئك الفاسدين والمرتشين وقلت لهم يومها "خير لنا أن يهرب ألف مجرم من العقاب من أن نعاقب أي شخص واحد برئ" وأقر المجلس ما يسمى بالقرار الذي لايذاع ولا ينشر، بتكوين لجنة كان رئيسها الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر، ليحول اليها أي وزير تصله شكوى بظلم وقع، وبعد ذلك اتصلت باولئك المدرسين واعطيتهم العنوان وتمنيت لهم التوفيق والسداد ومن يومها لم اقابلهم ولم أعرف ما حدث لهم، ونسيت الموضوع. وبعد سنوات عديدة في عام ١٩٧٣ جاء إلى مكتبي شخص لم أعرفه (بعد فصلي من الوزارة بعد إنقلاب هاشم العطا في عام ١٩٧١ عملت مهندساً في شركة مقاولات المهندس سيد عبد الله السيد وشركاه حتى عام ١٩٧٣ وفي عام ١٩٧٣ فتحت مكتباً في الخرطوم للاستشارات الهندسية باسمي)، وعندما جلس عرفني بنفسه أنه فلان أحد المدرسين الذين ساعدتهم برفع الظلم عنهم أيام كنت وزيراً وحكى لي القصة التالية "أنهم قابلوا اللجنة السرية وقدموا شكواهم وتقرر أرجاعهم إلى وظائفهم، ولكن وزير التربية والتعليم لم يسره ذلك فأمر بنقلهم فوراً إلى جهات نائية في المديريات الحدودية وكانوا قبل مغادرتهم للخرطوم يودون الحضور إليّ بمكتبي لشكري ولكنهم علموا بأني كنت خارج البلاد ومن ذلك الوقت تتابعت الأحداث وتشتتوا أيدي سبا كما وأني قد اختفيت من مسرح الأحداث والأخبار إلى أن فتحت مكتبي وبدأت إعلانات مكتبي تظهر في الجرائد من الأعمال التي أقوم بالأشراف عليها حين علموا كيف يتصلون بي. وقد كلفه زملاؤه الذين خارج العاصمة بأن يصل إليّ ليقول لي أنهم لن ينسوا فضلي عليهم، وظلوا كلما جاءت مناسبة يذكرونني بالخير وكم من مرات سألوا لي الله

أن يجازيني خير الجزاء فشكرته وأكدت له بأني لم افعل سوى واجبي وحملته شكري لزملائه.

محاولة زيادة مرتبات الوزراء:

بعد ماخلا الجو للمطبلين وأصحاب السلطة الجدد من الضباط، وما أن شعر أولئك بالأستقرار في مناصبهم الجديدة إلا وانفتحت شهيتهم وطمعوا في الحصول على مزيد من الدخل والمنافع والاستمتاع بالسلطة. كيف لا، فهم وزراء وحكام يضحون بكل وقتهم وأرواحهم من أجل الشعب ومصالحه ويؤمهم الناس في بيوتهم من أجل قضاء حوائجهم وحل مشاكلهم، وهذا يعرضهم للصرف والإنفاق الذي لا تطاله مرتباتهم البسيطة التي كانوا يتقاضونها عندما كانوا موظفين في الحكومة أو ضباطا برتب متواضعة في القوات المسلحة ولهذا فلابد من تعديل مرتباتهم لتتناسب ومسئولياتهم الضخمة. ومن هذا المنطلق واستنادا على مثل هذه الحجج تقدم وزير التخطيط الضابط بالمعاش محمد عبد الحليم بمذكرة لرفع مرتبات الوزراء وأعضاء مجلس قيادة الثوره، واقرار حق المعاش لكل وزير بعد اعفائه بمرتبه الوزاري كاملا وبغض النظر عن المدة التي خدمها وبدون أن يستقطع من مرتبه مساهمته في ذلك المعاش. ودعم طلبه في ذلك بأن شرح للمجلس ما يحدث في مصر قائلا بأن الوزير المصري عندما يعفى من الوزارة يحتفظ بمرتبه وبسيارته وحتى بسائقها الذي تدفع مرتبه الدولة، وذلك حفاظا على كرامة الدولة والذين خدموا في قيادتها، فقمنا بمهاجمة المذكرة واوضحنا القوانين التي تحكم المعاشات في الخدمة العامة خاصة وكنا نحن الوزراء الذين أتينا من الخدمة العامة قد احلنا على المعاش في الدرجات التي كنا نشغلها قبل الاضطلاع بالحقائب الوزارية وكانت معاشاتنا مجمدة كما تنص بذلك القوانين ورفضنا تلك الرشوة متسائلين كيف يجوز لنا ذلك ونحن ندعو الشعب لربط الاحزمة ثم نأتي هنا لنزيد من مرتباتنا وامتيازاتنا وأين ذلك الكلام عن الثوار الذين وضعوا رؤوسهم فوق أكفهم من أجل خلاص الشعب وسعادته وأذكر بعض الأخوة الذين تصدوا لا لاعيب أحمد عبد الحليم وهم منصور محجوب وطه بعشر وعثمان أبو القاسم وغيرهم ورفضت المذكرة بجميع مقترحاتهم، وقد علمت بأنه

بعد إنقلاب هاشم العطا وعندما تركزت السلطة في يد النميري كرئيس للدولة زيدت المرتبات والبدلات والإمتيازات.

زوجتي وتهديدي لها بوضعها في السجن وتقديمها للمحاكمة:

بدأ الناس يتحدثون في مجالسهم عن بدء المحسوبية في الحكومة خاصة بعد التعديلات الوزارية المتعاقبة التي كانت تتم من وقت لآخر. وفي يوم كان في منزلي ضيوف من الاصدقاء والمعارف وكنا نجلس في حديقة منزلي في شارع ٢٥ حيث كان الحرس يقف في كشك أمام المدخل، وبدأ الضيوف يتحدثون عن المحسوبية والفساد وما يشاع عن ذلك في أوساط الناس، وكنت أنفي هذه الشائعات قائلا بأنها اكاذيب الثورة المضادة من رجال الأحزاب الذين فقدوا السلطة. وفجأة عارضتني زوجتي في دفاعي قائلة "بأنك الوحيد الأمين فيهم والباقين مساكر ووزراء كل واحد شايف مصلحته وأنت ما جايب خبر". فقلت لها يعني أنا مغفل وطرطور قاعد أشتغل مع حرامية وأنا ما جايب خبر. فردت قائلة بأنها لم تقصد بأني طرطور ولكن الذين أعمل معهم حرامية، فغضبت وقلت لها "عليّ الطلاق ترددي هذا الكلام مرة ثانية لاستدعيت الحرس لأخذك لمركز البوليس، وتقديمك للمحاكمة". وكان واضحا بأني أعني ما اقول، وبقيت أنظر اليها في تحدٍ وينظر اليها الضيوف، وتأكدت بأني فاعل ما اقول، فما كان منها إلا وأنفجرت باكية وهرولت إلى داخل البيت. وعلى الرغم من إعتذاري لها فيما بعد، إلا ن هذه الحادثة تركت في نفسها جرحا لازال يدمى كلما تذكرت تلك الحادثة قائلة بأنها لن تنسى تلك الواقعة ولن تسامحني عليها حتى تموت.

كل شئ بدأ بمايو:

كان الحديث بين العسكر والوزراء في أوقات فراغهم وجلساتهم المسائية أن كان في منزل أحد أعضاء مجلس الثورة أو الوزراء يدور عن ثورة مايو الخالدة والتي جاءت بالتغيير والتوجه إلى الطريق الصحيح طريق الاشتراكية وسلطة الشعب والكادحين، ولهذا كان بعض الناس من داخل الحكومة وخارجها يؤكدون

بأن كل شئ بدأ من مايو وبالطبع ينطبق ذلك على الوزراء الذين أصبحوا ثوارا ودخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، وكان هذا الحديث يبسط النميرى ويهواه لأنه يعني بأن الرئيس القائد هو الذي اصطفى أولئك المثقفين لمشاركته في القيادة وبالتالي خلق منهم ابطالا وفي ذات يوم كثر فيه هذا النمط من التطبيل وضقت بذلك ذرعا خاصة أنه كان يصدر من بعض الوزراء فقلت للنميرى "ياريس أنا ماخلقتني مايو، ولم ابدأ منها، فلي تاريخ عني في العمل والنضال إن كان أيام الدراسة وإن كان في عملي في وزارة الري وأنت وزملاؤك في مجلس قيادة الثورة عندما وضعتم اسمي كوزير للري أيام كنتم تخططون للإستيلاء على السلطة لم تكونوا تعرفون عني شيئا، ولكن عندما أردتم اختيار وزير للري حدثوكم عني وعن سمعتي وعملي في الري، وأنا خارج البلاد ولهذا فياريس أنا بسمعتي فرضت نفسي عليكم، ولم تخلقني مايو ولم أبدأ من مايو وإن أردت أن تتحقق الآن من ذلك فاعفني من الوزارة، وأعلن بانك تريد تعيين وزير للري باختيار جميع العاملين في الوزارة، وأجرِ تصويتاً سرياً، فإذا لم آت اليك بأغلبية ساحقة أقطع رأسي، وهذا تحدى مني لاثبت لك بان مايو لم تخلقني".
فلم يرد ولم يعجبه حديثي، وتغير الموضوع.

أحمد سليمان وتطبيله للعسكر:

كنت أعرف أحمد سليمان المحامي الشيوعي منذ أن كنت في الدراسة الثانوية، وكان يومها طالباً مشهوراً بالاستهتار والصعلكة ثم جاء منتصف الأربعينات وسافر مع موجة من طلبة الثانوية السودانيين إلى مصر للدراسة هناك، وعاد بعدها محامي في الخرطوم، اشتهر بشيوعيته وشرفه الماركسي، إذ كان في ذلك الوقت كثير الحليفه بشرفه الماركسي وكان صديقا للكبارات ومشهورا بارتداء الملابس الأنيقة الغالية ومحاميا وافر الدخل معروف بشيوعيته وعضويته في قيادة الحزب الشيوعي، ودخل نائبا في البرلمان مرشحاً في دائرة بالخرطوم من الحزب الشيوعي، وكانت سمة التناقض الواضح فيه أنه شيوعي ومحامي للطبقات الكادحة وفي نفس الوقت يعيش حياة البذخ والترف والملبس الأنيق الغالي وجلسات الوسكي في ليالي الخرطوم ومجالسها الراقية، وكان من

المؤيدين والمتحمسين لإنقلاب مايو وصديقاً للكثيرين من أعضاء مجلس الثورة والنميري شخصيا، ومين سفيراً للسودان في الإتحاد السوفيتي بعد الإنقلاب وأذكر عند لقائي به بعد تسلمي حقيبة وزارة الري أن قابلته في إحدى الامسيات، وأخبرني بأنه هو الذي رشحني للعسكر لكي أكون وزيراً للري إذ اتصل به العسكر أثناء التحضير لإنقلاب مايو وسألوه بوصفه من أهالي مدينة مدني حيث رئاسة الري عن الشخص المناسب ليكون وزيراً للري- مهندس الري مرتضي، أم مهندس الري عبد الله محمد ابراهيم - فرشحني بوصفي أكبر سناً وكنت رئيساً لعبد الله وكان أحمد سليمان مشهورا في ذلك الوقت ايضا بحماسه الشديد للعسكر وهجومه الشديد علي أي جهة تقف ضد إنقلاب مايو. وكم من مرة كان يهاجم ويشتم أمين حزبه الشيوعي ومن معه لأنهم ضد الإنقلاب ويعملون للاطاحة بالنظام وأذكر في مناسبة كان فيها الرئيس جمال عبد الناصر معنا في الخرطوم قابلته صدفة، وكان غاضباً وقال لي بأن "عبد الخالق يخطط ويعمل لتقويض هذه الثورة، وأنه وزمرته من الحاقدين سيقتلون جزاء علي مؤامرتهم ضدها" وكان دافعه لاخباري سببين أولهما كان يعلم بصلة الصداقة والود التي تربطني بعبد الخالق منذ أن كنا طلبة في فصل واحد في المرحلة الثانوية حين لم يكن أحد منا يعرف السياسة، أو ماذا تعني الشيوعية، وكان يعرف احترامي وتقديري لعبد الخالق، وثانياً كان يسمع عن مواقفي المتعددة في مناسبات عديدة ضد تسلط العسكر ودكتاتوريتهم، وكان هو شخصيا من المثقفين الذين كانوا يطبلون لهم، ويقولون لهم أنكم العباقرة الذين أتيتم للسودان بمعجزة القرن العشرين، بل كان أحمد سليمان يبالغ في تطبيله في كل مناسبة وفرصة بصورة سمجة يقشعر لها الإنسان حتي أن الكثيرين منهم كان يكرهه لمبالغاته في تعظيمهم وتكريمهم خاصة وقد كانوا شبابا أصغر سناً منه بكثير وأذكر في إحدى الامسيات وكنا في ضيافة الرائد أبو القاسم محمد ابراهيم في منزله، وكان هناك عدد من أعضاء مجلس الثورة والوزراء في جلسة ودية خاصة دار فيها نقاش اختلفنا فيه، وإذا بأحمد سليمان يقوم من حيث يجلس ويسجد أمام قدمي أبو القاسم في وضع ذليل ويردد قائلا "نحن بولكم، نحن خراكم" فغضب أبو القاسم ومسكه من شعر رأسه وبقوة وإحتقار وجذبه إلي فوق قائلا له "قوم، خليك من هذا الكلام الوسخ وهذا الانحطاط" وإن

كان لي أن أحمل المثقفين السودانيين في تلك الحقبة المسئولية الكبرى في التطبيل للعسكر وايهامهم بأنهم الآلهة والمنقذين حتى تجبروا وتكبروا وفسدوا فإن أحمد سليمان المحامي كان له القدر الأعلى في ذلك

منصور خالد وحديثه في اجتماع مشترك في القصر واعفائه من الوزارة:

استمر منصور خالد في تأليبه العسكر وفي مؤامراته لابعاد كل ما هو خير، والعزف على الوتر بأن السلطة يجب أن تكون للنميري وزملائه الذين فجّروا الثورة، وكنا في اجتماع مشترك عقد في القصر لبحث بعض المواضيع العاجلة ذات الأهمية الكبرى التي تقتضي جلسة موحده لمجلس قيادة الثوره والوزراء وهناك اختلفنا في النقاش وكنت اقف في جانب مضاد لما يريده النميري فوقف منصور خالد يهاجمني ويؤكد سلطة النميري، وأنه قائد الثورة، وأننا جميعاً من خلفه ولا مجال لمعارضته ووقفت من بعده وقلت للاجتماع بأننا لا نقبل أن يكون هناك أناس لهم أحقية في شئ على الآخرين وكلنا هنا بيض في سلة واحدة كما يقول دائما فاروق ابو عيسى نبحث الأمور في مساواة وزمالة ولا أحد أحسن من حد، وهنا لا رئيس أو مرؤوس، خارج القاعة وأمام الناس فهناك الرئيس القائد ونحن من ورائه. وبعد ذلك الاجتماع ذهبت للرئيس يؤيدني عدد من أعضاء مجلس الوزراء مطالبين بإبعاد منصور خالد وأذكر أنني قلت له ياريس إن الاشتراكية لايبنيها إلا الاشتراكيون، فإن كنتم حقا تريدون إشتراكية في بلدنا فأن منصور خالد وامثاله لا يمكن لهم أن يبنوها وبعد فترة أبعد منصور خالد وعين مندوبا دائما للسودان في الأمم المتحدة، وسلمنا من شره ومؤمراته لبعض الوقت

الدكتور سيد أحمد الجاك وزير المواصلات وما حدث مع خالي المهندس محمد الفضل رئيس مجلس إدارة السكك الحديديه:

كان خالي المهندس محمد الفضل أول مدير عام سوداني للسكك الحديدية

في السودان، وبعد احالته للمعاش وتحويل سكك حديد السودان إلى مؤسسة عامة أصبح أول رئيس متفرغ لمجلس إدارتها. ولكنه ولفترة طويلة لم يكن يستلم مكافاته كرئيس لمجلس الإدارة لسبب أو لآخر وبعد إنقلاب مايو طلب خالي برسالة إلى وزير المواصلات أصدار توجيهاته بصرف الإستحقاق، فتقدم الدكتور سيد أحمد الجاك للنميري بالتصديق على طلب خالي، وكان النميري بوصفه رئيس الوزراء قد مُنح سلطة المجلس في التصديق على الترقيات وسفر البعثات الحكومية إلى الخارج وصرف المكافآت وغير ذلك من الأمور التي كانت من اختصاص المجلس، وتأخذ وقتاً كبيراً منه، ولهذا رؤى أن ينظر فيها الرئيس ويتخذ القرار المناسب الذي يراه وهذه ايضا واحده من الخطوات لتركيز السلطة في يد النميري مما أوحى لعقله المتخلف بأنه قادر على إدارة شئون البلاد بمفرده أليس في ذلك دليل على عبقريته الخارقه وفوجئ الوزير سيد أحمد برفض النميري الذي قال له بأن محمد الفضل رجل غير نزيه وسمعته سيئة، فاتصل سيد أحمد بي واخبرني بما قاله النميري فتعجبت لذلك الإتهام الكاذب والذي لم يكن له أي مبررات او اساس وكان المهندس محمد الفضل رجلا معروفاً ومشهوراً بين جميع المهندسين وفي جميع أواسط المثقفين بنزاهته وحزمه في العمل والانضباط، ولهذا شعرت بغضب شديد وشعرت بأني شخصيا المتهم، فقد كان خالي رحمه الله قدوتي في دربي الذي اخترته وكنت دائما أتمنى أن أكون مهندسا مثله وكان مثلي الأعلى في كل شئ وعندما احيل إلى المعاش وكنت وقتها مساعدا لوكيل الري بمدني وسمعت في الأذاعة تسجيلا لحفل الوداع الكبير الذي اقيم له في عطبرا، والذي جاء فيها أنه خدم مهندسا في السكك الحديدية أربعون سنه، ولم يرتكب ذنباً، ولم يتهمه أي أحد بأي منكر أو فساد أو محسوبية أو تسيب والكل يودعونه في شكر وتقدير قلت لزوجتي يومها سعيد من يترك الخدمة العامة في بلدنا والكل يذكره بالخير ولا أحد يقول عنه أنه سرق شيئاً من المال العام، وأنه كان يحابي هذا أو ذاك، ولولىّ أن اتمنى كيف تكون خاتمتي فتمنيت أن تكون كخاتمة خالي فقد كان مثلي الأعلى في كل شئ ولهذا إتصلت بالنميري تلفونياً ودخلت مباشرة في الموضوع مستفسراً عن مصدره فيما وصل اليه مدافعاً في حماس وحزن لما قاله عن خالي مؤكداً أنني شخصياً في قفص الإتهام وأن سمعتي وشرفي وأهلي جميعا وضعوا في المحك للدفاع عن

شرمهم وإشباب مراتهم. مندهش النميري وقال لي أنه كان يظن أن الرجل شخص آخر له اسم مقارب، ولم يكن يقصد محمد الفضل مدير السكك الحديدية السابق، ولم يكن أيضا يعلم بأنه خالي واعتذر ووعد بتصحيح الخطأ وبالفعل تم صرف إستحقاق الرجل، وإنتهى الأمر ولكن تأمل كيف كانت تحكم الأمور.



مهمتى فى تنزانيا ولوساكا:

عقب اجتماع في أديس أبابا لرؤساء الدول الافريقية في منظمة الوحدة الافريقية عاد النميري للخرطوم ودعاني ولزميلي المهندس سيد أحمد الحاك وزير المواصلات لمقابلته ليعلمنا بأن الرئيس كاوندا قد تحدث اليه في حاجة بلده لمواصلة دعم السودان للسكك الحديدية في زامبيا، وحاجته لتنظيم ودعم وزارة تنمية المياه. وذكر لنا النميري بأنه أخبره أن لديه وزيرين متخصصين في تلك

الجوانب وسيبعث بهما إلى لوساكا للقيام بوضع التصور اللازم لدعم السودان له وطلب منا الاعداد للسفر في اقرب فرصة ممكنة وهكذا بدأت وصديقي سيد أحمد في التحضير اللازم لسفرنا وصادف أن كانت هناك دعوة للسودان لحضور حفل تنصيب الرئيس التنزاني، يوليوس نيريري لفترة رئاسة جديدة فاقر مجلس الوزراء حضورنا للاحتفال في دار السلام ثم مواصلة سفرنا للوساكا

الاعداد للسفر والحصول على مقدم السفر:

بدأت اعدادي للسفر بالحصول على ما استحق من نفقات لما يسمى في الخدمة العامة مخصص السفر ويحسب على أساس العلاوة اليومية لفئة الموظف كما أقرتها وزارة المالية حسب معدل غلاءالمعيشة في البلد الذي سيسافر اليه الموظف ويضرب المخصص اليومي في عدد الأيام التي سيقضيها الموظف في المهمة، بدءاً من يوم سفره وإنتهاءاً بيوم عودته لمقر العمل وبما أني لم أكن أعرف مخصص السفر اليومي للوزير في كل من تنزانيا وزامبيا فقد طلبت إلى أمين مكتب وزير الري الحصول على مخصصاتي في السفر وأن تكون شيكات سياحية كما طلبت منه أيضا تغيير مائة جنيه إلى شيكات سياحية ودفعتها له من جيبي بهدف شراء لوازم خاصة لي. وهكذا تسلمت نصيبي من الشيكات السياحية ووقعت المستندات بالإستلام

دار السلام ومقابلتنا للرئيس نيريري:

وفي دار السلام استقبلنا في حفاوة وترحاب ونزلنا ضيوفا على الحكومة مما ساعدنا على توفير مخصصنا للسفر عن تلك الأيام وبعد الاحتفالات أخذونا لمقابلة الرئيس "نيريري" وهناك تحدث الينا الرجل في ود وتواضع وأذكر ما جاء في سياق الحديث عن رحلته إلى بريطانيا. قال أنه يذكر جيدا أيام الاستعمار وأيام النضال من أجل الاستقلال ولهذا فعندما استقبل في مطار لندن بواسطة الملكة وبضرب واحد وعشرين طلقة من المدفع تكريما له ولبلاده، لم ترمش عيناه أو يشك في أن القضية كلها للمظاهر ولن يغير ذلك من نظرة الاستعماريين له

ولبلده لمواصلة نهضتها بأية صورة تتسق مع الزمان والمكان وبذلك رأى أن المسئولية كلها في حماية بلده ومصالحها تقع على عاتقه وعاتق المسئولين والمثقفين فيها ذكر أنه حدث نفسه وهو يتفقد حرس الشرف بجانب الملكة "لا تخدعك هذه المظاهر، أن كانت تحية بواحد وعشرين مدفعا أو حتى بأربعين لا تدعها تدخل إلى رأسك يا أبني تذكر دائما أصلك وجذورك وتذكر دائما واجبك نحو قومك ولا يغرنك هذا التكبير والتعظيم" وهكذا سار الحديث بيننا وحدثناه عما نقوم به من أجل بلدنا ورفعة شأنها وذكرنا له من بين أمور أخرى أننا اعترفنا بالمانيا الديمقراطية وطلبنا منه أن تحذو تنزانيا حذونا فضحك وقال لنا "لا شكرا أن سياسة تنزانيا الخارجية لا تقرر في الخرطوم" وإنتهى لقاؤنا معه في ود وعلى بساط أحمدي كما يقولون وفي اليوم التالي سافرنا إلى لوساكا.

لوساكا وما وقعنا فيه من ورطة وإحراج:

وصلنا إلى لوساكا وانزلنا على حسابنا في فندق "انتركونتننتال" كل واحد منا في جناح وعلمنا أن علينا الانتظار بضعة أيام حتى يعود الرئيس ووزرائه من خارج لوساكا حيث كان يعقد مؤتمرا للحزب الحاكم وبعد أن قمت بإجراء حساب لتكاليف اقامتنا حتى نعود إلى الخرطوم، اتضح لي بأن كل ما معي من نقود وبما فيها المائة جنيه التي أتيت بها لمشتريات خاصة، لن تكفي لسداد فاتورة الإقامة في الفندق فاتصلت فوراً بسيد أحمد الجاك زميلي في الرحلة، وأخبرته بما وقعنا فيه من ورطة وقررنا فوراً الرحيل لغرف عادية، وتقليل المصرف في المأكل والمشرب ولولا أننا استعنا بالاستلاف من المهندس شاكر عبد الرحمن الذي كان ومعه المهندس صالح فريد من السكك الحديدية السودانية في إعارة لسكك حديد زامبيا، لوقعنا في إحراج عند دفع فاتورة الفندق وعند عودتنا رفعنا الأمر لمجلس الوزراء طالبين أن يعامل وزراء الشعب بطريقة أفضل فهكذا كان الحال في أيام مايو الأولى قبل أن تتغير الأمور وقبل أن يبدأ النهب والسلب.

سفري لأديس آبابا ومقابلة الامبراطور هيلاسلاسي:

في الشهور الأولى قررت الحكومة إرسال وفود لبعض الدول المجاوره لتحسين العلاقات بينها وبين السودان، وكان من نصيبي السفر إلى أثيوبيا مع زميلي وزير الزراعة آنذاك الدكتور محمد عبد الله نور وهناك قابلنا السيد رئيس الوزراء الذي كان حادا معنا في موضوع مياه النيل ومدعيا بأننا والمصريين تقاسمنا واحتكرنا مياه النيل الأزرق كما لو أنها ملك لنا، ولم يكن اجتماعنا معه موفقاً، وكان علينا أن نقابل الامبراطور في اليوم التالي بعد الساعة الحادية عشرة لأنه كان في رحلة خارج اديس آبابا وقد دربنا السيد سفير السودان على البروتوكول في المثول أمام الامبراطور وأسلوب التحدث اليه وكيفية وداعه والخروج من حضرته، وكان المفروض مقابلته لمدة لا تزيد عن ٢٠ دقيقة وذهبنا لقصر الامبراطور بصحبة السفير، وهناك في قاعة اجتماعات القصر وجدنا السيد رئيس الوزراء ورئيس الديوان الامبراطوري وانتظرنا حتى دخل علينا الامبراطور فانحنينا جميعا، ثم تقدمت وزميلي محمد عبد الله نور لتحيته وبعدها تقدمنا إلى حيث مائدة وجلسنا مع الامبراطور الذي سألنا عن مهمتنا وماذا أنجزنا مع رئيس الوزراء والذي كان وجماعته يقفون بعيدا ومعهم السفير السوداني وبدأت أقص عليه ملخص ما دار بيننا وبين رئيس وزرائه وبالطبع نسيت توجيهات السفير في الحديث إلى الامبراطور وبدلا من ياصاحب الجلالة الامبراطورية بدأت أقول له ياصاحب المعالي التي كنت متعودا عليها كما كان حديثي عادياً وبطريقتي التي تعودت عليها مع الناس. وبدأ الامبراطور يصغي بانتباه لحديثي ويقرب من كرسيه الينا. وعندما قلت له بأن رئيس الوزراء قال لنا بأنهم سيوقفون تدفق مياه النيل الأزرق إلى بلدنا احتجاجاً على تصرفاتنا فيما يخص مياه النيل. سألني مبتسماً ومداعباً عن رد فعلي على ما قاله رئيس الوزراء فابتسمت قائلا بأن ذلك إذا تم، فليس أمامنا في السودان سوى الهجرة إلى أثيوبيا لنعيش معكم هنا فضحك الامبراطور وسألني إذا كنت سأكون سعيدا في الحياة في أثيوبيا فرديت" ياصاحب المعالي نحن الرجال في السودان معروفون بولعنا بجمال الفتيات الاثيوبيات، وأنا شخصيا لي اصدقاء عديدون متزوجين باثيوبيات، أضف إلى ذلك حبنا للطعام الاثيوبي وشطته الحاره الممتعه التي تفتح الشهيه وكان الامبراطور يصغي للحديث

مأخوذا به، وهو يقرب من مقعده ليتأكد من سماعه كاملا، ثم انفجر ضاحكا ومرددا "لا.لا." والتفت إلى رئيس الوزراء قائلا له "نحن لن نحجز المياه من السودان، وإلا فسيجئ إلينا السودانيون ليعيشوا معنا هنا كما يقول الوزير" وفي الحقيقة وفي اعتقادي أن ذلك كان بسبب أنه رجل كبير السن في حوالي ٧٧ سنه وكنا نحن شبابا نتكلم معه ببساطه وبراءة خاليه من الرسميات التي تعود عليها من الذين هم دائما من حوله، أن كانوا من بطانته وأتباعه، وأن كانوا من الضيوف الذين تقتضي مهماتهم مقابلته، كما كان الحال بالنسبة لنا، ثم تحدثنا معه عما قالوه لنا عنه، وعن الأسود التي في قصره وحدثته ايضا عن أنني شخصيا كنت أعرفه منذ الحرب العالمية الثانية، عندما كنت تلميذا في المرحلة الابتدائية في مدينة مدني، حيث كان يسكن في فيلا على شاطئ النيل، وكنا نحن التلاميذ نمر بها في طريقنا لمدرسة مدني الابتدائية، وكنا نراه وهو واقف أمام الباب وكنا نحيه وهو يبتسم لنا وقد كان لهذه القصة وقعها المؤثر عليه. وهكذا طالت الجلسة، ثم فجأة عرض علينا أن نبقى معه للغداء واستمتعنا بالجلسة معه واستمتع الامبراطور بوجودنا معه. وفي النهاية قال لنا: بأن صلة الشعب السوداني والشعب الاثيوبي صلة أبدية ولا يمكن لأي حكومة في الخرطوم أو في أديس ابابا أن تعبث بها وإذا أخطأت في ذلك فانها بداية نهايتها وفي إعتقادي باننا عدنا للخرطوم ونحن مسرورين لنجاح مهمتنا في تحسين علاقاتنا مع الجارة الشقيقه أثيوبيا

مهمتي في يوغندا ومقابلتي للجنرال ايدى أمين والرئيس ملتون ابوتي:

بوصفي عشت في يوغندا قبل استدعائي للمشاركة في الوزارة في الخرطوم، فقد أصبحت الوزير المسئول عن العلاقات مع يوغندا، وفي الحقيقة كنت الوزير الوحيد في المجلس الذي يعرف الكثير عن يوغندا، ولهذا كان توجيه المجلس لوزارة الخارجية أن أكون حلقة الوصل بينهم وبين الجارة يوغندا، اضف إلى ذلك صلتي الوثيقة مع السفير السوداني في كمبالا السيد محمد عثمان شندي ولهذا قرر المجلس سفري ليوغندا في زيارة صداقة لتعريف المسئولين

فيها عن الأوضاع الجديدة في السودان، وتوجيهات حكومته الثورية بالنسبة لعلاقات الجوار مع الجاره الشقيقة يوغندا، فسافرت إلى هناك حيث قابلت ايدي أمين في مكتبه وبصحبتي السفير السيد محمد عثمان شندي وتحدثت معه عن نوعية النظام الجديد في السودان، وقلت له أننا نوع جديد من الرجال في السودان، استولينا على السلطة في السودان من أجل الناس، كل الناس في بلدنا ولهذا فنحن نبتغي أن تكون علاقتنا مع كل الجيران على أحسن حال، لنتفرغ للعمل من أجل حياة أفضل لشعبنا، وهذا يعني أن يجد كل فرد منا الفرصة في التعليم، وأن يجد كل فرد منا أمن في بيته، وأن نكون جميعا سواسيه أمام القانون، وتلك مهمة صعبة، ستأخذ كل وقتنا، وتستهلك كل مواردنا وطاقاتنا ولهذا جئت اليكم، اطلب ودكم، واعاهدكم على حسن الجوار، وعدم التدخل في شئونكم، أو الاساءة اليكم، فنظر إلىّ في استغراب وتهكم، وقال لي بكل وقاحه أنت تقول لي بأنكم تريدون حسن الجوار، وأنتم ترسلون قواتكم عبر الحدود في أرضنا تقتلون أهلنا، وتحرقون قرانا، وتقولون أنكم تتعقبون المتمردين السودانيين الذين وجدوا ملاذاً عندنا، فنحن شبعنا من أكاذيبكم، وسنجعل لكم مياه النيل التي نرسلها اليكم دماء حمراء من جثث جنودكم الذين يعبرون الحدود وأنا أعلم بأن سفيركم هذا يتنقل بعربته المرسيدس من مكان لآخر في كمبالا ليرشي بعض الوزراء والمسئولين في الحكومة. واستغربت حقا من وقاحته وقلة أدبه فما كان مني سوى أن وقفت فجاة وقلت له في حده وغضب" يبدو أنك غير متمدن ولا أخلاق لك" وخرجت بصحبتي شندي قائلاً لي بأنها تلك هي اخلاقه وطريقته مع الكثيرين حتى مع بعض وزراء حكومته، فهو رجل جلف. وعند لقائي بالرئيس ابوتي، حدثته بما قاله ايدي أمين فضحك قائلا أنه عسكري متخلف، ولا يعرف كيف يخاطب المدنيين، ولكن لا تأخذه بجديه. وقد كان أبوتي رجل رقيق ومهذب، وقد كان لقائي معه ودياً، وكان يبدو عليه أنه يريد حسن الجوار مؤكداً بانه لابد من إنهاء مشاكل الحدود بيننا عن طريق إنهاء مشكلة الجنوب، وطلب مني أن أبلغ الحكومة السودانية بانه سيكون سعيداً أن يساعد في حل مشاكلنا مع اخواننا الجنوبيين، خاصة إذا طلب منه ذلك رسميا، وهذا ما رفعته لمجلس الوزراء عند عودتي للخرطوم.

هفوة السيد بابكر عوض الله عند مناقشة تقرير تحسين العلاقات مع تشاد وافريقيا الوسطى:

عندما قرر مجلس الوزراء أرسال وزراء لزيارة الدول المجاورة لتحسين علاقات السودان معها، وكما جاء ذكره من قبل كان من نصيبي السفر إلى كل من يوغندا واثيوبيا الأولى لأنى كنت أعمل فيها من قبل، وثانيا فهى دولة من دول حوض النيل، أما اثيوبيا فهناك بحيرة تانا منبع النيل الأزرق شريان الحياة لكل من مصر والسودان كما سافر إلى تشاد وامريقيا الوسطى كل من الدكتور محيى الدين صابر وزير التربية والتعليم والدكتور أحمد الطيب عابدون وزير الثروة الحيوانية، وذلك لأنهما يتكلمان اللغة الفرنسيه اللغه الرسميه للبلدين وبعد عودتهما قدما تقريراً للمجلس عن نتائج رحلتهما وأثناء إستماع المجلس لعرضهما الذى أكدا فيه دعمهما لرغبة البلدين فى تعزيز علاقاتهما مع السودان الذى هو البوابة الرئيسية لهما على العالم الإسلامى والاراضى المقدسه، كان واضحا حماس الوزيرين لذلك التوجه وفجاة قاطعهما السيد بابكر عوض الله وكان لايزال رئيسا للوزراء محتجا على تدفق الأفارقة السود إلى السودان مؤكدا عروبة السودان ودعم التدفق العربى من الشمال والشرق بدلاً مما ينادى به الوزيران، مضيفاً" مش كفايه اللي حاصل لنا من الجنوبيين "قال ذلك دون أن يتذكر وجود كل من الوزيرين أبل الير وجوزيف قرنق، وقد كان احراجاً واضحاً إنتبه إليه بعد فوات الأوان، ولكن كان الوزيران الجنوبيان على مستوى راق من الأخلاق وضحكنا جميعا على مشاعر مولانا بابكر عوض الله والتى كانت معروفة عنه فى تعصبه العربى المصرى الشديد، بل بصورة أقوى نحو مصر بالذات. وأذكر ايضا ما قاله لى الرائد مأمون عوض أبو زيد رئيس الاستخبارات العسكرية وعضو مجلس قيادة الثورة عندما زرته فى مكتبه بعد اقصاء بابكر عوض الله من رئاسة مجلس الوزراء وتحجيمه ليصبح وزيرا للعدل فقط بعد غضب العسكر لتصريحاته التى اطلقها فى برلين عند زيارته لالمانيا الشرقية، أن قال لى مأمون "لقد خرج من مكتبى قبل مجيئك السيد بابكر، هل تعرف ماذا قال لى؟ "لقد قال لى بأنه سيبقى معنا مهما حدث، مؤكداً لى بانه يمثل مصر ويتحدث باسمها وليس أحمد عبد الحليم (الضابط بالمعاش) ولا مانع لديه حتى ولو أصبح قنصلاً للسودان فى الاسكندرية" تطوع

مأمون نفسه بإخباري ذلك بدافع الاستغراب والتعجب من تفاني بعض السودانيين في خدمة مصر والإنتماء اليها بأكثر من تحمسهم للسودان وترابه. وفي هذا الاطار أذكر ما قاله الدكتور محي الدين صابر عندما أدخل سلمه التعليمي في السودان والذي خرب الكثير في التعليم ومستواه في بلدنا، عندما قيل له بانك تخرب التعليم بسلمك الذي جئت به الينا قال: "طالما كان هناك تعليم جيد في مصر فلماذا أنتم خائفون؟".

زيارتي إلى ليبيا لحضور احتفالات الفاتح من سبتمبر ١٩٧٠:

تقرر سفري إلى ليبيا مع الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر ممثلين لحكومة السودان للمشاركة في احتفال العيد الأول بثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩. وقبل سفرنا عن طريق القاهرة حملنا رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر من النميري مضمونها أنه يشدد عليه المشاركة في اجتماع القمة الافريقي الذي كان مقررا عقده في أديس أبابا في تلك الفترة لأهمية المواضيع المطروحة ولمكانة عبد الناصر بين الزعماء الأفارقة وذلك لتمرير قرارات كان السودان متحمساً لإجازتها. ولهذا عند وصولنا للقاهرة، وعمل الترتيبات اللازمة علمنا بأن الرئيس جمال عبد الناصر سيستقبلنا في منزله في المنشيه في العصر لنشرب الشاي معه. وبالفعل ذهبنا إلى هناك واستقبلنا بدون بروتوكول، وكان يلبس قميصا وجلسنا في جلسه عائلية ودية. إذ كان رحمه الله يعرفنا من زياراته للخرطوم. فقد كان كما جاء ذكره من قبل الأب الروحي لثورة مايو، كما كان ايضاً بالنسبة لثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا، وتحدثنا معه عن موضوع إعلان الوحدة بين مصر والسودان وليبيا والذي كان يردده القذافي في كل مناسبة كلما جاء إلى الخرطوم أو حلّ في القاهرة أو خطب في طرابلس. وكان حماس القذافي شديداً جداً في قضية الوحدة. وذكرنا لعبد الناصر بأن تلك البيانات والتصريحات تسبب لنا إحراجاً كبيراً خاصة ونحن لازلنا نحاول حل مشكلة الجنوب وأذكر حديث عبد الناصر ونحن نشرب معه الشاي إن قال لنا

بالنسبه لحضوره لمؤتمر القمه فانه لا يستطيع أن يغادر مصر فى تلك الظروف إذ أنهم كانوا مشغولين في بناء قواعد الصواريخ على الجانب الغربي من قناة السويس وأن تلك العملية الضخمة تنفذ أثناء الليل حتى يتم تغطيتها قبل شروق الشمس وقال أنهم يصبون مئات الامتار المكعبه من الخرسانة أثناء الليل لينتهي العمل قبل شروق الشمس، وكان يقول لى انك مهندس وتعرف ضخامة هذه العملية في المدة الوجيزه التي لابد من إنهاء العملية فيها، وفي حديثه عن موضوع الوحدة قال لنا ما أذكره بالحرف على النحو التالي: "لما كنت وياهم فضلوا يتكلموا عن الوحدة، ماخلونيش أنام، وحاولت اقولهم باننا جربنا الوحدة مع سوريا ومانفعتش، الوحدة مش ممكن تيجى من فوق، خلوها تيجي من الشعوب نفسها بعد ما تعرف بعضها، وتطور علاقاتنا مع بعض برضو ما سمعوش، فقلتلهم "طيب السودان المسكين ده ما تخلوه لوحده، دول عندهم حاجة اسمها الجنوب، دول مش عرب، ولسه عندهم مشاكل مع الشماليين" فقالو لى "طيب ما يفصلوا الجنوب، قلتلهم، إزاى باه، ده كلام ده، ده الجنوب مياه النيل، ده حياتنا كلنا فى مصر والسودان" امشيلهم إنت بتاع مياه النيل، وفهمهم إيه مياه النيل، وإيه الجنوب، إنت قدهم، وده تخصصك، تقدر تقنعهم فاندهشت أن أعلم بأن عبد الناصر لم يستطيع أن يردهم إلى الحق والتوجه الصحيح، وكنت أعرف بأن القذافى وزملاءه معجبون بعبد الناصر ويحبونه جداً وهو مثلهم الأعلى، فقلت معلقاً "ياريس، ديل يحبوك، إزاى ما يسمعوا كلامك ياريس نحن تقول لينا قبلوا كده نقبل كده" فابتسم ضاحكاً وقال "ديل إشتو، إنما دول صعبين جداً" وهكذا قضينا أمسية ممتعة مع الرئيس جمال عبد الناصر طلب فى نهايتها المصورين لأخذ صور تذكارية لنا معه وفى اليوم التالى سافرنا لطرابلس مع الوفد المصرى برئاسة السيد حسين الشافعى لحضور إحتفالات الفاتح من سبتمبر



في منزل الرئيس جمال عبد الناصر في منشية البكري عام ١٩٧٠

سفرنا لطرابلس لحضور احتفالات العيد الأول للثورة الليبية:

قمنا من القاهرة في نفس الطائرة التي كان فيها الوفد المصري برئاسة السيد حسين الشافعي لحضور احتفالات العيد الأول لثورة الفاتح من سبتمبر وهناك أستقبلنا ونزلنا في الاستراحة التابعة لمجلس قيادة الثورة. وفي اليوم التالي كان الإحتفال فأخذونا لساحة حيث سيلقى معمر القذافي خطابه بعد إستعراض لفرق العسكرية والياتها وجلسنا في المقدمة خلف المنصة الرئيسية التي سيلقى منها القذافي خطابه وكان اليوم شديد الحر والشمس ساطعة ترسل اشعتها الحارقة. ووقف العقيد القذافي بعد إستعراض الفرق والآليات العسكرية التي مرت أمامه رافعة الأيادي محنية الرؤوس نحوه في تحية وإجلال وبعدها بدأ القذافي يرتجل خطابه إذ كان يحاول أن يكون كمثله الأعلى الرئيس جمال عبد الناصر وكان الخطاب طويلاً ومملاً وركيكاً لغة ومعنى ثم يراعى فيه

الظروف القاسية التى كانت تعانى منها الجماهير والضيوف ثم إلتفت نحونا وتحدث عن الوحدة بين مصر وليبيا والسودان وقال للجماهير بأنه يدعو الوفدين المصرى والسودانى ليوقعا معه إعلان الوحدة التى ظلت الشعوب العربية تنادى بها فإلتفت نحو زميلى الرائد زين العابدين هامساً بأن الرجل مجنون وفجأة خر أمامنا السيد حسين الشافعى مغمى عليه من أثر ضربة شمس، ومن ثم أخذ للاسعاف وبعد إنتهاء الخطاب عدنا لدار الضيافة، وهناك وبعد فترة وجيزة جاءنا رسول من مجلس قيادة الثورة يقول لنا بأن العقيد ورفاقه فى انتظارنا فى مقر المجلس وتوجهنا إلى هناك ودخلنا عليهم ووجدناهم جالسين فى إسترخاء من أثر الحر الشديد فسلمنا وجلسنا وكان العقيد يتحدث إلى قائد الجيش العقيد يونس محتجاً على تخريب الآليات للطريق مطالبا دفع تكاليف الاصلاح من صندوق مال القوات المسلحة وكان العقيد يونس يحتج قائلا بأن صندوق مال القوات المسلحة ليس فيه ما يكفى لإحتياجاتهم وبعد ذلك إلتفت العقيد إلينا وسألنا عن رأينا فيما جاء فى خطابه لدعوتنا للتوقيع على إعلان الوحدة فردينا بأن ذلك ليس من سلطتنا إذ أننا جئنا للمشاركة فى الإحتفالات وبعد ذلك قدموا لنا شرابا باردا وكان حليب الأبل فإعتذرت لأنى لا أشربه وأعلم أنه سيؤدى إلى اسهال لاؤلئك الذين لم يتعودوا عليه، ذلك من تجربتى فى قرية القطينة حيث أهل والدى ونصحت الزين بأ لا يشرب ولكنه أضطر للشراب تحت إلحاح العقيد وزملائه، الأمر الذى أدى لمعاناة الزين بعد أن عدنا لمقر ضيافتنا. وقلت للزين بعد عودتنا معلقاً على حديث العقيد عن إصلاح الطريق بأنه يريد أن يلمح لنا بأنهم ليس لديهم المال الكافى إذ كنا قد حملنا طلباً من وزير المالية منصور محجوب بسلفة تبلغ حوالى ٧ مليون دولار امريكى، وحتى نهاية زيارتنا لم نتلق رداً على الطلب

لقائى مع سفير مصر فى طرابلس:

أثناء إقامتنا فى طرابلس زارنى سفير مصر هناك وأخبرنى بأنه تلقى دعوة لى من وزير الرى المصرى لزيارتى مصر وتفقد أعمال الرى فى القطر الشقيق بعد عودتى من ليبيا فشكرته على الدعوة وطلبت اليه أن يخبر وزير

الرى بأنى بعد عودتى للخرطوم سأحدد له ميعاد الزيارة. ففاجأنى السيد السفير بأن الوزير يتوقع بدء زيارتى عند وصولى للقاهرة من ليبيا. فقلت وكيف يجوز ذلك؟ فأنا هنا فى زيارة رسمية أجازها مجلس الوزراء. ولابد أن أعود إلى الخرطوم ثم أرفع أمر دعوة السيد وزير الرى المصرى لمجلس الوزراء ليقرها ومن ثم أحدد ميعادها كما إنتقى الوفد الذى سيصحبنى فى الزيارة. وكان واضحاً أن توقعات السفير لم تكن كما شرحت له، وشعرت بخيبة أمله. وانتهى الموضوع.

وبعد عودتى إلى الخرطوم، إستدعانى النميرى وأخبرنى بأن المصريين زعلانين منى وعلى الأخص وزير الرى المصرى ويعتقدون بأنى من الوزراء الذين لا يحبون مصر. ولذلك أصر أن أصحبه ضمن الوفد الذى سيسافر للقاهرة برئاسته قريباً. وهكذا سافرت بعد أيام مع النميرى يصحبنى وكيل الوزارة المهندس يحيى عبد المجيد والمهندس صغيرون الذين وبعض المهندسين. وكان الدكتور محيى الدين صابر ضمن الوفد الوزارى المصاحب للرئيس النميرى. وفى القاهرة قابلنا الرئيس جمال عبد الناصر فى المطار وكذلك وزير الرى المصرى، الذى اتفق معى أن أبدأ زيارتى لوزارة الرى فى اليوم التالى حيث أزوره فى مكتبه فى العاشرة صباحا مع زملائى من الوزارة.

هفوة وزير الرى المصرى وردى عليه:

فى اليوم التالى عندما التقيت بوزير الرى المصرى فى مكتبه بوزارة الرى وبعد جلوسنا معه يصحبنى الوفد المرافق لى وبوجود وكلاء الوزارة والدكتور خليل ابراهيم رئيس الجانب المصرى فى هيئة مياه النيل، تحدث الوزير مرحبا بنا ثم قال لى "يا معالى الوزير نحن مسرورون لقبولك دعوتنا لزيارة مصر وكنا قد سمعنا بأنك يعنى ما بتحبناش خالص". وبالطبع كنت أعلم بأنه لم يكن راضيا على ما قلته للسفير المصرى فى طرابلس عندما رفضت الدعوة لزيارة مصر فى طريق عودتى من طرابلس بعد احتفالات الثورة الليبية دون إتباع الإجراءات الرسمية. فرددت عليه على الفور قائلا: "أهذه هى المعلومات التى تأتيكم من تقارير الخرطوم؟" قلت ذلك بصوت عال وفى انفعال، ففوجئ الوزير ولم يعلق. وبعد تلك المقابلة لم ألتق به إلى أن عدت للخرطوم إذ صحبنى

في زيارتي الدكتور خليل ابراهيم الذي علق لي فيما بعد منتقداً الوزير وعدم حنكته وكياسته، وفي البشر فاضل ومفضول

محي الدين صابر وبقائه في القاهرة ليشرف على طباعة الكتب المدرسية:

كان محيي الدين صابر وزير التربية والتعليم ضمن وفد النميري للقاهرة وبعد إنتهاء الزيارة حيث كنا في مطار القاهرة في قاعة كبار الزوار قبل أن نستقل الطائرة عائدين إلى الخرطوم وكان في وداعنا الرئيس جمال والوزراء المعنيون وكنت أجلس على مسافة من محيي الدين صابر وعلمت بأن محيي الدين سيبقى في القاهرة وأنه غير عائد معنا في ذلك اليوم فسألته لماذا تخلف عن السفر؟ فرد بأنه سيبقى في القاهرة ليشرف على تعجيل طباعة الكتب المدرسية المقررة في سنته التعليمي الجديد والتي كانت تطبع في القاهرة فدهشت لذلك إذ أن هذه المهمة ليست مهمة الوزير وعلقت بصوت مرتفع قائلا "يامحيي الدين أصلك أنت وزير ولا مخزنجي". فضحك الحاضرون وبالطبع كرهني السيد محيي الدين ولم يعجبه تعليقي. فإذا كان الوزير بنفسه يتصدى لمثل هذه المهام فماذا يترك لمسؤولية الصغار وماذا يفعل بمسؤولياته الكبيرة؟ ولهذا فامثال محيي الدين من المثقفين الذين هيأت لهم الظروف ليكونوا في قيادة الوطن. ولم يقدموا له سوى الخراب والدمار

عودة منصور خالد من وظيفته كممثل للسودان في هيئة الأمم المتحدة ليضطلع بتأسيس الإتحاد الاشتراكي السوداني:

بعد إبعاد الشيوعيين الموالين لعبد الخالق محجوب أمين عام الحزب الشيوعي وإجراء التعديل في مجلس قيادة الثورة بإعفاء كل من العقيد بابكر النور والرائد هاشم العطا والرائد فاروق حمد الله أصبحت سيطرة النميري والموالين له والمطبِّلين مستحكمة في كل من مجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة وبدأت القوى الخفية صاحبة المصلحة في التغيير في خلق جهاز جماهيري

لدعم سلطة العسكر وفجاة في عصر يوم من الأيام جاء في أخبار أذاعة أم درمان بأن مجلس قيادة الثورة قد إستدعى الدكتور منصور خالد من عمله في الأمم المتحدة ليضطلع بتكوين الإتحاد الإشتراكي السوداني وبعد إذاعة الخبر إتصل بي النميرى تلفونياً بمنزلي و قال لي "سمعت الأخبار" قلت نعم قال لي "فما رأيك؟" قلت له "لا داعي لأن أقول لك رأي فربما تزعل ياريس" قال لا "قلت له يعني ما لقيت ليك إسم لحزبك من الأسماء السودانية حتى تلجأ للنقل من التجربة المصرية؟ و ما لقيت ليك خبير تكوين أحزاب في السودان كله حتى تضطر لإحضار منصور خالد". فلم يعجبه تعليقي ورد قائلاً" دائما عندك كلام وما في حاجة عاجباك"، وقفل الخط وفي الحقيقة إذا عرف السبب بطل العجب فإن القوى الخارجية التي كانت تعمل في الظلام منذ الأيام الأولى لإنقلاب مايو والتي كانت وراء كل التغييرات التي حدثت في مسيرتها والتي جاءت بمنصور خالد ليصبح وزيرا للشباب لكي يقوم بأدواره التي خُطط له فقد كان إبعاد منصور خالد مفاجأة غير سارة لهم ولم تكن متوقعه الأمر الذي اضطرها لتكثيف جهدها وتآمرها لتعيده مره أخرى ليكون بالقرب من النميرى، ليعمل على توجيهه وقيادته إلى حيث يريدون إذ كانوا يعرفون النميرى جيدا ويعرفون عقده النفسية وضحالة فهمه وإدراكه ويدركون مواضع ضعفه وتوجهات تطلعاته وكان منصور خالد خبيراً محنكاً في تخطيط البرامج ووضع الأساليب التي تهئ للنميرى ما يحب ويبتغي ولهذا عاد منصور خالد مرة أخرى إلى الخرطوم لتكوين الإتحاد الإشتراكي السوداني تنظيم "جماهيرى" "وإشتراكي" يكوّنه من دون جميع السودانيين منصور خالد ولله في خلقه شؤون

مشروع النميرى والقذافي لتحويل مياه النيل لتصب في طرابلس:

في زيارة للقذافي إلى السودان وقد كان العقيد يزور الخرطوم كثيراً كلما أراد وكلما نزل عليه هاجس الوحدة بين ليبيا ومصر والسودان وفي إحدى تلك الزيارات، وكنت خارج الخرطوم، سمعت في الإذاعة تصريحاً للنميرى أنه إتفق مع العقيد على شق قناة من منطقة المستنقعات في جنوب السودان وحتى طرابلس في ليبيا لتصبح الاسكندرية الثانية وأن ليبيا ستمول ذلك المشروع

العظيم وهكذا يستفيد السودان من تجفيف المستنقعات وإستصلاح اراضيها وتستفيد ليبيا من إستغلال تلك المياه في الزراعة ومياه الشرب تعجبت لذلك الخبر الذي لم يعرض عليّ بوصفي وزيراً للري ولم أعرف من الذي سقى الرئيسين القائدين المعليمين بتلك المزعبلات فذهبت للنميري في اليوم التالي إستوضح الخبر. فقال لي ما يلي". نعم هناك مشروع مدروس والكونتور لحد طرابلس يساعد" قلت من الذي عمل المشروع؟ قال لي مش حاكلمك قلت "ولكن وزارتي هي المسئولة عن مياه النيل وعن مشاريع الري ولابد لي أن أتعرف على الأمر باكمله "قال لي "لما يجي الوقت سنخبركم" قلت "إذا سالني أحد عن المشروع سأقول له بأن الوزارة لا علم بها بالأمر وسأحيله اليك" قال نعم قُلت - وأنا خارج من مجلسه "لك أن تعلم ياريس، أن مياه المستنقعات جزء من مياه النيل وكمياتها محسوبة ومحصصة، واستغلالها محكوم باتفاقية مياه النيل إذا افترضنا جدلاً بأن مشروعكم هذا قابل للتنفيذ. "هكذا إنتهى اللقاء بيننا في جفوه ورسميات ولم يسمع أحد بعد ذلك الإعلان في الاذاعة عن المشروع وأصحابه، ولم أتوصل لمعرفة محطط المشروع ومن أوحى به لاولئك الاصنام خاصة والنميري لا يعرف ما هو الكونتور، بل هو مصطلح فني في علم المساحة لإيضاح مستوى الارض، سقاه له صاحب المشروع أثناء الشرح وتكون الكلمة قد لاقت هوى في نفس الرئيس فاعجبه ترديدها كالببغاء وبعد أكثر من عام بعد أن تركت الوزارة وبدأت أعمل مهندساً في شركة المقاول المهندس سيد عبد الله السيد وشركاه، عثرت ذات يوم بمحض الصدفة في مكتب سيد عبد الله على تقرير مطبوع أعده المهندس السوداني هباني عن ذلك المشروع الخيالي وهباني هذا لم يكن في يوم من الايام مهندساً للري ولا هو خبير في مياه النيل بل كنت اسمع أن له تقارير عن المطر الصناعي وكان يعمل مهندساً في مصلحة المياه الريفية. فكيف وصل هذا المهندس إلى النميري والقذافي ليحدثهم عن مشروعه هذا حتى يعلنا عنه دون إستشارة أو فحص، خاصة ولم يكن هباني في ذلك الوقت يشغل أي وظيفة ذات وزن، فعلم ذلك عند الله ولكنها طبيعة العسكر عندما يصلون إلى السلطة يفتحون القنوات لكل مغامر وصاحب مصلحة ليستمعوا إلى كل ما كانوا غير دارين به من دروب الحياة ومشاكل الناس واحتياجاتهم، إذ كانوا يعيشون في معسكراتهم بعيداً عن الناس وبعيداً من

مناهل العلم والمعرفة وفجأة نزلوا من بروجهم العاجيه يحملون سلاحهم ويستولون على السلطة والحكم، وليقرروا في أمور الناس وهم أجهل الناس بها

الدكتور جعفر بخيت حبّه وزير الحكومة المحلية:

كان رجلا متسلقاً وبلا كرامة للأسف. حاول الاستيلاء على نصيب قريب له ولي، نصيب متواضع ثم أراد صاحبه وهو رجل بسيط يعمل ملاحظ مساقي أن يشتري أرضا يبني عليها بيتاً، فأعطاه شيكات بلا رصيد وقد أتصل صاحب الحق بمحام. ولكن هذا نصحه بحل الأمر عائلياً، فالدكتور شخصية لها مكانتها في المجتمع وسيجد العامل البسيط من الصعب تصديقه بأن الدكتور حاول سرقته لاسيما وثمة صلة عائلية قوية فما كان مني إلا أن ذهبت عند عودتي وزيراً في حكومة مايو إلى مكتب الدكتور في الجامعة كنت أعرفه منذ أيام الدراسة وقلت له بعد السلام والمجاملة ثق يا أخ جعفر، إن لم ترد للرجل حقه في ظرف إسبوع واحد فوالله إن كان لي في الوزارة التي قدمت لي وليس لي فيها أي منفعه خاصه بل فيها سلطة واسعه. فسأستغلها كاملة في وضعك في السجن حتى ترد ما أخذته بغير وجه حق أنني إذ أذكر هذه الواقعة فلأن لها دلالتها، حيث توكل المسؤولية لمن لم يكن جديراً بتحمل ما هو أقل قدراً من المسؤولية العامة

الدكتور/ بخيت وتطهيره من وزارة الحكومة المحلية:

عندما تسلم الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم وزارة الحكومة المحلية وكان في ذلك الوقت شديد الصلة بي وبوبتي كثيراً. ومعجب بي طلب أن أترأس لجنة تطهير الحكومة المحلية وعلى الرغم من اعتذاري إذ أنني لا أعرف عن الوزارة شيئاً ولا عن العاملين فيها، إلا أنه أصر أن أترأس اللجنة فقط لإدارة جلساتها وضبط أعمالها، فقبلت. ولم اتدخل في أعمالها سوى إدارة الجلسات والأستماع لما يقوله أعضاؤها ولكن عندما جاء ذكر الدكتور بخيت طلبت من اللجنة أن يوضع اسم الدكتور في قائمة المطهرين من الوزارة. فعندما سألوني عن السبب ذكرت لهم ما حدث وأخبرتهم بعلاقتي العائلية معه كذلك ذكرت قصة سمعتها في أوساط

الجامعة عن علاقة الدكتور مع طالبة لم تكن تشرف استاذاً فى الجامعة، ولكن اللجنة رفضت اقتراحى وأخذوا الأمر على أنه خلاف عائلى. ولكننى مرة أخرى عندما جاء موضوع تطهير وزارة الحكومة المحلية فى مجلس الوزراء، ذكرت للمجلس ما أعرفه عن الدكتور بخيت ومرة أخرى رفض النميرى حديثى قائلا لى دى مشاكل عائلية وإنتهى الأمر

جعفر بخيت والحكم الشعبى المحلى:

مرت فترة قصيرة وأجرى تعديل وزارى دخل بموجبه جعفر بخيت الوزارة وأصبح وزيراً للحكومة المحلية باختيار النميرى شخصياً وكان واضحاً أن النميرى فى سعيه لتركيز السلطة فى يده، أراد أن يجمع حوله وزراء، يكون الواحد منهم قد إرتكب امراً فضحاً، أو هو معروف بنقص ما يقوم بتعيينه فى وظيفة هامة متى ما جاءت الفرصة لذلك وهكذا كان الأمر بالنسبة لتعيين الدكتور بخيت وزيرا للحكومة المحلية.

جاء بخيت لينضم لفريق المثقفين الذين يعرفون جيدا كيف يطبِّلون ويعظِّمون العسكر، مستغلين علمهم وما تحصلوا عليه من معرفة وخبرة فى الحياة ودروبها، ليوهموا أصحاب السلطة الجدد بأنهم رسل العناية الآلهية لإنقاذ الشعب وتحقيق المعجزات والتغيرات التى تفتح للمجتمع افاق التقدم والرفاهية فيأتون اليهم بمشاريع الفيلة البيضاء، والمخططات الخيالية، والنظريات غير الواقعية، ليأمروا بتنفيذها دون إستشارة أو فحص ودون تدقيق أو مراجعة، ومهما كانت تكاليفها ومهما كانت إحتياجاتها ومشاكل تشغيلها فالحكام الجدد الذين آتت بهم فوهة البندقية، والبيان رقم واحد، ليس لديهم معرفة أو تقدير لما يسميه المدنيون بموارد الميزانية وأوجه الصرف وبنوده ولم يسمعوا فى حياتهم فى المعسكرات، وفى ساحات ضرب النار والمناورات، بشئ أسمه الجدوى الاقتصادية أوالضرورة الاجتماعية أو الحل الأقل تكلفة بل ترموا وتدربوا على مبدأ الوصول إلى الهدف مهما كانت العواقب وهزيمة العدو وتحقيق النصر مهما بلغت التكاليف. فالمنتصر فى عقيدتهم لا يحاسب ولا يخضع لمساءلة بل يستقبل بالهتافات والتكبير والتاليه أما الحساب والعقاب

فالمهزوم، حتى ولو كان يدافع عن المبادئ والحق والقانون ومصيره الاعدام والسجون وهكذا جاء الدكتور بخيت بمشروع الثورة فى الحكم الشعبى المحلى، الذى لم يراجعه أحد ولم تتم مناقشته فى الأجهزة ذات الاختصاص، ولم ينشر على الشعب صاحب المشروع، بل وزع على مجلس الوزراء ليقرره فى جلسة واحدة، والوثائق لم تكن قد وصلت للوزراء إلا قبل الجلسة ببضعة ساعات

إقرار الحكم الشعبى المحلى:

وأذكر ذلك الاجتماع جيداً، والذى عقد فى الصباح من أجل مناقشة المشروع وإقراره، ولم تكن هناك أجندة أو مواضيع أخرى للبحث. وأتيتُ لذلك الاجتماع ولم اتصفح الوثائق التى أرسلت لمكتبى، لأنى كنت أعلم أن الأمر كله مسرحية، وأعلم أن الجميع من الوزراء لا يعرفون مضمون تلك الوثائق وجلست بعيداً عن مقعد الرئيس، وبدأت الجلسة ولم تكن هناك مذكرة عن المشروع ولم يطلب الرئيس من بخيت أن يقدم المشروع، بل سأل هل هناك أى تعليق؟ ولم يتحدث أحد ومرت فترة والصمت مطبق على القاعة وفجأة طلب السيد/ حسن عبد الجليل وزير الدولة وممثل المزارعين الكلمة، وتحدث فى هدوء وأدب ناقداً الطريقة التى قُدم بها المشروع وتمنى لو أن الأمر قد أعطى قسمه أكبر من الوقت للدراسة وللمناقشة فى الأقاليم حيث أصحاب المصلحة الحقيقية فى المشروع ثم علق على بعض جوانبه ناقداً ما هو مقترح من الوزير ثم أنهى حديثه ومرة أخرى ساد الصمت القاعة، ولم يرد الوزير وكأن الأمر لا يعنيه وفجأة سأل النميرى موجهاً حديثه إلىّ "أيه يا مرتضى ما عندك تعليق؟" فابتسمت قائلا "لا ياريس معقول أنا أعلق" فسألنى فى استغراب "لماذا" فرديت ساخراً "أنا خائف منك" قال فى دهشة واستغراب "ما معقول! إنت خائف منّى؟؟" قلت ساخراً مرة أخرى "أنا لوحدى، كل الجماعة ديل خايفين منك". "فانقتضب أسارير وجهه فرحاً كالطفل وإنتفخ يتلفت يمنة ويسرة سائلا "صحى الكلام ده؟؟ انتو خايفين منى؟؟" وجاءه الرد من هنا وهناك " أيوه ياريس خايفين" فانفجر النميرى يقهقه ضاحكاً مسروراً لما سمع ودوت القاعة بالضاحكين وإنتهى الاجتماع والكل مسرور وهكذا أصبح حال وزراء الشعب المسكين وهكذا أقر نظام الحكم فى الأقاليم وهكذا هو حكم العسكر فى كل مكان وحين.

أحزان عائلية:

في شهر يونيو من عام ١٩٧٠ وفي صباح ذلك اليوم إتصل بي أهلي من أم درمان ليخبروني بأن والدتي مريضة وحالتها تستدعي أخذها للمستشفى وكانت زوجتي ومعها أولادي في إجازة في ليبيا كنت وحدي في منزلي في إمتداد الخرطوم الجديد فأتيت فورا بسيارتي إلى منزلنا بحي العباسية بأم درمان وأخذت والدتي إلى مستشفى الشعب التخصصي وقام الأطباء المختصين بالعناية بها، إذ أتضح أنها تعرضت لنوبة قلبية حادة ولم تمضي ساعات حتى فارقت الحياة في هدوء وسكينة وكان رحيلها وغيابها عنا فاجعة كبرى وفقداً عظيماً، إذ كانت أماً ومربية ومعلمة ومرشدة وناصحة لي ولإخوتي ولكل من عرفها ولكن في تواضع ومحبة



الوالدة الحاجة عائشة محمد أحمد فضل - ١٩٠٦- ١٩٧٠

تفاقم الأزمة بيني وبين النميري:

وبحلول أوائل عام ١٩٧١ وبإقتراب نهاية عامي الثاني بالوزارة تفاقمت الأزمة بيني وبين النميري وأصبح واضحاً لي بأن البقاء في الوزارة لم يعد منه أي نفع إن كان من أجل المصلحة العامة أو من أجل مصلحة خاصة. فلقد أصبح النميري دكتاتوراً جاهلاً يفعل ما يريد ويأمر بما يلقى هوى في نفسه حتى لو كان مخالفاً للنظم والقوانين أو كان مضراً بمصلحة البلاد وأهلها. وأصبح كل الذين من حوله عاجزين عن توجيه النقد أو النصح. حتى زملاؤه في مجلس قيادة الثورة أصبحوا يخشون بطشه، ولا يستطيعون نقده كما كان الحال في الشهور الأولى. وقد سمعت القصة التالية من لسان السيد بابكر عوض الله في الأيام الأولى من مايو.

التآمر لقلب نظام الحكم في أوائل عام ١٩٦٩:

سمعت من السيد بابكر عوض الله ونحن نجلس معه في ذات يوم في الشهور الأولى لإنقلاب مايو، إذ قال أنه كان في إتصال سري مع الضباط الذين كانوا يخططون للإنقلاب وكان حلقة الوصل معه هو الرائد فاروق حمد الله الذي كان انذاك خارج القوات المسلحة بسبب إحالته للمعاش لأسباب سياسية. وذكر السيد بابكر بأنه كان يجتمع مع حمد الله في مكان ما في الخرطوم بحري، وأنه في ذات مساء وهو ينتظر لقاء حمد الله أن هجم عليه رجل وضربه بعصى ظناً منه أنه في انتظار لقاء مع فتاة. وذكر أيضا أن حمد الله جاءه قبل وقت قصير من ميعاد تنفيذ الإنقلاب وأخبره بأن الضباط قرروا أن يكون هو قائد الثورة بعد الإستيلاء على السلطة. فرفض بابكر وأشار عليه بأن يجدوا ضابطاً كبيراً ليقود الإنقلاب والثورة لأن الجيش لن يقبل بقيادة مدني لعملية عسكرية ولا يمكن أن يكون زعيماً لهم. وعاد حمد الله مرة أخرى وأخبره بأنهم يقترحون الضابط محمد الشريف الحبيب فقال له ما لقيتم واحد أحسن من الشريف الحبيب إذ أنه متهم بإستغلال مركزه والحصول على أموال وذهب عندما كان قائداً للقيادة الجنوبية.

وفي أوائل مايو أي قبل الإنقلاب ببضعة أسابيع جاءه حمد الله ليخبره

بأن إختيارهم وقع على العقيد جعفر نميرى الذى جاء إلى الخرطوم فى إجازته السنوية من مدينة جبيت فى شرق السودان حيث كان قائداً للمدرسة الحربية هناك، وأن النميرى معروف بأنه مستعد لينضم لأى مجموعة تخطط لإنقلاب ولا تهمه مبادئ أو أفكار فهو رجل مشاغب بطبعه وتستهويه أى مطاحنة أو عراك فوافق بابكر على الاختيار. وهكذا قاد النميرى إنقلاب مايو إلا أن الذين كانوا من وراء التخطيط هم خالد حسن عباس وأبو القاسم محمد ابراهيم وزين العابدين محمد أحمد عبد القادر وآخرين وكان هؤلاء قادة القوات التى كانت تعسكر فى خور عمر خارج مدينة أم درمان حيث جاء النميرى فى ليلة ٢٥ مايو ليقودها إلى الخرطوم للإستيلاء على السلطة

رواية النميرى عن ليلة ٢٥ مايو:

سمعت من النميرى وهو يحدثنى عن عبد الخالق محجوب أنه ذهب اليه فى بيته فى أم درمان بعد منتصف ليلة ٢٥ مايو وأخبره بأنه ذاهب إلى خور عمر ليقود القوات التى ستدخل الخرطوم فى الساعات الأولى من الصباح للاستيلاء على السلطة وإبعاد الأحزاب الرجعية التى أطاحت بثورة أكتوبر ومبادئها قائلا "وبهذا فأنا اعطيتك الخيار إذ بأمكانك أن تبلغ الحكومة وتقضى على الثورة أو تحضُر الحزب الشيوعى لكى يدعمنا لأننا قادمون لتحقق مبادئ الاشتراكية والعدالة الاجتماعية". حدثنى بذلك عندما اشتد الخلاف بين الحزب وحكومة مايو وقبل اعتقال السيد عبد الخالق وابعاده لمصر منفياً هناك.

وقد كان الإتفاق بعد إنتصار الثورة أن تكون رئاسة مجلس الثورة دورية شهرية بين اعضائه ولكن بعد نجاح الإنقلاب وبعد أيام إتفقوا على بقاء رئاسة النميرى بصورة مستديمة وبعد التغيرات والتعديلات التى حدثت فى السنة الأولى ومطلع السنة الثانية للإنقلاب حين بدأ النميرى يدعم قبضته على السلطة ويتخذ القرارات دون مشورة من مجلس الثورة أو الوزراء، بدأ التذمر يظهر بين بعض أعضاء مجلس الثورة وعلى الأخص الفرسان الثلاثة أصحاب القوات التى حققت الإنقلاب والذين كانت تربطنى بهم صلات ود واحترام وزمالة فى دعم كلمة الحق والعدل

ولما بلغت الأمور إلى حد اتضح لى فيه أنه لم يعد لى مكان مع النميرى، قررت تقديم استقالتى وإنهاء صلتى بالنظام وبدأ الكثيرون ممن لهم صلة بى يحسون بموقفى ويتوقعون بأنى مقدم على عمل ما فى وقت قريب

دعوة النميرى لى للمصالحة:

فجأة فى مساء يوم فى حوالى شهر ابريل من عام ١٩٧١ جاء إلى فى بيتى حرس النميرى ليقول لى أن الرئيس يطلب مجيئ اليه في منزل فاروق أبو عيسى. وذهبت معهم إلى هناك حيث وجدت الرئيس وفاروق يجلسان معاً ولم يكن منزل فاروق فى إمتداد الخرطوم الجديد يبعد كثيراً عن منزلى فى شارع ٢٥ من نفس الإمتداد وهناك وجدت النميرى وجلسنا نحن الثلاثة كان النميرى شرهاً فى احتساء الخمر وكان يملأ كأسه نقياً بالوسكى خالياً من أى إضافات، ويحتسيه كأنه ماء عذب، وعلى الرغم من ذلك لم تكن تبدو عليه علامات السكر وآثاره مما شرب من كميات، وربما كان ذلك بسبب ضخامة جسمه وعمق بطنه وكان له لسان كبير وعريض يملأ كل فمه بصورة ملفتة للإنتباه.

بدأ النميرى يعاتبنى قائلا باننا كنا أصدقاء وكانت صلتنا وعلاقتنا قوية وحميمة وكنت من أقرب الناس اليه أيام الثورة الأولى. "ولكنك يا مرتضى تغيرت الآن وأصبحت لى خصماً تهاجمنى وتنتقدنى كلما وجدت فرصة لذلك. وابتعدت عنى، وناصبتنى العداء ولهذا جئت اليوم هنا لفاروق فهو صديقك وصديقى وأرسلت لك تحضر لنتصالح " قلت له "ياريس لست أنا الذى تغير ومن أكون أنا لكى أخاصم وأعارك رئيس دولة وقائد ثورة. فما أنا ياريس إلا حتة باشمهندس ومازلت إلا حتة باشمهندس. وكما قلت لك فيما مضى لو تذكر. إنها مهنتى وشرفى الذى حصلت عليه بكدى وعقلى وعرق جبينى أما الوزارة والأستوزار فإنها منح توزعها أنت من مخزنك لمن تشاء، ولكل من هب ودب أن أردت أنت ذلك، لهذا فالمنحة التى تفضلتم بها على لا يمكن أن تدفعنى للتكبير والتغيير واللهم إلا إذا كنت من أصحاب المصالح أو صغار العقول والتافهين وأحمد الله فأنا لست واحداً من هؤلاء. أما أن كان فينا من تغير، فهو أنت ياريس" فسأل مستغربا: "أنا؟" قلت "نعم أنت وسابرهن لك كيف تغيرت

في الأيام الأولى لما كنت على سجيتك وكنت تقول عن نفسك أنك حتة عسكري ويوم كنا في جامعة الخرطوم في صباح يوم جمعة في قاعة الامتحانات حيث عقد مؤتمر للاقتصاديين وحين وقف أحدهم يطبل لك قائلا النميري الكساء نميري الدواء نميري الغذاء "أردت أن تقوم لتطلع دينه كما قلت فاوقفتك وقمت نيابة عنك وطلعت دينه أتذكر تلك الحادثة؟؟ أيامها كنت بسيطا تلمح الإفك والتطبيل ولا تحبه أما الآن فدعني اقص عليك ما حدث قبل بضعة اسابيع عندما كنا في حفل عيد العلم أمام مبنى وزارة التربية والتعليم وهناك كنت أجلس خلفك مباشرة وهناك قال لك الأفاق محمد التوم التجاني مساعد الوكيل في نهاية كلمته التي ألقاها في الحفل. النميري الملهم نميري الملهَم" نظرت اليك من الخلف وقلت في نفسي هل ستلتفت إليّ لتقول لي قوم طلع دينه ولكن هيهات والله يعلم رأيت بعينيّ رأسك يتضخم ويكبر ورأيت بعينيّ أذنيك تتحركان إلى أعلى وأسفل وانتفخت تتلفت يمنة ويسرة وأنت مبتسم فرح لأنك صدقت ما قاله عنك العالم المنافق وبدأت تصفق مع المصفقين ولم يقف الأمر عند هذا الحد. بل بقيت الفرحة في نفسك إلى اليوم التالي حين وقعت على ترقية محمد التوم التجاني إلى درجة وكيل الوزارة بأثر رجعي لأكثر من سنة، مخالفا بذلك قرار مجلس الوزراء الذي ألغى أي ترقية في الخدمة بأثر رجعي حتى لو ظل الموظف يباشر أعمال الوظيفة خالية الانشغال فهل بعد ذلك تظن أني أنا الذي تغيرت أم أنت ياريس؟" لم يرد النميري بل ظل صامتاً يحتسي كأسه، وأنا وفاروق ننظر اليه وفجأة قال لي "يادنقلاوي. أنت ابن كلب". فرديت مبتسماً. "وأنت يادنقلاوي ابن ستين كلب" وضحكنا نحن الثلاثة ثم قال لي طيب أيه رأيك نفتح صفحة جديدة، قلت موافق وكيف لي لا أفتح صفحة جديدة معك ياريس. أتمنى أن تكون فاتحة خير لي ولك وللبلد ثم شربنا الانخاب. وساد الود والأنس الرفاقي جلستنا وبانتهاء جلستنا عرض النميري على أن يأخذني في سيارته إلى بيتي وأشار على حرسه أن يعودوا إلى سكناتهم وانطلق بي في سيارته إلى بيتي ولكنه ضل الطريق ودخل في شارع، سار فيه وفجأة إعترضتنا خيمة مأتم منصوبة على عرض الطريق بأكمله فحاول النميري تفادي الدخول في الخيمة حيث يرقد أعداد من الرجال النائمين وانحرف نحو الحائط حيث الاوتاد والحبال. فانهارت الخيمة واستيقظ النائمون

يصيحون ويسبون ويلعنون وتأكد لهم أن المعتدى لابد وأن يكون غائب العقل وزائغ البصر من تأثير ما احتسى من خمر. فما كان أمام النميرى سوى أن يهرب مسرعاً تفاديا لما سيفعله فينا أولئك الناس وواصل ضغطه على أبدص البنزين إلى أن عاد إلى بر الأمان حين طارت السكرة وجاءت الفكرة فأوصلنى إلى دارى وودعنى وذهب.

أرادة الله فى المزيد من الأسى والمعاناه للسودان وأهله:

ظلت ذكرى تلك الليلة عالقة بفكرى ووجدانى لسنوات طويلة إلى يومنا هذا والله يعلم كم تمنيت لو كان قد لحق بنا أولئك القوم وكم تمنيت لو كانوا من طائفة أنصار المهدى الذين كانوا فى ذلك الوقت أشد أعداء النميرى وثورته. وكان لهم ثأر فى مقتل زعيمهم الهادى المهدى وكان لهم الحق كل الحق فى قتلنا والقضاء علينا إذ تعدينا ونحن سكارى على حرمة مأتمهم وعرضنا حياتهم إلى الخطر وأن كان ذلك قد وقع ليلتها لأنقذ الله السودان وأهله مما حل به من المصائب والكوارث التى سببها النميرى وأتباعه عبر خمسة عشرة عاماً عجافاً. لن يستطيع أحد أو جماعة أو نظام أن يزيل آثارها المدمرة عبر مائة سنة قادمة إلا لعنة الله على النميرى وعلى كل من أيده وساعده فى الإستيلاء على السلطة وفى الابقاء عليها وأنا واحد منهم

إيقاف العمل فى مشروع الرهد الزراعى:

بعد لقائى مع النميرى فى منزل فاروق لم يتغير الحال ولم تتحسن الأمور بينى وبين النميرى بل إستمرت الجفوة ولم يكن هناك من شئ يقربنى منه لأن النميرى لم يكن صادقاً فى مصالحته. بل ظنى أن محاولة منه لايهامى بأنه صادق فى طلب تعاونى معه ربما دفعتنى للانصهار فى جماعته ومؤيديه، لأنه لم يدرك ما اتصفت به من أخلاقيات وتربية لا يمكن أن تسمح لى بتغيير مبادئى، مهما كانت الإغراءات والضغوط والمحاولات. ولهذا استمرت الحملة الشعواء ضدى من ازلام النظام وعلى رأسهم وزير الإعلام عمر الحاج الموسى وصحفى مأجور

يدعى عجيب وغيرهم من الحاقدين ولم تمض أسابيع على شهر العمل القصير بيني وبين النميري حتى أتصل بي السيد وزير التخطيط الضابط بالمعاش أحمد عبد الحليم يعلمني بقرار النميري بإيقاف العمل في تنفيذ مشروع الرهد، فحاولت الإتصال بالنميري ولم أوفق

وأخيراً تمكنت من تحديد ميعاد لمقابلته مساء ذلك اليوم في منزله. وبالفعل أتيت إلى هناك وكان معه عدد من أعضاء مجلس الثورة من بينهم الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر والرائد أبو القاسم محمد ابراهيم. وهناك سألته عن السبب الذي قرر بموجبه إيقاف العمل في مشروع الرهد فرد بأنه علم بأن المشروع المعدَّل تحيط به شكوك كثيرة من النواحي الفنية ومن الاحسن التريث حتى تتم مراجعته فدهشت لذلك ولو أني كنت أعلم بأن هناك جهات خارجية خاصة تلك الشركات التي كانت تتطلع لأخذ حصة من أعمال مشروع السوكي ولم تجد لها فرصة بعد قيام الوزارة وأجهزتها بالتنفيذ فكان حقدهم عليَّ وعلى العاملين في الوزارة وأوهموا لنميري وغيره بأني اعتمد على أولاد صغار قليلي الخبرة فقلت له ومن اخبرك بهذه المعلومات؟ فرفض أن يفصح عن مصدره فقلت له ياريس ده عمل كبير جدا ومتعدد ومتنوع الجوانب الهندسية والتخصصات وقامت به مجموعة من المهندسين ذوي الخبرة والتخصص. فدعني أحضرهم إليك ليحدثوك عن المشروع وتفاصيله وما قاموا به من دراسات وفحوص فنية ومقارنات للبدائل المختلفة وتكاليفها وما تنطوي عليه من مخاطر وإحتمالات وبعد أن تستمع إليهم يمكنك بعدها أن تتخذ ما تشاء من قرار وفي نهاية الأمر فأن هذا العمل الكبير يخص العاملين الذين قاموا به ويخص البلد كلها وليس الأمر نتاج من حماسي ومبالغاتي كما يحلو للبعض أن يصور ه لك فانسانى أنا وأعطي أولئك المهندسين الخبراء الفرصة ليقابلوك ويتحدثوا إليك وبعد ذلك افعل ما تشاء. كان لحديثي الذي قلته – في ثقة وإيمان وبأسف وحزن شديد، وأنا افكر في السودان المسكين الذي أصبح فيه ذلك الضابط ناقص الخبرة والتعليم والفهم صاحب القرار في أمور لا يفهم فيها شيئاً وما هو إلا إداة لجهات خفية توجهه حيث تشاء. كان لحديثي وقع طيب على الجالسين من زملائه وهم يستمعون إلي – فتدخلوا جميعاً راجين من الرئيس أن يقبل إقتراحي فوافق على الاجتماع بأولئك المهندسين الذين قاموا بتخطيط المشروع. وهكذا اتصلت

فى اليوم التالى بالسيد يحيى عبد المجيد وكيل الوزارة وطلبت اليه أن ينظم الفريق ويعد الأدوار للقاء النميرى منبهاً بأن ذلك سيكون قريباً بعد اعدادى لذلك مع الرئيس ولم يمر يوم أو يومين إلا ووصلنى مكتوب السيد وزير التخطيط الذى يحوى التوجيه بإيقاف الأعمال فى مشروع الرهد فاتصلت فوراً بالسيد الضابط بالمعاش وزير التخطيط أحمد عبد الحليم وأخبرته بلقائى مع النميرى وإتفاقنا لوقف القرار حتى يجتمع الرئيس مع المسئولين عن مشروع الرهد لبحث الموضوع ورجوته الإتصال بالسيد الرئيس لتأكيد ذلك.

مرت فترة وجيزة بعد محادثتى الهاتفية مع وزير التخطيط وإذا به يطلبنى فى التلفون ليقول لى بأنه اتصل بالرئيس وأخبره بما قلت ولكن الرئيس أكد له ما قلت موجهاً أياه بأن القرار سيظل سارياً بغض النظر عن نتائج اللقاء. فتعجبت لذلك وشككت فى الموضوع خاصة وقد كنت أعلم أن أحمد عبد الحليم واحد من المجموعة التى كانت تعمل على تغيير مسار الحكومة إلى حيث يريدون وقلت له بأنى سأتصل فوراً بالرئيس وبالفعل إتصلت بالنميرى وأخبرته بما سمعت من وزير التخطيط. فرد على بكل بساطة. "طبعاً يا مرتضى أنا ساقابل جماعتك وأسمع كلامهم زى ما اتفقنا لكن طبعاً القرار أنا عملته وما بتغير " فلم أصدق ما سمعت والله يعلم شعورت فى تلك اللحظة بأنى أتعامل مع معتوه متخلف العقل والنمو. ورديت عليه بالفور "أنت فاكر الحكاية مهزلة ولعب" ورميت السماعة بعنف وقطعت المحادثة وهكذا أنتهت المسرحية وأتصلت بالسيد يحى عبد المجيد وأخبرته بما حصل وطلبت منه إيقاف العمل فى المشروع وإخطار المسئولين بما حدث.

غضب المهندسين لما حدث وسفرى لمدنى لإحتواء الموقف وإيضاح الحقائق:

تفشى الخبر فى أوساط وزارة الرى وبدأ الإحباط والغضب يدب بين المهندسين، خاصة وارهاصات الهجوم على الوزارة وإنجازاتها قد بدأت تظهر فى الصحف ومجالس العاملين فى الامسيات. وبدأ واضحاً بأن وزير الرى والرئيس أصبحا على طرفىّ نقيض ولم أعد أتحدث معه وابتعدت عنه حتى فى مقعدى فى

مجلس الوزراء. وتحت هذه الظروف سافرت لمدنى للإجتماع بالمهندسين وإيضاح الحقائق وهناك فى إجتماع عام ضم المسؤولين عن مشروع الرهد أخبرتهم بإن كل ما يجرى من هجوم على الوزارة وإنجازاتها ما هو إلا حملة تستهدفنى شخصياً لأن النميرى وبطانته، وبعد التعديلات المتلاحقة لتصفية كل من لا يتماشى مع مخططهم لم يبق لهم واحد يخافون منه سوى شخصى الضعيف فأنا رجل متمرد بطبيعتى ولا يستطيع أحد أن يجرس خلفه تابعاً أو مطبلاً أو منافقاً ولهذا فانهم أوقفوا العمل فى الرهد الجديد ظناً منهم أنه طفلى ونتاج فكرى فأرادوا وأده قبل أن يرى النور بدوافع الحقد ومن أجل مصالحهم ومصالح أسيادهم فى الشركات الأجنبية والمحلية التى بدأت تحس بالخطر على مصالحها فى مشاريع الرى الكبرى. سيعطلون العمل فى الرهد ولكنهم لن يستطيعوا أن ينفذوا المشروع القديم الذى خططته بيوت الخبرة الأجنبية، طالما بقيتم فى هذه الوزارة. فاصبروا واصمدوا وسيأتى يوم قريب تبدأون مرة أخرى فى إعداد المشروع للتنفيذ وعدت بعد ذلك للخرطوم. وهكذا تم إيقاف العمل فى مشروع الرهد السودانى، وهكذا زادت الشقة بينى وبين النميرى وبدأت أشعر بأن أيامى معه ومع نظامه أصبحت معدودة

البنك الدولى ومشروع الرهد:

جاء إلينا المستر مارلون مندوب البنك الدولى، الذى كان يتردد علىّ من وقت لآخر، وكان رجلاً صريحاً وكنت أتحدث إليه دائماً بصراحة ناقداً موقف البنك من مساعدتنا فى تنفيذ المشروع وفى آخر زيارة له قال لى "ياسيدى الوزير ساكون معك صريحاً كعادتى معك وعادتك معى، أنهم لا يريدونك وهذه المرة أشعر بإنهم ضاقوا ذرعاً بك. (وكان يعنى أولئك الذين يقابلهم، ومنهم النميرى ووزير التخطيط) لو كنت أتمنى لهذا البلد أى خير. أتمنى أن أجدك فى هذا المقعد فى زيارتى المقبلة. على أى حال سنطلب منكم أن ترسلوا وفداً من الوزارة إلى واشنطون، ليشرح لمسؤلى البنك الفنيين مشروعكم الجديد، عسى أن توفقوا بإقناعهم بجدوى المشروع الفنية والاقتصادية حتى يمهد ذلك الطريق لمساهمة البنك فى تمويل المشروع وبعد ذلك يمكن استئناف العمل فى المشروع من جديد" وكان ذلك آخر لقاء بينى وبين المستر مارلون وأنا أشغل حقيبة وزارة الرى

تقديم إستقالتي:

إستقر رأيّ على إنهاء صلتي بالنميري وحكومته فكتبت إستقالتي وسلمتها لأمين عام مجلس الوزراء بتسليمها للنميري عند عودته إذ كان في زيارة للأقاليم وعلم الكثيرون بها وفجأة إتصل بي بمكتبي أبو القاسم محمد إبراهيم وسألني عن حقيقة الأمر فأكدت له ذلك أخبرني بأنه قادم إلى مكتبي للحديث في الموضوع. وما أن مضت فترة إلا وكان بمكتبي كل من خالد حسن عباس وزير الدفاع وأبو القاسم محمد إبراهيم والزين محمد أحمد عبد القادر، جاءوا ليقنعوني بسحب إستقالتي فقلت لهم بأنه لم يعد لي مكان وها أنتم ترون أن الرئيس أصبح دكتاتوراً يقرر فيما يشاء بما يشاء دون مشورة من أحد ودون إحترام للنظم والقانون. ثم سردت ما فعله بالنسبة لمشروع الرهد خاصة وكانوا عالمين بالإتفاق الذي تم لإحضار المهندسين للإستماع لوجهة نظرهم وسردت مخالفته في ترقية محمد التوم التجاني لقرار مجلس الوزراء وغير ذلك مما يثبت أن النميري قامت له قرون وبدأ يعتقد بأنه الكل في الكل وبدت قريباً جداً من أن ينفرد بالسلطة كلها في يده ليفعل ما يشاء ولهذا فلم يعد لي مكان بالقرب منه وأنا لن أقبل أن يتسلط على أحد وعلى الأخص في وزارتي وأنتم تعرفون ذلك وسردت لهم العديد من سلوكيات النميري في إتخاذ القرارات والتي لم تكن غائبة عنهم بل كانوا هم أنفسهم متضايقين منها وغير راضين عنها ولكنهم كانوا يخففون عليّ قائلين أن الأمور ستتغير وعليّ أن أصبر. ولكني ظللت أتساءل كيف ستتغير الأمور والنميري هو رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء وصفحة الثورة ومهندسها قلت لهم ذلك بقصد إغاظتهم ودون أن يفصحوا لي بوضوح بدأت أفهم منهم أن النميري سيذهب قالوها عدة مرات. وما أن وضح لي ما كانوا يريدونني أن أفهمه إلا وبدأت سائلاً مستفسراً متمنياً "يعني النميري حيروح؟؟ "قالوا" نعم بس عليك أن تصبر وعليك أن تسحب أستقالتك" قلت "طالما انتم واثقون بأن النميري سيذهب فأنا سأسحب الاستقالة" وفي الحقيقة فرحت إذ أدركت أيضاً أنهم كانوا غير راضين على مسار الأمور. وغير راضين على تسلط النميري ودكتاتوريته وبما أنهم في حقيقة الأمر - وعرفت ذلك منهم - مسيطرون على القوات المسلحة وليس النميري وأنهم الذين خططوا ونفذوا الانقلاب وليس

النميري وهم أيضاً يسيطرون على مجلس قيادة الثورة وكانوا قبل الانقلاب وبعده عصبة واحدة فباستطاعتهم إعفاء النميري من جميع مناصبه بإسلوب قانوني بقرار من مجلس قيادة الثورة أو لم يكن الاتفاق في بادئ الأمر رئاسة شهرية دورية بين اعضائه كما أن قراراً بإعفاء النميري في تلك الفترة سيلقى مباركة وتأييدا من كثيرين خاصة القوى التي بدأت تتذمر من تصرفات النميري وهي قوى ذات شأن وذات كلمة نافذة وسط العاملين والنقابات أو لم يعفى المجلس من قبل ثلاثة من أقوى أعضائه، وهم هاشم العطا وفاروق حمد الله وبابكر النور وثلاثتهم مثل النميري لم تكن لهم قوات؟ فودعوني وطلبوا مني الصمت والصبر إلى أن يصبح الصبح ويأتي الفرج

أفتتاح مشروع السوكي الزراعي:

ونحن في تلك الظروف المليء بالحوادث والتغييرات والانفجارات حلّ علينا شهر يونيو ١٩٧١ حين أكملنا البرنامج السريع لأعمال مشروع السوكي وحان افتتاحه لتشغيل المضخات وتدفق المياه في القناة الرئيسية لري محصول الفول السوداني في أول يوليو. فاتصلت بمكتب النميري طالباً أخطاره بيوم الافتتاح في السوكي وداعياً له القيام بافتتاح المشروع وكنت يومها في خصام تام معه، ولم يكن بيننا سلام أو كلام وتلك طبيعتي وإسلوبي في التعامل مع من أختلفت معهم، لو كانوا في مراكز أعلى مني أو كانوا رؤساء لي ورد عليّ مدير مكتبه بأن الرئيس لن يفتتح المشروع بل سيوكل المهمة لأحد أعضاء قيادة الثورة فلم اقبل وطلبت الحديث معه، ولما جاءني صوته في التليفون سألته لمَ لا يريد أن يأتي شخصياً لإفتتاح المشروع؟ فرد في إقتضاب بأنه مشغول قلت: "أن المشروع من أكبر ما حققته الثورة حتى الآن وهو مصدر خير للبلد كلها، وخططه ونفذه مهندسون وفنيون من خيرة أبناء شعبنا والأمر لا يخصني شخصياً ولست أنا المعني بالتقدير والتكريم، فحضور الرئيس للحفل سيعني إحتراما وتقديراً للعاملين الذين قاموا بالجهد وحملوا المسئولية في مقدرة وكفاءة ثم أن المناسبة أعلان للسودان بأكمله أن الثورة قد أوفت بما وعدت في تحقيق التنمية ورفع مستوي الحياة في الريف أما ما بيني وبينك من خلاف

وما بيني وبينك من عدم إستحسان وإستلطاف باريس فذلك أمر لا دخل لاولئك الناس به ولا ذنب لأحد منهم فيه. وفي نهاية المطاف فالمشروع ملك للدولة وليست مزرعتي الخاصة. ولابد لي أن أعلن اليوم أنتهاء العمل في المشروع وبرنامج مراسيم حفل الافتتاح" فصمت قليلاً ثم رد بالموافقة.

كلمتي في حفل أفتتاح مشروع السوكي في موقع العمل:

كان واضحاً من مستوى خطابي في الحفل أنني ذاهب، وأنها خطبه الوداع خاصة والناس قد علموا بإيقاف العمل في تنفيذ مشروع الرهد. وكثيرون يعرفون ما حدث بيني وبين النميري في أمر إيقاف العمل في المشروع. وأدرك الكثيرون بأن السوكي أصبح آخر الإنجازات في فترة وزارتي التي دخلت فيها في معارك عديدة مع دوائر داخل النظام وخارجه وكان المسئولون في الوزارة والعاملون فيها يعرفون حق المعرفة تفاصيل الخلاف بيني وبين النميري وبطانته. وكانوا واثقين بأنني ذاهب ولا يهمني إن جاء الطوفان من بعدي ولهذا جاءني إخوة كثيرون يستفسرون عن ما يشاع عن استقالتي وإنهاء صلتي بمايو. وأجبت بأنني خارج وقد أكملت مهمتي ولم يعد لي ما أفعله. ولم تكن الوزارة والاستوزار في يوم من الأيام هدفي أو غايتي. وكما أكدت في كلمتي بأن الوزارة والعاملين فيها قادرون على المضي قدما في تحقيق التنمية الزراعية في السودان أن كنت أنا في قيادتهم أو ذهبت. والجدير بالاشارة أن النميري قلدني وشاح النيلين من الطبقة الاولى تقديراً للخدمات التي أديتها للدولة، بوصفه رئيس مجلس قيادة الثورة وذلك في ٧ / ٧ / ١٩٧١ ولسان حاله يقول "هذه مكافأة خدماتك لثورتي، فاذهب الآن إلى الجحيم".

زيارة الشفيع لي في بيتي لوداعي:

جاء الشفيع لوداعي إذ كنت قد أخذت إجازة لأول مرة منذ أن توليت وزارة الري قبل سنتين. وكانت زوجتي وولدي سامي وحسن في فيينا منذ شهر أبريل. وقررت اللحاق بهم وقضاء إجازتي هناك. وكان الشفيع يعرف أنني

قدمت إستقالتي وأنني في خلاف وعراك مع النميري وظل يعاتبني على موقفي وردد بانني يجب الا أخرج وعلى أن أبقى وأكافح للاصلاح من الداخل وأن النميري دمية في أيدي أصحاب المصالح والأغراض يوجهونه حيث يريدون طالما عرفوا كيف يشبعون غرائزه بالتطبيل والتكبير والتأليه. وليس للنميري مبادئ أو أهداف أو توجهات يؤمن بها أو يعمل من أجلها أنما هو شخص يمكن أن يسير في أي إتجاه ويدعو له طالما إطمأن بإنه القائد وأنه الرئيس وأنه فوق الكل. وأن هناك عدداً كبيراً من أعضاء مجلس الثورة رجال خيرون ويمكن التعاون معهم لدفع النميري للسير في الطريق الصحيح. وذكر لي منهم الزين محمد أحمد عبد القادر وأبو القاسم هاشم وأبو القاسم محمد إبراهيم وبابكر عوض الله وأكد لي بإنه يعلم بأن الجميع يحترمونني ويقدرونني وبإمكاني أن ألعب دوراً كبيراً في تحسين الأوضاع. وخاصة وأنني رجل معروف بشجاعته وصراحته والخنافس من أمثال منصور خالد وعمر الحاج موسى وجوقتهم لا يستطيعون مجابهتي لأنهم متعودون على العمل والتآمر في الظلام ورجاني أن أبقى في الوزارة وكان رحمه الله يؤكد لي بأن الأوضاع مهما كانت بتلك الصورة السيئة فهي أحسن بكثير مما كان عليه السودان قبل مايو من عبث واستهتار الاحزاب وسيطرة الطائفية الملعونة وإستغلالها للجهلة والمساكين قلت له أنني أتفق معه في الكثير ولكنني أعرف الناس بنفسي. فأنا لست سياسياً أجيد المداورة والمراوغة وأخفي غضبي ومشاعري وأبتسم في خبث وأنا أنوي شراً وثانياً جئت للوزارة لأني مهندس ري أجيد مهنتي واتقنها وجئت لأودي مهمتي في قيادة التطوير الزراعي. وإذا قفلت أمامي الأبواب لتحقيق ذلك أعود من حيث أتيت وليست هي مسئوليتي أن يحكم النميري أو غيره بهذا الأسلوب أو ذاك فتلك مسئولية التجمعات السياسية والنقابية وأولئك لهم قادة وبينهم خبراء في تلك الشئون. وأنت واحد منهم. أما أنا فلم يعد طريق النميري وأسلوبه في التعامل يناسبني. وأنا ذاهب اللهم إلا إذا ذهب النميري وعادت الأمور كما كانت من قبل فضحك الشفيع وأطل عليّ بوجهه الباسم دوماً وقال "إياك مرتضى، وتلك طريقتك واخلاقك. على أي حال إن شاء الله تمشي وتجي بالسلامة وإن شاء الله ترجع وتلقى الأحوال تحسنت" وكان ذلك آخر لقاء بيني وبين الشفيع أحمد الشيخ أخي وصديقي ومن خيرة من عرفت في حياتي

سفرى لفيينا فى أول إجازة لى وأنا وزير للرى:

كعادتى منذ أن كنت موظفا فى الخدمة المدنية تركت عنوانى بالأجازة مع أمين مكتب وزير الرى وأمين مكتب رئيس الوزراء وقمت بكتابة تقرير تسليم مهام وزير الرى إلى من سيخلفنى فى الوزارة أثناء غيابى أن كان النميرى كما جرت عادته أو أن كان وزيراً آخر. واشتريت تذاكر سفرى من الخرطوم إلى فيينا على الدرجة السياحية إذ لم أكن أستطيع تحمل تكاليف السفر فى الدرجة الاولى. وسافرت بالسودانية إلى روما. وهناك استقبلنى السفير أحمد صلاح بخارى على سلم الطائرة وأندهش وأحرج لخروجى بعد فترة مع ركاب الدرجة السياحية وكان يرافقه أحد رجال وزارة الخارجية الايطالية. وبعد التحية والسلام سألنى فى إستغراب لماذا أنا فى الدرجة السياحية؟ قلت لأنى دفعت الثمن من جيبى، ومرتبى كوزير لا يكفى لتحمل نفقات أكثر مما تحملت. وإذا كنت قد أحرجتك بخروجى من الطائرة بالباب الخلفى فأعذرنى ولو أنى شخصيا لا أرى فيها أى إحراج. وبعدها أخذنى لمنزله وأحسن ضيافتى فهو صديق قديم وقضيت معه وقتاً طيباً إلى المساء حين رافقنى إلى المطار من حيث واصلت رحلتى إلى فيينا

إنقلاب هاشم العطا:

كنت أقضى إجازتى خارج فيينا فى مدينة صغيرة تسمى كلوسترنيو برج فايدلنج حيث كان والد زوجتى يملك حديقة جميلة اقام فيها منزلاً من الخشب بناه بنفسه. وهناك كنت بعيداً عن المدينة وأضوائها. وكل سبل الإتصالات والمواصلات، ولم يكن لدينا سوى راديو صغير يستمع إليه الرجل من حين لآخر. وفجاة أخبرنى باخبار إنقلاب فى الخرطوم وإلقاء القبض على النميرى، وظننت فى بادئ الأمر أن خالد حسن عباس وزملاءه نفذوا العملية كما كانوا قد أوحوا إلىّ واطاحوا بالطاغية كما كنت أتوقع، ولكنى لم أفهم لم تم ذلك عن طريق إنقلاب. وبعد قليل وضحت الحقائق وعلمت بأن هاشم العطا وعسكريين من مؤيديه قد نفذوا الإنقلاب وأعتقلوا جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة بما فيهم النميرى. وحزنت إذ تبين لى أنها لعبة أخرى للعسكر من العابهم المفضلة

في الإستيلاء على السلطة دون وازع من ضمير ودون أهداف أو مبادئ سوى أنها لعبة الكراسي بينهم للجلوس على كرسي الرئاسة والسلطة للتحكم فوق أقدار البشر والوطن كما كانوا يفعلون في وحداتهم وتجمعات جنودهم. فلم أعد أهتم بعد ذلك بأخبار السودان. ولكن لم تمضي أيام حتى علمت بعودة النميري وزملائه فبعثت إلى النميري في القصر الجمهوري ببرقية أهنئه بعودته وعودة زملائه ومعرباً عن أسفي وحزني لما تبع ذلك من قتل وإعدام بالنسبة للمدنيين والذين لا ناقة لهم ولا جمل في لعبة الكراسي وأشرت بأنني عائد إلى الخرطوم بعثت بالبرقية من مكتب البريد في تلك المدينة بعد ذلك تواردت الأخبار من الإذاعات ومن مصادر أخرى بأن هنالك وزراء حكم عليهم بالإعدام كذلك قادة نقابيين وإتصل بي الصديق يوسف عبده تادرس من أثينا يخبرني ألا أعود وأنه سمع بأن هناك حكم بإعدامي وأخبرني بأن هنالك خبراً بأن الشفيع قد أعدم أو حكم عليه بالإعدام كذلك طلب مني والد زوجتي وأهلها الا أعود إلى الخرطوم ونصحوني بالبقاء في النمسا والعمل فيها، ولكني رفضت

عودتي إلى الخرطوم:

قلت لزوجتي أنا عائد إلى الخرطوم، فإن بقيت هنا لظن الناس أني قد ارتكبت ذنباً أو أنني خنت وطني أو أنني رجل جبان ولا أريد لولديّ أن يقول لهما أحد حتى ما ليس فيّ. وإذا كان قدري ومصيري أن أعدم أو أن أسجن وأنا بريئ فليس لي ولا بإمكاني أن أغيّر من ذلك، ولهذا فأنا عائد وإن شئت أن تبقي هنا مع الاولاد فلك ذلك قالت لي لا يا عزيزي أنا ذهبة معك والاولاد، إذ مكاني بجانبك وهناك وضعهم فإذا قتلوك فساعود باولادي إلى بلدي ولن تكون لي رغبة في تربية أبنائي في بلد لا يعرف أهله الخبيث من الطيب وإن سجنوك فسابقي هناك بالقرب منك إلى أن يفرج عنك وتعود الأمور إلى مسارها الصحيح وهكذا توكلنا على الله وشددنا رحالنا وسافرنا إلى الخرطوم عن طريق روما

وفي روما حيث ركبت الطائرة السودانية التي جاءت من لندن في طريقها إلى الخرطوم، قابلت الصديق العزيز عابدين إسماعيل المحامي الذي كان سفيراً للسودان في لندن وأستدعي إلى الخرطوم مغضوباً عليه لعقده مؤتمراً صحفياً

فى لندن تحدث فيه العقيد بابكر النور والرائد فاروق حمد الله اللذين كانا فى لندن واصبحا أعضاء فى مجلس قيادة ثورة هاشم العطا قبل عودتهما إلى الخرطوم حيث اعدمهما النميرى بعد عودته إلى السلطة بمساعدة صديقه العقيد القذافى الذى إعترض الطائرة البريطانية التى كانت تقلهما إلى الخرطوم وأخرجهما بالقوة ثم سلمهما فيما بعد للنميرى ليقضى عليهما.

قال لى عابدين متسائلاً لماذا أنت عائد إلى الخرطوم؟ قلت لأرى ما هم فاعلون بى قال لا أظنهم سيفعلون فيك شيئاً، ربما وضعوك فى الحبس المنزلى أما أنا فليس لى منزل حتى يحبسوننى فيه.

وهكذا وصلنا مطار الخرطوم فى صباح اليوم التالى ولم يعترضنى أحد وأخذت أولادى وأغراضى وخرجت من المطار وإستأجرت سيارة تاكسى ووصلت إلى منزلى فى شارع ٢٥ فى إمتداد الخرطوم الجديد حيث أجريت بعض الاتصالات الهاتفية مع الأهل والاصدقاء ثم أخذت أولادى إلى شقيقتى فاطمة زوجة الشهيد الشفيع أحمد الشيخ فى منزلها فى برى.

حديث فاطمة عن الحوادث وإستشهاد الشفيع:

ذهبت لمنزل الشهيد الشفيع أحمد الشيخ فى برى حيث كانت شقيقتى فاطمة فى الحبس المنزلى هناك وبعد اللقاء الحار المفعم بالمشاعر العميقة الهادرة على ما وقع علينا من الظلم والتعدى فى حقد وكراهية من النميرى وبطانته الجبناء حدثتنى فاطمة الحبيبة قائلة:

"كنا فى البيت وجاءنا الاستاذ غازى سليمان المحامى وأخبرنا بإن إنقلاباً يقوده الرائد هاشم العطا قد نجح وتم أعتقال النميرى واعضاء مجلس قيادة الثورة. كما تم إطلاق سراح عبد الخالق محجوب آمين عام الحزب الشيوعى. وأنهم يطلبون حضور الشفيع ليعد بياناً يذاع معلناً إنتصار ثورة العمال الكادحين فرفض الشفيع وأخبر الرسول بان يخبر من أوفده بانه لا دخل له بالانقلابات والعسكر الذين يخططونها فليذيعوا هم للناس ما يرونه وهكذا عاد الرسول من حيث أتى، وبقينا فى بيتنا وكان الشفيع يعتقد بإن بعضا من

الشيوعيين من جناح عبد الخالق وعسكريين منهم قد خططوا هذا الاسلوب من المطاحنات بين اليسار وهو مدخل خطر سيؤدي إلى عواقب وخيمة وضياع كل ما تحقق من المكاسب لجماهير العاملين، وكان واثقاً من أن العملية لن تنتهي على خير وهكذا ابتعدنا عن مجرى الحوادث ومظاهرات الابتهاج التي أعقبت نجاح إنقلاب هاشم العطا وظللنا نتابع الاخبار مؤكدين لكل من يتصل بنا أنه لا دور لنا في لعبة الكراسي بين العسكر وما هي إلا أيام معدودة ولم تدم الفرحة إلا ساعات وإنقلبت الأمور وبدأت إعتقالات جديدة ومظاهرات ومرة أخرى جاء إلينا من ينصح بأن يختفي الشفيع كما فعل الزملاء وعلى رأسهم الامين العام للحزب فرفض الشهيد مؤكداً بانه طول حياته النضالية من أجل العمال لم يمارس لعبة التخفي فهو نقابي في المقام الأول وعمله بين العاملين ومنظماتهم في العلن تحت جميع الظروف والحالات وليس لديه سبب واحد يدفعه للاختفاء فهو لم يَعِد ولم يشارك في هذه العملية ولم يكن من مخططيها أو المتآمرين فيها كما لم يشارك في الابتهاج بها ومن أراد منه أمراً فليأتي إليه في مكتبة في اتحاد النقابات وهناك أعتقله العسكر وذهبوا به إلى جلاديه. ولم يعد بعد ذلك وقد تأكد لي فيما بعد بأن الشهيد قد أقتيد إلى مقر القيادة العامة للجيش حيث تعاقب العسكر في ضربه وركله وشتمه وعلى رأسهم الراشد أبو القاسم محمد إبراهيم حتى أوصلوه ميتاً إلى المشنقه دون محاكمه أو مساءله قانونية أو إنسانية. كما جاء أيضاً فيما تسرب من أخبار تلك الايام السوداء بأن من بين الذي شاهدوا التعذيب والركل والشتم في نشوة وبهجة وسرور في غرف ودهاليز القياده العامة للجيش في الخرطوم، الرفيق والمناضل الشيوعي الكبيرصاحب الشرف الماركسي الرفيع المحامي وعضو المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي المدعو أحمد سليمان الذي كنت أعرف عنه الكثير في بهجته ونشوته عندما كان يحتسي الوسكي البلاكليبل أو عندما يحكي عن ممارساته الجنسية. وكان من بينهم أيضاً الدكتور الشهير "المنظر الاشتراكي الكبير" صاحب الثور الابيض وأحاديث الصفوه ومخطط المناهج والتنظيم.

مقابلتي للنميري وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة في القيادة العامة للقوات المسلحة:

عدت من منزل فاطمة إلى بيتي وإتصلت بزين العابدين محمد أحمد عبد القادر وأخبرته بوصولي، فحضر إليّ بسيارته وأخذني للقيادة العامة للقوات المسلحة لمقابلة النميري، وهناك وجدته وبعض اعضاء مجلس الثورة وبعد التحية قال لي النميري "احسن الله عزاءكم في الشفيع وفي الحقيقة كان قد اتصل بي الرئيس السادات والرئيس برزنيف يطلبان إيقاف تنفيذ حكم الإعدام على الشفيع ولكن كان قدر الله قد نفذ " ولكنني ظللت صامتاً إستمع إليه ثم واصل حديثه قائلاً "لم نكن نعرف عنوانك ولما لم يصلنا منك أي خبر أجرينا التعديل الوزاري وأعفيناك"

قلت له: "أنك تعرف عنواني فهو موجود في مكتبك وموجود في مكتب وزير الري أما أن تقول بأنه لم يصلك خبر مني فهذا غير صحيح فقد أرسلت إليك برقية من النمسا بعد أن علمت بعودتكم" قال لم تصلنا أي برقية. قلت - وكنت أعرف أنه رجل كاذب - نعم استلمت برقيتي فقد أرسلتها بإسمك إلى القصر الجمهوري - وأنا واثق من إستلامك لها قال "لم استلمها" قلت في إنفعال "لقد إستلمتها". فصمت، وواصلت حديثي قائلاً "لم يكن صحيحاً ولا لائقاً أن تعفيني وأنا في إجازة خارج البلاد ولكنك تعلم بأنني لن أعمل معك بعد أن قتلت أخي الشفيع فدريك ليس دربي وكنت تعلم ذلك من قبل" قال "لقد وجدنا إسمك ضمن وزراء هاشم العطا". قلت "ليس في ذلك غرابة فقد كنت ضمن وزرائك عندما عملت أنقلاب ٢٥ مايو ولم أكن متآمراً معكم ولم تستشيروني عندما وضعتم إسمي في قائمتكم". فصمت وظل ينظر إلي في حقد فوقفت وقلت "عاوز مني حاجة تاني" قال لا قلت "إذاً مع السلامة" وخرجت وتبعني الزين وكان ذلك آخر لقاء لي مع جعفر النميري حتى يومنا هذا جعفر النميري الأكذوبة الكبرى في تاريخ السودان

وبعد فترة من هذا اللقاء علمت بإن الرائد الزين قد بحث عن البرقية التي أرسلتها من النمسا والتي أدعى النميري أنه لم يستلمها ووجد أنها أستلمت في القصر وتأكد له أن النميري قد أطلع عليها فأخذها وذهب بها

للنميرى فى مكتبه ورماها أمامه قائلاً "ها هى البرقية التى ارسلها لك مرتضى وقلت أنك لم تستلمها" فنظر إليه النميرى وصمت

منذ تلك المواجهة لم التقى مع أحد من اعضاء مجلس الثورة حتى أولئك الذين كانت بينى وبينهم مودة وصداقة إذ اليت على نفسى ألا أعاشر عسكرياً حتى أفارق هذه الدنيا. وحتى اقربائى وهم المرحوم الفريق محمد توفيق خليل إبن عمي الشقيق الوحيد لابى واللواء عباس محمد عبد العال واللواء الفاتح محمد عبد العال. ابنىّ خالتى وشقيقة والدتى وتربيت معهما تحت سقف واحد لم أعد اثق فى توجهاتهم أو فيما يبطنون من أذى وتسلط. اذ مسخت أدمغتهم فى الكلية الحربية وفى معسكرات التدريب والمناورات لإتقان القتل والضرر والفتك بالآخرين فالعسكرى خبيث فى الأذى فطن كأن أبليس فى الطغيان رباه

ولم أعد أثق فى تقدير العسكر أو تقييمهم للامور العامة أو إستيعابهم لمشاكل الناس واحتياجاتهم أو تفهمهم لدروب حياتهم وبواعث تطلعاتهم وحتى زملاء مهنتى من المهندسين العسكريين، إكتشفت أن منهج تدريبهم وأساليب إعدادهم للعمل فى وحدة الهندسة العسكرية تخلق منهم نوعية خاصة من المهنيين لهم طابع خاص فى ممارسة المهنة. ويصبح المؤشر الأساسى لديهم فى تنفيذ الأعمال الهندسية هو عامل الزمن وسهولة التنفيذ وليس عامل التكلفة والإتقان وقد لاحظت ذلك عندما ذهبت فى أحد الايام لوادى سيدنا شمال مدينة أم درمان لتقييم أعمال الانشاء التى كانت جارية أنذاك لاقامة مطار حربى وسراديب لإخفاء الطائرات الحربية فى الشهور الأولى لمايو ومن مهازل القدر ومظاهر الاستهتار بالقيم والقوانين أن يكون الضابط مصطفى جيش" كما كانوا يسمونه مديراً للأعمال هناك، المسؤل الأول عن تلك المهام ليس ذلك فحسب بل اعتبر أنه نجح نجاحاً كبيراً أهله فيما بعد أن يعينه النميرى وزيراً للأشغال العامة وقد كان مصطفى هذا فى حقيقة الأمر وحسب المفاهيم العسكرية رجل يجيد الضبط والربط لديه قدرة فائقة فى حث العاملين ودفعهم للعمل والانتاج مثله كمثل معاونى تجار الرقيق الذين كانوا يقودون الرقيق لشحنهم فى السفن لتنقلهم إلى حيث المشترين الذين دفعوا الثمن

من كل هذا، فإن كان إى بلد فى العالم يطمع أن يجنى أى فائدة من جيشه

وعسكره فليس هناك مفر من وضع العسكر تحت قيادة وتوجيه المدنيين فالعسكري دُرِّب وأعد وأهل لتنفيذ الأوامر والتعليمات ممن هو أعلى منه مرتبة وإذا كانت المهمة المطلوبة هدفها مصلحة الناس وفائدة البلاد فلابد أن يصدر الأمر والتوجيه من سلطة مدنية وحتى في أمر إعلان الحروب، وتلك ولاشك عملية عسكرية خالصة أساسها ودعامتها هو القتل والدمار وسفك الدماء، فإن الأمر لا يصدر إلا من السياسيين في أي بلد متحضر في عالم اليوم

تعيين المهندس يحيى عبد المجيد وزيراً للري:

طوال فترة عملي وزيراً للري كنت دائماً أوضح للنميري وزملائه في مجلس قيادة الثورة، طبيعة العمل في الوزارة فقد كنت الوزير الوحيد الذي جاء ليقود وزارة تدرج في سلمها من أسفل الدرج في وظيفة مساعد مهندس حتى وصلت فيها نائباً للوكيل وكانت الوزارة الوحيدة التي كانت تقودها مجموعة من الاصدقاء والزملاء بدءاً من الوزير وحتى رؤساء الاقسام مروراً بالوكيل ونوابه ومساعديه، وكانت المجموعة مكونة من مهنيين جمعت بينهم روابط أخوية ومهنية ممتازة أساسها الجودة والإخلاص في العمل والأمانة والصدق في المعاملة وأسلوبها الإستشارة والمناقشة للوصول إلى الرأي السديد والحل الأمثل ولذلك كانت كل القرارات والمسارات التي اتخذتها الوزارة صادرة من تلك المجموعة التي كانت تقود وزارة الري آنذاك. ولهذا أيضاً كنت دوماً أقول للنميري وزملائه بأنه من السهل الاستغناء عني كوزير في أي لحظة ويستطيع الوكيل يحيى عبد المجيد أن يقود السفينة كأن شيئاً لم يكن إذ ليس هناك أمر أو قرار لم يكن هو شريك فيه ولهذا كانوا يسموننا "العصابة" وكنا حقاً عصابة إذ كانوا يسمعون نفس المنطق ونفس الكلام والحجج ممن يقابلون من مجموعتنا ولهذا ما أن قرر النميري اعفائي من الوزارة إلا وطلب المهندس يحيى عبد المجيد ليعرض عليه قيادة الوزارة

قال لي المهندس يحيى عندما جاء لزيارتي في منزلي مساء يوم وصولي إلى الخرطوم أنه عندما طلبه النميري ليعرض عليه تولي مهام الوزارة بعد اعفائي رد يحيى قائلاً: "يا ريس إن كنتم غير راضين عن مرتضى لأي شئ فعله

في الوزارة فأنا شريك معه في كل شيء." فرد النميري "ليس لنا شيء ضد مرتضى ولكنه صديقك وأنت تعرفه فأما أكون أنا الرئيس أو يكون مرتضى". هكذا كان رأي النميري عني، فحسب عقله البسيط وحسب فهمه وإدراكه فطالما لم أكن اطبل له وطالما لم أقبل الركض من ورائه في أي توجيه أو قرار يتخذه، وطالما ناقشته أو رفضت رأياً منه فذلك يعني بالنسبة له أني أريد مشاركته في القيادة، هكذا مفهومية وعقلية العسكر. إطاعة الأوامر والقرارات من القائد. لا سؤال ولا حوار ولا مناقشة مع القائد تنفيذ التعليمات والتحرك للأمام في صفوف ونظام يمين - شمال - خلف القائد

مرت أيام وأسابيع ثم جاءني يحيى ليقول لي أن النميري سأله عني فأخبره يحيى بحالي. فتكرم النميري قائلاً ليحيى بانه سيعينني سفيراً إذا كنت أرغب في ذلك ضحكت لقلة عقل العسكر الذين لا يمكن لهم فهم الأمور ومعرفة الاشياء على حقيقتها بعد كل ذلك يظن النميري أنني من اولئك المثقفين الذين يجرون وراء الوظائف والمناصب قلت ليحي مستهزئاً "إذا قابلته بلغه شكري على إهتمامه بي، وأخبره بأن لي مهنة وهي مصدر رزقي ومجال عملي الذي أجيده ثم يا يحيى، هل يعقل أن أكون أنا دبلوماسي؟" إبتسم وأضحك وأنا أغلي من الداخل؟ أجامل وأنافق حفاظاً على الروابط وحماية لمصالح حتى ولو كانت لبلدي؟ ما كنت كذلك يوماً في حياتي"

مشروع الرهد مرة أخرى:

كما اشرت من قبل فإن البنك الدولي كان قد إستقبل وفداً من المهندسين السودانيين الذين خططوا مشروع الرهد الجديد لبحث و مناقشة الجوانب الفنية والاقتصادية للمشروع مع خبراء البنك في واشنطون. وكان السبب الذي دفع النميري لإيقاف العمل في المشروع الجديد هو ما سقى منه وصب فيه من فهم وتضليل من أصحاب المصالح والأغراض الذين كانوا يشيعون بأن المهندسين الذين يعتمد عليهم وزير الري ويتباهى بمقدرتهم وكفاءتهم ما هم إلا مهندسون حديثو التخرج وليس لهم خبرة في تخطيط وتصميم مشاريع الري الكبرى. وكيف لهم أن يغيروا ويخطئوا في تصاميم وضعها خبراء عالميون وراجعها

وإعتمدها خبراء البنك الدولي. وقد كانت الوزارة في إتصال مع البنك قبل إعفائي وبعده، في شرح ومداولات مع خبرائه. ولهذا وبعد فترة من إعفائي عاد إلى الخرطوم المستر مارلون مندوب البنك الدولي حاملاً للحكومة رأي خبراء البنك في المشروع السوداني. وتم عقد اجتماع حضره النميري ووزير تخطيطه ووزير الري المهندس يحيى عبد المجيد ووكيل الوزارة الطيب عبد الرازق وآخرون ليستمعوا لرأي البنك. وبعد إنتهاء الاجتماع زارني في بيتي السيدان يحيى عبد المجيد والطيب عبد الرازق وقصا على ما يلي:

أخبر المستر مارلون الإجتماع بأن المشروع الجديد هو الحل الأمثل من جميع الجوانب الفنية والاقتصادية لري أراضي الرهد الزراعية الشاسعة وأنه يهنئ المهندسين الذين قاموا بتخطيط وتصميم المشروع على ما أدوه من عمل جيد. ثم إضاف قائلاً مخاطباً النميري – وفي اعتقادي أنه قد قصد بلفتته تلك أن يرد على النميري شخصياً لهجومه عليّ إبان زيارة المستر مارلون السابقة – :يا سيدي الرئيس، لابد لي أن أشيد بموقف الوزير السابق، وثقته القوية في المشروع المعدّل. وإصراره على المضي قدماً في تنفيذه، وبالطبع صمت النميري كعادته عندما لا يعجبه الحديث. خاصة وإنه شخصياً وبمؤازرة وزير تخطيطه ووزير إعلامه أوقف العمل في المشروع دون مشورة من الخبراء السودانيين وإعتماداً على ما سمعه من الجهلاء والحاقدين. فهو كالإنسان الآلي يتحرك ويعمل بجهاز تحكم بعيد المدى وقد زارني المستر مارلون في بيتي قبل مغادرته وقص على ما حدث، وعندما علم بأنني أعمل مهندساً في شركة مقاولات سخر قائلاً "يا خسارة . WHAT A WASTE" وطلب مني أن أعطيه "سجل سيرتي الذاتية" لكي يقدمها للمسئولين في البنك الدولي عسى أن يكونوا في حاجة لخدماتي. وشكرته على زيارته ومشاعره نحوي، وهكذا وافق البنك على المساهمة في تمويل المشروع السوداني.

قصة صديقي الدكتور عوض محمد أحمد رضوان:

بعد عودتي من الخارج بأيام قليلة وبعد أن علم الكثيرون من الذين لهم صلات بي اتصل بي الصديق العزيز الدكتور عوض من القضارف حيث كان يعمل مهنئاً بعودتي وشاكراً لي لأني تسببت في كسبه رهاناً مالياً كبيراً فلما استفسرت قال لي أن الكثيرين من الذين يسمعون عني ولا يعرفوني قد ظنوا أني لن أعود إلى الوطن بعد تلك الحوادث المشؤمة والاعدامات خوفاً على نفسي لأني كنت محسوبا مع الانقلابيين الذين اطيح بهم وكان يقول لهم أن صديقه سيعود فقد عرفه منذ الصغر ولم يكن جبانا أو هارباً ولما إحتدم الخلاف بينه وبين عدد من زملائه هناك تحداهم بالرهان وقبلوا! وظل يتعقب أخباري وأخبار عودتي من أهلي وأصدقائي وهو مصر على تحديه على الرغم من تأخري في العودة وتعاظم ثقة أولئك بانتصارهم وكان له يوم حفل وفرح عندما جاءه الخبر بعودتي إلى الخرطوم. وكسب رهانه في أمسية صاخبة في نادي مدينة القضارف حيث جرى التحدي

الفصل الخامس
العمل الحر والخبرات الجديدة

الفصل الخامس
العمل الحر والخبرات الجديدة

مراقبة الإستخبارات لمنزلي وتحركاتي:

إن الحياة تجارب والأيام تقلبات والإنسان بين هذا وذاك عرضه للخير والشر والفرح والتحسر والهزيمة والحظ والفشل ومن تفكر أبصر ومن فتح عينيه وعقله لأدرك أن الناس ومعاملاتهم تتغير وتتبدل حسب الظروف والأحوال فالعاقل من أتعظ بما رأى وجرب وأحمد الله أنني مررت بظروف في حياتي تعلمت الكثير ومارست بعدها حقي ونصيبي دون مجاملة لأحد ودون خشية من أحد ودون خجل من أحد فبعد إعفائي من الوزارة وبعد أن عدت إلى الخرطوم ولزمت داري، وأبتعدت عن السلطة والاضواء وقطعت صلتي بالسياسة والحكام وأنظمتهم لاحظت أن الكثيرين ممن كانوا يلتفون حولي، ودوماً في مجلسي أو على صلة بي إختفوا فجأة ودون تمهيد أو تدرج ولم يعودوا يسألون عني وعن أحوالي وأحزاني إذ أعدم أخي وزوج شقيقتي الشهيد الشفيع أحمد الشيخ وأصبحت أنا عدوا للنميري ونظامه

وهكذا حال الناس الذين يلتفون حول أي شخص ويعاشرونه لحاجة في نفس يعقوب وما أن تقع المصائب وتهبط المآسي إلا وينفضون ويبتعدون حماية لأنفسهم إذ يظنون أن القرب سيجر عليهم المتاعب كما لم يعد يتوفر لهم ما يبتغون وهكذا خلى منزلي وإنفض مجلسي وخليت مقاعدي وداري ولم يبق معي لمواساتي ودعمي سوى أهلي وعشيرتي وأصدقائي المخلصين. وفي هذا الأطار أسوق حدثين وقعا لي من صديقين كنت أعرفهما وكانا شديدي الالتصاق بي. ولا داعي لذكر الاسماء إتصل أحدهم بي تلفونياً ليقول بإنه كان يود زيارتي ولقائي ولكن صديقه الضابط مأمون عوض أبو زيد رئيس الإستخبارات العسكرية وعضو مجلس قيادة الثورة قد نصحه إلا يقدم علي ذلك إذ أن منزلي مراقب وداري مرصود. ولهذا يستسمحني في عدم المجئ والإتصال فشكرته ونصحته أن يبتعد عني حتى لا يصيبه مكروه فأنا لست من الذين يحبون تصدير المشاكل للآخرين وهكذا إنتهت محادثتي معه. وآخر وهذا أسوأ من زميله إذ بلغ الجبن به أن قابل

زوجتي الأجنبية في دكان فاروق في سوق الإمتداد في الخرطوم وعندما نظرت إليه وهي باسمة مسرورة بلقائه وهمت بالتقدم نحوه للسلام والكلام التفت جانباً عنها وهرول سريعاً خارجاً من المكان. وكم كان فيما مضى كثير التردد على دارنا وكم تناول من الطعام والشراب الذي قدمته له في ترحاب وحسن ضيافة وعادت زوجتي تحدثني محتارة في تلك الاخلاقيات والمعاملات قائلة إنها لم تكن تظن أن لدينا جبناء من الرجال لهذا الحد خاصة وأنها أجنبية وليست معنية بالمراقبة والمساءلة من الإستخبارات السودانية وما هكذا عرفت السودانيين.

عملي مع شركة سيد عبد الله السيد:

جاء اليّ المهندس والصديق المرحوم سيد عبد الله السيد في داري ليخبرني بأنه قد فاز بعطاء تشييد محطة تنقية مياه الشرب لمدينة الخرطوم بحري، وأن هناك شرطاً في العقد أن يكون مهندس الموقع الذي يقوم بتنفيذ العمل مؤهلاً تأهيلاً عالياً وخاضعاً لموافقة الإدارة المركزية للمياه والصور صاحبة المنشأة قبل توقيع العقد وبدء النفاذ ولهذا فقد جاء يطلبني أن إنضم لشركته وأقوم بتنفيذ العقد فوافقت وسلمته سجل تعليمي وتأهيلي وخبرتي لتقديمها للإدارة. ولم يفصح لي عن شروط عملي معه ولم يعرض على مقدار المرتب الذي سإستلمه ومن جانبي أيضاً لم اجرؤ أن أستفسر عن هذا الموضوع المحرج والذي أخجل وأتردد في فتحه فالحديث في مثل هذه الأمور إذا كانت تخص المتحدث تكون مصدر عيب له ولهذا فهي تترك للآخرين من الاصدقاء ليقوموا نيابة عنه في الاستفسار والمطالبة بما يجب أن يعطى له من حقوق ومرتب فالشخص الكريم لا يتكلم في الفلوس إذا كان الأمر يخصه إذ أن ذلك عيب وهكذا بدأت العمل في شركة سيد عبد الله السيد وشركاه بدون توقيع عقد عمل ودون أن أعرف قيمة راتبي وهل لي حق في علاوة أو مكافأة أو تنقل أما واجباتي ومسئوليتي فتلك أعرفها جيداً من سابق خبرتي وتأهيلي وهكذا ذهبت لموقع العمل أقود سيارتي الخاصة وبدأت مباشرة مسئولياتي في تشييد محطة المياه تحت إشراف مهندس الإدارة المركزية المهندس سيد أحمد. وأذكر أن التقيت بالمهندس المرحوم محمد

عبد الله قلندر الذى سألنى ساخراً إن كنت قد وقعت عقد العمل مع سيد عبد الله فرديت فى ثقة وتهور قائلاً "لا حاجة لى لتوقيع عقد عمل مع سيد. فأنا أعمل فى شركتى وفى حقى" قلت ذلك لأنى كنت أعلم أن قلندر كان فيما مضى يعمل فى شركة سيد واختلف معه. وثانياً لأن سيد كان صديقاً لى حسب إعتقادى ومبادئى وثالثاً لأن سيد كان مهندساً فى الرى وإستقال لينشئ شركته للمقاولات وكنا ندعمه كلما إحتاج لعون أو مساعدة منا إذ كنا نرى فى نجاحه نجاحاً للمهندس فى مجال مقاولات الإنشاءات إذ كان جميع مقاولى الإنشاءات فى ذلك الوقت لاصلة لهم بالهندسة وكانوا أصحاب أموال أو تجارة وكان من يريد أن يعمل فى هذا المجال لا يحتاج لأى مؤهل سوى الحصول على رخصة تجارية من الحكومة المحلية بعد دفع أربعة جنيهات سودانية وهكذا وبحسن نية وسذاجة مارست عملى فى شركة سيد عبد الله

وفى الحقيقة كان الواجب والقانون يقتضى أن يقوم المهندس سيد عبد الله بإعداد عقد عمل لى يحوى جميع حقوقى والتزاماتى ومدة سريان ذلك العقد وشروط الغائه من الطرفين وأسس تجديده فشركة سيد عبد الله كانت مؤسسة للمقاولات يعمل فيها إعداد كبيرة من العمال والفنيين وكان الواجب والقانون يقتضيان أن تكون هناك نظم وقواعد للعاملين فى الشركة وعقود عمل لكل فئة تحفظ حقوقها وحقوق الشركة وتحمى مصالحهم ومصالحها المشروعة. ولكن لم تكن هناك مؤسسة على هذا المستوى من التنظيم والانضباط، بل لم تكن هناك أى عقود للعمال أو الفنيين أو المهندسين ولم تكن لهم حماية وحقوق محددة وواضحة وهذا ما حدث لى عندما التحقت بالشركة استلم راتباً فى نهاية الشهر يبلغ ٢٥٠ جنيه هو كل ما أتقاضاه مقابل عملى فى الشركة. فلا حق لى فى إجازة سنوية ولا حق لى فى إجازة مرضية ولا حق لى فى علاوات أو فوائد ما بعد الخدمة وليس لى عقد يقنن إنهاء خدمتى ولا إمتياز فى النقل إلى موقع العمل ولا ساعات عمل محددة فى اليوم هكذا بدأت عملى فى الشركة وهكذا خرجت منها كان المشروع الذى اضطلعت بتنفيذه يحتوى على إنشاءات خزانات أرضية ضخمة للمياه ومعالجتها مبنية من الخرسانة المسلحة وكذلك خزان على إرتفاع حوالى ٤٠ متر من سطح الأرض لمد المياه المعالجة إلى شبكة توزيع المياه للمدينة وقد قمت بتخطيط المنشآت وتحضير المواد والعاملين وإعداد حديد التسليح وتصميم

وإقامة قوالب صب الخرسانة (الفرم) والأشراف على خلط مواد البناء وصبها في أماكنها حسب الخرائط والمخططات، كما أشرفت على معمل تحليل المواد وضبط المواصفات وكان يشرف على مراقبة التنفيذ المهندس سيد أحمد من قبل الإدارة المركزية للمياه والنور وكان مهندساً ذا خبرة عملية متواضعة لحداثة تخرجه من الجامعة. وعلى الرغم من ذلك أحترمته وأوفيته حقه كاملاً وحق معاونيه من الفنيين كما مقتضى بذلك شروط العقد إذ هو ومن معه أصحاب السلطة في الإشراف والتوجيه ومراقبة تنفيذ العمل ليكون مطابقاً للمواصفات وشروط العقد فتلك قواعد ونظم وحدود معروفة تحكم العمل في قطاع الإنشاءات وتحدد العلاقة بين المهندس المشرف وجهازه وبين وكيل المقاول وعماله في موقع تنفيذ المنشأة وهكذا سار العمل على حسب المخططات والبرامج على أساس ثلاث نوبات يومية، كل منها ثمانية ساعات.

زيارة المهندس محمود جادين لموقع العمل:

محمود جادين وكيل الري السابق والذي كان قد أحيل إلى المعاش بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤ لما إرتكبه من مخالفات وتجاوزات لمسئوليات وظيفته عاد من الخارج حيث كان يعمل مع البنك الدولي وعينه النميري وزير دولة للأشغال والنميري كما جاء ذكره من قبل شغوف بتوزير كل من له ضعف أخلاقي أو من كان له سابقة غير كريمة وهكذا قرر وزير الدولة للأشغال زيارة موقع أعمال محطة مياه الخرطوم بحري وهو يعلم بأني أقوم بتنفيذ المشروع لشركة سيد عبد الله، وصحبه مدير عام الإدارة المهندس زين العابدين مصطفى. وعندما علمت بالزيارة أخبرت السيد المهندس سيد أحمد بأني سابقى بمكتبي في الموقع وإذا أراد الزوار الكرام مقابلتي فسأتي إليهم. فمسئولية الأعمال تقع على المهندس المقيم السيد سيد أحمد وما أنا إلا وكيل المقاول ومنفذ العمل وعند وصولهم استقبلهم سيد أحمد وبدأ يقودهم لمعاينة الأعمال شارحاً لهم ما لزم شرحه وفجأة سأله جادين عني، فاخبره بأني موجود بالموقع بمكتبي فطلبه أن يرسل أحداً ليحضرني إليه فجئت وأنا حذر محدثاً نفسي بأن أعطيه ما يستحقه من الاحترام وإذا شعرت بأنه ينوي أن يتحرش بي لما وقع بيننا في

الماضي من خلاف فسأرد الصاع صاعين وكم فوجئت بحرارة إستقباله لي في ود ومحبة وسألني عن أحوالي وأحوال زوجتي وأولادي، فاكبرت ذلك منه خاصة وأنا في ذلك الوقت معتبر من المنبوذين والمكروهين من السلطة وأعوانها. ثم بدأ يسألني عن العمل وخصائصه الفنية مهملاً المهندس سيد أحمد فتوقفت عن الاجابة وقلت له يا سيد محمود أنا مهندس المقاول والسيد سيد أحمد هو المسئول الفني عن الأعمال وهو المهندس المقيم وأنا أعمل تحت أشرافه وتعليماته فعليك توجيه هذه الاسئلة إليه، فرد محمود موجهاً حديثه للمهندس سيد أحمد "اسمع يا سيد أحمد مرتضى ده يعرف الشغلانه ده أحسن منك وعليك أن تسمع كلامه وتتعلم منه" وبالطبع لم يرضي هذا الحديث المهندس سيد أحمد ولا شك أن له حق في ذلك فوضع التوجيه من المسئول الأول في تلك الصيغة خطأ كبير ويخالف النظام وشروط العمل وتسييره وتلك كانت طريقة السيد محمود وأسلوبه في خلط العمل الرسمي بالعواطف والمجاملات. وهذا كان ضعفه الاساسي والذي سبب له الكثير من المعاناة واستغلته البطانة الفاسدة إلى أن "ودته في داهية" وبعد أن ودعنا الضيوف الكرام وواصلنا عملنا كان المهندس سيد أحمد أكثر بعداً وجفوة مني

اصلاح علاقتي مع المهندس سيد أحمد ونصحه لتغير تعامله في مزاولة مهنته:

كانت مواصفات عقد إنشاء محطة المياه توضح نسب عناصر المواد لكل جزء من المباني بما يناسب مقتضيات تصميمها. وكنت حريصاً أن أسجل تلك النسب لكل جزء قبل البدء في تنفيذه وأسلمه لرئيس العمال الذين يقومون بخلط تلك المواد وصبها في مواقعها حسب الرسومات التنفيذية موقعة بأمضائي. وذات يوم كنت في موقع العمل في الوردية الثانية التي تبدأ من الساعة الثانية بعد الظهر وتنتهي في العاشرة مساءً حين تبدأ الوردية الثالثة إلى السادسة من صباح اليوم التالي وسلمت إرشاداتي لرئيس العمال (الملاحظ) للوردية الثالثة موضحاً كميات الأسمنت والرمل والحصي والماء المطلوبة لذلك الجزء من المباني وذهبت لبيتي. وعندما أتيت في صباح اليوم التالي وتفقدت ما إنجز في وردية

الليل لاحظت أن كمية الاسمنت أكثر مما كنت قد أشرت به. وبعد البحث والمراجعة علمت أن المهندس سيد أحمد قد جاء للموقع بعدي وأمر ملاحظ الوردية بزيادة كمية الاسمنت مدعياً بأنني قد أخطأت في المواصفات ولما أصر الملاحظ على موقفه عارضاً عليه تعليماتي المكتوبة لم ينظر إليها بل أبعدها بيده مصراً على موقفه وعند ذلك طلب الملاحظ أن تكون الأوامر مسجلة وموقعة من الباشمهندس سيد أحمد وتم له ذلك

فأخذت دفتر التعليمات وذهبت لسيد أحمد في مكتبه وسألته عن أسباب تغيير تعليماتي فرد ببساطة دون أي أهتمام قائلاً بأنني كنت مخطئاً في المواصفات. فقلت له وهل راجعت أنت كراسة المواصفات قبل أن تصدر تعليماتك بالتغيير؟؟ رد في استهزاء ودون إكتراث بأنه واثق مما فعل ولا يحتاج لمراجعة فوضعت أمامه كراسة المواصفات فاتحاً الصفحة المعنية وقائلاً خذ أقرأ وما أن وقعت عيناه على الصفحة إلا وإضطرب وبدأ يقلّب في صفحات الكراسة منزعجاً. ولما تأكد له خطأه انهار وأخذ ينظر إلي في توسل وانهزام ثم أخذ الكراسة ووقف من الكرسي الذي كان يجلس عليه قبل قليل في كبرياء وعظمة وجاء إلي جانبي كالطفل الخائف الذي يلتصق بثياب أمه ملاذاً للحماية والامان فقلت له عد إلي مقعدك واجلس حيث كنت فاطاع أمري وجلس يتطلع اليّ فقلت له مشكلتك أنك رجل مغرور وجبان وهذه أول مسئولية ذات أهمية تضطلع بها ومن حسن حظك أنك وجدت مجموعة من ذوي المعرفة والخبرة تقوم بتنفيذ العقد الذي أنت المسئول عن الاشراف على تنفيذه وبدلا من التعامل معهم بإحترام وود والإستماع لارائهم، كنت تجئ إلي الموقع تجوب أجزاءه هنا وهناك آمراً هذا أو مؤنباً ذلك لا تحترم الكبير ولا تعطف على الصغير، كأنك سيد في معسكر لرقيق ولهذا لم تحظ باحترام أحد ولم تكسب عطف أحد وبالأمس عندما أخبرت بمضمون تعليماتي لم يدفعك ضميرك ولم يهتد عقلك لتراجع الوثائق قبل أن تتهمني بالإهمال والخطأ وحتي بعد أن سجلت تعليماتك دفعك الغرور لتظن في نفسك أنك منزه عن الخطأ ولا تحتاج لمراجعة وثائق العقد لتتحقق من خطئي، بل لم تصغ لتوسل الملاحظ لتراجع العقد لتتأكد من حقيقة الأمر بل طردته من مكتبك وذهبت لبيتك لتنام هادئاً والآن أتعرف كمية الأسمنت الإضافية التي أمرت بها وكم ثمنها؟؟ فظل ينظر ليّ ولا ينطق

بكلمة فواصلت حديثي، قائلاً "أن ثمن الأسمنت الاضافي يبلغ حوالي مئتين جنيهاً، أكثر من راتبك في الشهر فإما أن أبعث إلى السيد مدير عام الإدارة المركزية تقريراً يفصل ما حدث مع شكوى مني لمعاملاتك غير الكريمة وغير اللائقة معي ومع عمالي وأنت تعرف مكانتي مع الأخ المهندس الزين مصطفى ويمكنك أن تتخيل ما سيحدث لك ولمستقبلك في الإدارة وأما اتغاضى عن أخطائك واطلب من المهندس سيد عبد الله المقاول وصاحب الحق فيما وقع من أذى راجياً منه أن يتكرم بتحمل التكلفة الاضافية بإسقاطها من شهادة الصرف حماية لك ولمستقبلك ولكني لن اخطو هذه الخطوة إلا بعد أن تقبل شروطي ثم سكت ونظرت إليه وأخيراً فتح فمه سائلاً عن شروطي فقلت "عليك من هذه اللحظة أن تعود إلى نفسك، تحملها على التواضع ومعاملة الناس في إحترام وأدب مهما كانت أوضاعهم المهنية والإجتماعية ومهما كان نوع العمل الذي يؤدونه وأن تستمع لرأي الآخرين إن كانوا عمال تشييد أو عتالة أو كانوا فنين أو مهندسين فهكذا تعلمنا مهنة الهندسة وهكذا عشنا حياتنا في مواقع البناء والتشييد" وكان ذلك درساً للمهندس سيد أحمد وبعدها تحسنت علاقتي معه وسار العمل في المحطة على خير إلى أن تم إستلام الأعمال.

أحزان عائلية مرة أخرى:

في يوليو ١٩٧٢ جاءني خبر من مدني بأن محمود محمد علي زوج شقيقتي التومة، وناثب المحافظ لمشروع الجزيرة قد أصيب بمرض في كليته بسبب الملاريا وقرر الأطباء سفره عاجلا لبريطانيا للعلاج وهكذا ودعناه تصحبه زوجته وترك أولاده مع أهلهم في بيتنا في أم درمان، وتمنينا له الشفاء العاجل والعودة سالماً معافاً، ولم يمضي على سفره بضعة أيام إلا ودق تليفون مكتبي وتحدث إليّ موظف مسئول في وزارة الخارجية ليقول أنه يأسف إذ يخبرني بوفاة أخي محمود محمد علي صباح ذلك اليوم في مستشفى لندن كما جاء في رسالة عاجلة للسفارة السودانية هناك وأن الجثمان بصحبة زوجته سيصل إلى مطار الخرطوم في اليوم التالي ومن ثم كان علي أن أبلغ الخبر المحزن لأهلي ولابنائه والقيام بالترتيبات اللازمة لنقل الجثمان من مطار

الخرطوم رأسا إلى مقابر أهله فى مدينة مدنى وأذكر أننى كنت فى حاجا لبعض المال لمقابلة نفقات المأتم فاستدنت مبلغاً من أحد الأصدقاء وحملته فى جيب جلبابى وذهبت مصاحباً جثمان الفقيد إلى أن وصلنا لمقابر مدينة مدنى حيث وجدنا جمعاً غفيراً من الناس من المدينة ومن العاملين في مشروع الجزيرة وبعد الإنتهاء من الدفن إحتشد المعزون من حولي وأنا غارق في حزني لفقدنا العظيم. كان هناك من بين الناس من جاء إلى هذا المكان الحزين بغرض النهب والاحتيال والكسب الحرام مدعيا أنه واحد من المعزين لينشل من الجيوب كلما سمحت له الفرصة بذلك وما أن ركبت السيارة عائداً إلى منزل العزاء إلا وافتقدت محفظتي وكل ما فيها من مال وقد عرفت فيما بعد بأن هناك عصابا متخصصة في النشل في المقابر تتربص بالمعزين وأصحاب العزاء في ظروف ومكان لا يخطر على أى شيطان أن يفتك بأى إنسان ولكنه الإنسان.

وفاة العاقب محمود زوج شقيقتي نفيسة فجأة وبطريقة مفزعة:

فى الربع الأخير من عام ١٩٧٢، ونحن فى بحر من المتاعب والأحزان اتصل بى فى منزلى زوج شقيقتى الكبرى نفيسة من مدنى حيث كان يعمل محاسب فى شركة مطاحن النيل الأزرق التابعة لمؤسسات شرف لمؤسسها السيد فتح الرحمن البشير وبعد التحية والسلام طلب أن يتحدث لزوجتى ليهنئها بسلامة عودتها فى ذلك اليوم من فيينا بعد غيبة طويلة ولم تمضى على هذه المحادثة سوى ما يقرب من نصف الساعة إذ دق جرس التلفون مرة أخرى وعندما رفعت السماعة وجدت المتحدث شقيقتى فاطمة من بيتنا فى أم درمان تقول لى أن شخصاً اتصل بها يقول لها بأن العاقب محمود قد توفى. فقلت لها أنهم أولئك الأوغاد من مخابرات النميرى يريدون أن يفزعوها ويحطموا أعصابها إذ أننى وإنما زوجتى قد حدث اليها العاقب قبل بضعة دقائق فأصرت فاطمة أن المتحدث لم يكن من أولئك النوع من البشر. وهى تعتقد أن هناك شيئا فى الأمر ولابد من التحقق والتأكد فاتصلت بالمهندس سيد عبد الله السيد ليتصل بقريب له يسكن في جوار مسكن العاقب ويعرفه جيدا ليتحقق من الامر. ولم تمضى دقائق إلا واتصل بى سيد عبد الله. وأكد لى فى حزن بأن العاقب قد

توفي قبل ساعة بسكتة قلبية وكانت الحقيقة الفاجعة أن العاقب بعد إنتهاء محادثته مع أتيا وقف يصلي فريضة العصر. وما أن إنتهى من الصلاة وهو لازال جالسا على مصلاته إتكأ على الحائط الذي بجواره وأغمض عينيه وهو يسبح وفارق الحياة دون أي حركة أو ضوضاء ولهذا ظن أولاده بأنه نام بعد الصلاة ولما آرادوا إيقاظه لينام في سريره إكتشفوا الحقيقة المفزعة ولم يصدقوا بأنه فارق الحياة وتحت إصرار زوجته وعدم تصديقها للأمر اضطر الحاضرون لأخذه للمستشفى حيث تأكد لهم موته قبل أكثر من ساعة وهكذا تقبّلنا ما كُتب علينا وواجهنا مسؤولياتنا نحو أنفسنا ونحو أهلنا وعشيرتنا وهذه سنة الحياة يوم لك ويوم عليك

المهندس مزمل عبد الرسول ورفعه لشكوى للنميري ضدي:

كما يقولون عندما يقع الثور يكثر حوله حاملو السكاكين كل يريد أن يظفر بقطعة من لحمه. وهكذا ظن أخونا وزميل المهنة والعمل في وزارة الري الذي قدمت له الكثير من المساعدة والتأييد كما جاء ذكره من قبل في هذا الكتاب وكان آخرها عندما جئت وزيراً وانقذته من العقاب على ما إرتكب من مخالفات وفساد إبان عمله كنائب لوكيل الري. فما أن سمع بأنى أبُعدت من الوزارة إلا وظن أنها فرصته لكي يحصل على غنيمة ليست من حقه فكتب خطاباً للنميرى بوصفه رئيساً للجمهورية يشتكي من ظلم "الشيوعي" مرتضى الذي أبعده من الوزارة دون ذنب أو سبب. وبالطبع كان يعلم أن النميرى أصبح يكره الشيوعيين الذين كانوا وراء إنقلاب هاشم العطاء فإذا وصفنى بأنى "شيوعي" فذلك يكفي لأن يستدر عطف الرئيس فيعيده مره أخرى لمنصبه في الوزارة، ولما تسلم النميرى الخطاب أحاله للسيد يحيى عبد المجيد وزير الري ليحقق له في الأمر وكان يحيى يعلم بالقصة كاملة وكانت الوثائق التي إعترف فيها مزمل من قبل على ما إقترفه من ذنوب موجودة في خزينة الوثائق السرية في مكتب وزير الري. فرفع يحيى الحقائق كاملة إلى نميرى وكان رد النميرى بأن لا يسمح لمزمل بالعمل في أي مرفق من مرافق الدولة. قائلا لإجتماع مجلس الوزراء كما أخبرني بذلك السيد يحى: "أنه رجل يعض اليد التي أحسنت اليه"

التحقيق معي لاخطاء أرتكبت في مشروع السوكي:

بعد أن بدأ تشغيل مشروع السوكي، إنهار جزء من جسر إحدى القنوات وتدفقت المياه من القناة إلى الحقول، وهذا يحدث في المشاريع الزراعية في السنة الأولى من التشغيل نتيجة لعدم كفاية دك طبقات الردمية الترابية في الجسر كما تقتضي بذلك المواصفات ولما كان أصحاب المصالح الموتورون لازالو يلعقون جراحهم من هزيمتهم النكراء في بناء مشروع السوكي دون أن يجدوا ثغره لينفذوا منها ليسرقوا ويفسدوا ويرتشوا. فقد ظنوا أن فرصتهم قد عادت فراحوا يشيعون بان هناك أخطاء في التصميم وأخطاء في التنفيذ وصدرت الصحف بالعناوين الكبيرة مضخمة ما حدث من إنهيار في الردميات مؤكدة أن المياه قد ضاعت وأن المحصول قد فقد، مطالبة بالتحقيق مع المسئولين وعلى رأسهم الوزير السابق ومساعديه وهكذا ومره أخرى وجد النميري فرصته فكوّن لجنة للتحقيق برئاسة المهندس محمود محمد جادين وزير الدولة للإشغال العامة والمهندس الرشيد سيد أحمد مهندس ري بالمعاش والاستاذ المهندس الدكتور دفع الله بدوي استاذ الهندسة المدنية في جامعة الخرطوم. وبدأت لجنة التحقيق أعمالها بإستدعاء مهندسي الري الذين قاموا بتصميم المشروع والذين قاموا بالتنفيذ، وعندما سألني بعض الصحفين إن كنت سامثل أمام اللجنة قلت بأني لن أحضر للمساءلة للجنة حكومية وإذا كانت الحكومة تعتقد بأني مذنب فعليها أن ترفع قضية ضدي في المحكمة وعند ذلك فسأحضر للاستجواب وأعلنت أيضا بأني لا أعتقد بأن اللجنة لها المقدرة الفنية للتحقيق في أمور هندسية قام بها مهندسون لهم من الخبرة والكفاءة العلمية ما يفوق كفاءات وخبرة أعضاء اللجنة الموقرة

وبعد أن باشرت اللجنة أعمالها وإستدعت عدداً من المهندسين وعلى رأسهم المهندس يحيى عبد المجيد وزير الري آنذاك ووكيل الوزارة أبان تنفيذ المشروع جاءني مساء يوم في بيتي الدكتور دفع الله بدوي عضو اللجنة وقال لي ما يأتي:

أنه قد شعر من مجرى التحقيق بأن زميليه في اللجنة لهما تحيز لإلصاق التقصير بجهات معينة. فالمهندس محمود جادين يرى أن المسئول الاول هو

المهندس يحيى عبد المجيد بوصفه وكيل الوزارة إبّان تنفيذ المشروع ولابد أن يتحمل كل الأخطاء. أما المهندس الرشيد سيد أحمد فهو يميل إلى تجريم المهندسين الذين قاموا بالتصميم والتنفيذ لنقص فى خبراتهم. وذكر لى بأن المهندس يحيى عندما إستجوبته اللجنة كان كل همه هو الدفاع عن نفسه لإبعاد المسئولية عنه، ولهذا فقد جاء الأستاذ بدوى إلىّ لكى أقبل أن أقابل اللجنة للدفاع عن المهندسين الذين كان من بينهم عدد من زملائه فى الدراسة وهو واثق من كفاءاتهم ومقدراتهم فيما أدوه من خدمات، ويخشى أن تساء سمعتهم المهنية نتيجة لمعركة لا ناقة لهم فيها ولا جمل" ولهذا عدلت عن قرارى وقبلت أن أقابل اللجنة للرد على تساؤلاتهم خاصة وأنا أعرف جيداً ما ينطوى عليه كل من السيدين جادين والرشيد. فالأول له مصلحة فى إبعاد يحيى عن الوزارة لأنه يظن أنه سيكون المرشح الأول لها بعد إبعاد يحيى. ولهذا فهو سيسعى لالصاق التهمة بالمهندس يحيى عبد المجيد، وأخونا الرشيد يعمل وكيلاً لشركات تعمل فى مجال أعمال الرى والإنشاءات. فإذا أثبت أن الذنب يقع على المهندسين لعدم خبرتهم فأنه يفتح بذلك الباب الذى أغلق أمام الشركات التى يمثلها لأخذ نصيبهم من أعمال الوزارة وهكذا قبلت الحرج لمقابلة اللجنة الموقرة. وأتيت اليهم بمكتوب موقع بامضائى وإحتفظت به فى جيبى ثم أجبت على جميع أسئلتهم، وفى نهاية الاجتماع سلمتهم مكتوبى الذى إعترفت فيه بأننى المسئول الأول عن كل خطأ وقع إن كان فى التصميم أو التنفيذ وأننى على إستعداد لتحمل أى عقاب تراه اللجنة أو النميرى نكاية وتحدياً لوضعهم فى مأزق وكشف نواياهم الخبيثة، إذ كنت فى تلك الفترة كالميت لا مصلحة لأحد فى ايذائى. وبعد فترة سمعت بأن اللجنة رفعت تقريرها إلى النميرى وأدانتنى بأنى كنت السبب فيما وقع من أخطاء فى تنفيذ المشروع إذ كنت أدفع المهندسين والمسئولين فى الوزارة للإسراع فى تعجيل البرامج وكان الجميع يخشون بطشى وعقابى فسايرونى فيما كنت أطلبه وعجلوا بالتنفيذ الأمر الذى أدى إلى إرتكاب الأخطاء. وسمعت بعد ذلك أن النميرى غضب لنتيجة التحقيق وقال فى تعليقه عن تقرير اللجنة "إذا كان مرتضى يدفع المهندسين للتعجيل فى برامج العمل والإنتاج فهذه ليست خطيئة". وهكذا مات تقرير اللجنة ولم يسمع أحد بعد ذلك عن أخطاء مشروع السوكى، ومن إرتكبها وماذا كان مصيره. وأنتهى

شقيقى صلاح يرفض التعاون والعمل مع نظام النميرى:

بعد الكوارث والمحن التى ألمت بنا، أصبحت وأخى صلاح مسئولين عن العائلة والإضطلاع بمسئوليتنا إذ أن والدنا كان فى ذلك الوقت قد شارف على السابعة والسبعين من عمره. وكنت وصلاح ممتلئين بالنقمة وعدم الرضا من نظام النميرى ليس فيما إقترفه من ظلم ضد الشهيد الشفيع بل لما كنا نراه من تغيير فى توجهات النظام بقيادة منصور خالد وغيره من أصحاب المصالح والإنتهازيين. ولهذا كنت دائماً اذكّره بمسؤوليته نحوى ونحو أخوته فى أن لا يرتكب أية حماقة ويترك وظيفته دون أن نتشاور فى الأمر ونعد لكل طارئ الحلول والترتيبات المناسبة وكان يرسل لى شهريا ما عليه من إلتزام. وفجأة ودون ايه مقدمات جاءنى خبر إستقالته وهو سفير للسودان فى الجزائر فى أوائل عام ١٩٧٦، وخرج من السفارة ليشن حملته على المنافقين والإنتهازيين والنظام كله من باريس. فعل ذلك وترك حقوقه فى خدمته الطويلة فى حكومة السودان بدءاً من وزارة المالية فى قسم الضرائب وإنتهاءاً بدرجة سفير فى وزارة الخارجية. وأذكر أننى عاتبته على عدم إستشارتى فى قراره الخطير، وتضحيته بحقوقه الشرعية فى نهاية الخدمة بل أخذ على عاتقه إصدار جريدة فى باريس باسم "البديل" يحارب بها النميرى ونظامه بددت ما عنده من مدخرات وما كان يصله من إشتراكات من أصدقائه ومؤيديه ولكنها الجينات فى تكويننا المحرك الذى يدفعنا إلى الوقوف فى جانب ما نؤمن بأنه الحق، حتى وأن سقطت على رؤوسنا الكوارث أو غضب علينا الحكام وأصحاب الجاه والسلطان.

إنتهاء عملى مع شركة سيد عبد الله السيد وشركاه:

عندما شارف إنتهاء العمل فى محطة تنقية مياه الخرطوم بحرى فى أوائل عام ١٩٧٣ بدأت ألاحظ بأن الأخ المهندس سيد عبد الله السيد يعاملنى بصورة تتسم بالجفوة والأبتعاد وكان عندما يلتقى بى فى موقع العمل الذى شارف

نهايته أو يلتقي بي في الورش التابعة لشركته في المنطقة الصناعية بالخرطوم بحري يحدثني في إقتضاب وجفوة ولم أعرف السبب في ذلك. فسألت شقيقه وصديقي أحمد عبد الله السيد عن ما بدا لي من تغيرات في علاقة سيد عبدالله معي وفي معاملاته غير الودية ولم يستطع أحمد أن يمدني برد مقنع ولما شعرت بتفاقم الأمور إتصلت بالصديق الزميل المهندس الطيب عبد الرازق بوصفه صديق الطرفين بالإضافة لصلة النسب بينه وبين الاخ سيد عبد الله، وبالصديق المهندس عبد الله محمد ابراهيم ليتوسطا في الأمر لإزالة الجفوة المفتعلة التي بدأها الأخ سيد عبد الله وعلى ذلك اجتمعنا بدار الأخ الطيب في أمسية بغرض إزالة سوء التفاهم. وفي ذلك الاجتماع إتضح باعتراف الاخ سيد عبد الله في نهاية الأمر بأنه لا يستطيع أن يقدم لي عمل يناسب مؤهلات مركزي خاصة وأن عقد محطة المياه في بحري قد شارف نهايته. فقلت للأخ سيد ليلتها وأنا حزين لمعاملته غير الكريمة ما كنت لتحتاج أن تفعل بي فعلتك هذه فأنا رجل له كرامة وعزة نفس لا يمكن أن أضع نفسي عالة على أحد وقد بدأت بالفعل أبحث عن عمل وكان كل همي أن أجد الطريقة المثلى لمفاتحتك في أمر إستقالتي من مؤسستك عندما تغيرت معاملتك لي ومن تلك الليلة إنتهى عملي في شركة سيد عبد الله السيد بنفس الطريقة التي التحقت بها في العمل معه لا عقد يعطيني فوائد ما بعد الخدمة ولا مرتب ثلاثة أشهر مثلا بل كان آخر ما استلمته هو ما استحقيته من راتب عن تلك الايام من الشهر حتى اليوم الذي توقفت فيه عن العمل في الشركة وكان راتبي الشهري ٢٥٠ جنيها فقط وهو نفس مرتبي الذي كنت أتقاضاه من الوزارة وشتان بين المهمتين

بداية عملي كمهندس أستشاري وفتح مكتب باسمي:

كنت أبحث عن عمل عندما بدأت أعمال محطة تنقية مياه بحري تشارف نهايتها وأثناء ذلك التقيت بالمهندس تاج الدين عبد الرحمن الخزين المهندس الميكانيكي القائم بأعمال مؤسسة الصناعات الغذائية التابعة لوزارة الصناعة. وكانت المؤسسة قد تعاقدت مع شركة بلجيكية لتوريد معدات لمصنع بيرة في مدينة واو في جنوب السودان وشجعني المهندس تاج الدين أن أتقدم اليه

بعرض للقيام بالخدمات الهندسية الاستشارية للأعمال المدنية الخاصة بالمصنع وملحقاته – وهكذا بدأت أول خطوة لي في مجال الهندسة الاستشارية. وكان لابد لي من الحصول على ترخيص قانوني لمزاولة مهنتي في السوق كمهندس استشاري، وعلمت لأول مره بأن ممارسة العمل الهندسي الخاص يتم عبر استخراج رخصة تجارية تكلف أربعة جنيهات من سلطات البلدية التي سيعمل فيها المهندس. واليت على نفسي ألا افعل ذلك إحتراما لمهنتي خاصة وقد علمت أن الأطباء والمحامين يحصلون على الترخيص لمزاولة مهنتهم عبر مجالس نقاباتهم كما هو مكفول في القوانين. أما مزاولة مهنة الهندسة فلا تحتاج لشهادة من نقابة أو هيئة علمية بل يمكن لأى شخص أن يفتح مكتبياً هندسياً ويمارس إعداد التصاميم ورسم الخرائط وتخطيط الأساسات والإشراف على تنفيذ المنشآت الهندسية، مساكن كانت أو عمارات، ولم يكن صاحب الرخصة في حاجة لشهادة في علم الهندسة أو أجازة من جهة متخصصة.

شرف أن أكون أول مهندس سوداني يمارس مهنته كمهندس إستشاري دون رخصة تجارية:

إحتراما لشرف مهنتي وبدافع من شعور قوي بالظلم وعدم الإنصاف بدأت جهدي من أجل كسب العيش في السوق عبر ترخيص يحترم المعرفة ويشرف المهنة. فسعيت إلى كل مرفق حكومي اعرض تظلماتي واؤكد إصراري على ولوج العمل الاستشاري من المدخل الصحيح إلى أن علمت بأنه من الممكن إستخراج ترخيص تحت قانون الشركات من وزارة التجارة. شريطة أن أحصل على إقرار من مصلحة الأشغال العامة يثبت أني مهندس ولي من المؤهلات ما يمكنني من الإضطلاع بمهام الخدمات الهندسية الاستشارية. وتعجبت مره أخرى إذ أن شهاداتي العلمية من جامعة الخرطوم ومؤهلاتي المهنية من جمعية المهندسين البريطانية وجمعية المهندسين الألمانية قاصرة عن أثبات مقدرتي لمزاولة مهنتي في السوق، وحتى وزارة الري حيث مارست العمل الهندسي في وظيفة مساعد مهندس وإلى أن أصبحت نائبا لوكيل الوزارة للإنشاء والتعمير غير مؤهله حسب القانون أن تثبت للسلطات المرخصة بأنه مجاز لي مزاولة مهنتي في

السوق، وكان لابد لي أن أحصل على وثيقة التأهيل كما تنص القوانين من وكيل وزارة الأشغال العامة بوصفه راعي مهنة الهندسة في البلاد، وبالفعل تم لي ذلك وذهبت لوزارة التجارة التي أصدرت الترخيص تحت قانون الشركات. وأصبحت بذلك أول مهندس استشاري في السودان يزاول مهنته في القطاع الخاص تحت ذلك الترخيص الذي أصبحت أعتز به وهو معلق فوق مقعدي في المكتب الذي فتحته تحت الاسم مرتضى أحمد ابراهيم مهندسون استشاريون ٢٨ شارع البلدية الخرطوم قرب تقاطع شارع الملك نمر - ص.ب ٦١٦٧ الخرطوم

بعض ما إضطلعت به من خدمات هندسية إستشارية وما حققته من سمعة وما جنيته من مال ١٩٧٣ - ١٩٧٦:

كان عملي في مشروع مصنع البيره في واو فاتحة خير وبدء صفحة جديدة في مسيرة حياتي العامرة بالتجارب والتغيرات وبدأ يعمل معي بعض الزملاء المهندسين والفنيين على أساس "بعض الوقت" وكاتب لكل الوقت - وكانوا خير عون وسند لي في تلك المرحلة الصعبة إن كان في جودة أدائهم وأن كان في صبرهم لعدم حصولهم على مرتباتهم في أوقاتها وكان يعمل بمكتبي المهندس حسام الدين محمد حسن بشير والمهندس أحمد ابراهيم حسني والمهندسة سعاد الدسوقي والرسيم قمر الدولة المشرف والرسيم كمال عبد الرحيم والرسيم موسى سعيد وهكذا وبفضل هؤلاء الاخيار وغيرهم ممن عملوا فيما بعد معي وبفضل المؤسسات والعملاء الذين احتاجوا لخدماتي والذين أخص منهم المهندس تاج الدين عبد الرحمن الخزين مدير مشروع مصنع بيره النيل الأبيض والأخ الصديق فتح الرحمن البشير والسيد محمد البشير الوقيع مدير مؤسسة السكر اولئك الاخيار الذين تقدموا إلى طالبين الاستفادة من خدماتي على الرغم من معرفتهم بأن هناك مسؤلين في مراكز عليا غاضبين وحاقدين عليّ لن يسرهم أن يصل إلى مسامعهم بأنني لازلت حياً أعمل وأعيش في كرامة وعزة نفس وأنه لشرف لي عظيم أن أسجل في الملاحق نص الخطاب الذي بعث به إليّ المهندس تاج الدين الخزين والمؤرخ ١٩٧٣/١١/٣ شاهد فيه على كفاءتي وأمانتي المهنية

هذا وقد اضطلعت بالخدمات الهندسية للمشاريع التالية مشروع مصنع

بيره النيل الأبيض بواو. مكاتب مؤسسة السكر في الخرطوم. مصانع شركة نسيج واد مدني. سينما الصبابي المكيفة لشركة النيل الأزرق للغزل والنسيج المحدودة وأعمال أخرى لنفس الشركة. مركز التدريب المهني بواو التابع لقسم المساعدات الألماني. مشروع مباني مكافحة أعشاب النيل "الهايسنث" لشركة الحفريات المائية والهندسية المحدودة بجبل الأولياء وبعض المنشآت لمصنع بيره النيل الأزرق في الخرطوم بحري. ومشروع مركز التدريب المهني بالقسم الألماني وقاعة كروب بمدينة الخرطوم. كما قمت بتوفير خدمات استشارية متخصصة في منازعات فنيه لكل من شركة الحفريات الألمانية ومؤسسة محمود بكر قاسم بالخرطوم. والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في الكويت ولابد لي أن أذكر بانه على الرغم من الحرب غير المعلنة التي كانت تشنها ضدي في الخفاء جهات معينة لحرماني من الحصول على الخدمات التي كان أصحابها يرغبون في إسنادها إلي، وآثروا أن يحرموني منها حماية لمصالحهم، إلا أنني وبهذا القدر القليل الذي هياه الله لي تمكنت من تحقيق دخل يفوق جملة ما حصلت عليه من مرتبي الحكومي عبر عشرين عاما في الخدمة العامة من وظيفة مساعد مهندس في مصلحة الري إلى وظيفة وزير الري.

انعزالي الكامل عن المجتمع وإبتعادي عن سماع أخبار الحكومة وما يدور في المجالس والدواوين:

في هذه الفترة توقفت عن سماع إذاعة أم درمان أو مشاهدة التلفزيون إن كان في بيتي أو في أي مكان في الخرطوم أو كان في دار العائلة في العباسية بأم درمان إحتراما لذكرى شهيدنا الشفيع أحمد الشيخ، وحماية لمشاعرنا من الاصغاء إلى أحاديث الإفك والتطبيل والكذب والنفاق التي كانت تبثها أجهزة إعلام حكومة النميري وصحافته. وروضت نفسي على الأنغماس في شئون بيتي وأهلي وعملي. وكان أصدقاؤنا المخلصين القلائل الذين كانوا يتفقدون أحوالنا بزياراتهم من حين لآخر. لا يتحدثون إلا في الشئون العائلية وما يتصل بالعمل وإحتياجات المعيشة والحياة، ولا يتعرضون لأخبار الدولة وما يدور من حولها إحتراماً لمشاعرنا وعطفاً على مأساتنا. لذلك لم تجد إستخبارات النظام وأزلامه

أى مبرر لها فى إلحاق الأذى بى أو بشقيقتى فاطمة أرملة الشهيد إلا عندما كانت مخرج للشارع للتظاهر مع النساء ضد النظام حين كانت تعتقل فى الحبس التحفظى لفترة أو أخرى.

قصة الدكتور أحمد نجيب عن النميرى:

زارنى فى بيتى الصديق الدكتور أحمد نجيب فى مساء يوم بعد أن حضر دعوة عشاء فى منزل الاستاذ أحمد عبد الحليم فى سماية ابن له وكان الأستاذ أحمد عبد الحليم مسئول ما يسمى بالفكر والتوجيه فى الإتحاد الاشتراكى بدرجة وزير دولة وحضر ذلك الحفل كبار رجال الحكومة والمجتمع وعلى رأسهم النميرى وكان الدكتور أحمد نجيب اخصائى جراحة أشتغل سابقاً فى السلاح الطبى للقوات المسلحة وتعرف بالنميرى عندما كان ضابطاً فى الخدمة فى جنوب السودان وبعد إنقلاب مايو كان أحمد نجيب محسوباً على اليسار وعندما إنقلب النميرى من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ووقعت مذبحة المماليك فى القلعة وقتلة البرامكة فى بغداد، إبتعد الدكتور أحمد نجيب من النميرى وأصحابه ومرت سنوات لم يقابل فيها النميرى حتى تلك الليلة وجاء بعدها لبيتى ليقص على القصة التالية

"يامرتضى البلد دة حتحيها مصيبة كبيرة امبارح قابلت النميرى فى بيت أحمد عبد الحليم وبعد السلام والمجاملات قال لى تطلع من هنا سوى أمشى معاك لبيتك عندك وسكى؟ قلت له ما عندى قال لى طيب أنا بجيب الوسكى وأنت جهز المزه قلت له ياريس أنا عزابى أولادى مع أهلهم. ما عندى إلا جينة كل ده علشان أتخلص من المصيبة دى، ولكنه أصر، وجانى فى البيت وجلسنا نشرب وبعد شويه قال لى يا أحمد أنت بتعرف السودان بيحتاج إلى كم من كميات الشاش واشرطة جروح العمليات؟ فقلت له لا أعلم. فذكر لى رقماً وهو منتشى ثم استطرد يحدثنى عن إحصائيات فى شتى الاحتياجات، وهو مغمور ومسرور بما يقول وفجأة قال لى يا أولاد الكلب تغشوا فى الناس أنا خريج كلية الطب وأنا خريج كلية الاقتصاد ده أنا علمكم كله شربته فى كأس، يا مرتضى والله البلد ده حتقع فيها مصيبة طالما المجنون ده عامل فيها ريس"

وبالفعل وقعت المصائب التي لايزال السودان المسكين يعاني منها.

قصر ود النميري في دنقلا:

جاءني في مكتبي ذات يوم الصديق الاستاذ عبد الكريم ميرغني الذي شغل منصب وزير التخطيط في حكومة مايو الأولى يصحبه صديقه أحمد مشجر وأخبراني بأنهما يعلمان أن المؤرخ السوداني المشهور المرحوم محمد أفندي عبد الرحيم والذي تربطني به صلة عائلية والمؤلف لعدة كتب عن تاريخ السودان، كان قد كتب في أحدى مؤلفاته عن جد جعفر النميري، وقد جاءا يطلبان مني البحث في مكتبة المؤرخ الموجودة في داره في شارع العرضة في مدينة أم درمان، والحصول على ما كتب عن جد النميري، إذ كانا يتذكران أن تعليق المؤرخ الكبير في انطباعه عن ذلك الرجل لاذع ومثير وبالفعل قمت بالبحث مستعيناً بإبن المؤرخ الزين محمد عبد الرحيم وهو إبن خالتي وأخي بالرضاعة ووجدنا الكتاب والفقرة الخاصة بذلك النميري، وقد جاء فيها أن المؤرخ قد سمع بقصر ود النميري في دنقلا، فشدّ رحاله وسافر إلى هناك ليكتب عن قصة القصر، فالتقى بذلك الرجل وعلم منه أن القصر كان ملكاً لاحد الباشوات المصريين وكان النميري يعمل حارساً فيه، ولما توفي صاحب القصر ترك القصر تحت رعاية الحارس، وهكذا صار الناس يشيرون للقصر "بقصر ود النميري" وكتب المؤرخ عن لقائه بذلك الحارس حيث جاء في الكتاب بالحرف "وجدته رجلاً تافهاً" وهكذا يشاء القدر أن يشتهر اسم ذلك الرجل التافه بسبب القصر الذي لم يكن له فيه شأن سوى أنه حارسه

وتدور الأيام والزمان وتأتي مجموعة من الضباط لم يكن من بينهم حفيد الحارس، يسابقون ساعة الصفر في شهر مايو ١٩٦٩ ليحركوا قواتهم المرابطة في خور عمر شمال مدنية أم درمان لتغزو في جنح الظلام عاصمة البلاد للإستيلاء على السلطة ولم يكن بين المتآمرين ضابط كبير يقدمونه للجيش والشعب إذا نجحت المغامرة وإذا هم هكذا في قلقهم يبحثون وينقبون، علموا أن العقيد جعفر النميري في عطلة في الخرطوم وسيجدون فيه ضالتهم، فهو معروف بولعه في الدخول في أي هرج ومرج، وهو مغامر بفطرته وليس له شرط أو مطالب أو

توجهات إلا التصدر، وليس هو مع اليمين أو اليسار أو له فكر محدد . هكذا ظنوا أنه إذا كتب لحركتهم النجاح، فبإمكانهم أن يفعلوا به ما يشاءون مستخفين به كواجهة وهكذا شاء القدر أن تؤول الصفقة إلى العقيد ودخل الخرطوم في مقدمة المتآمرين، ونجحت المغامرة وإشتهر بين الناس بوصفه الرئيس القائد، صاحب الفضل في التدبير، ومحرك الفكر في التغيير، وياليته كان كجده حارساً لمتاح، لخفّ الضرر وصغرت الكارثة، بل شاء القدر أن يجعله ثوراً هائجاً في مستودع للخزف هو هذا السودان المفترى عليه.

الإتحاد الاشتراكي للنهب والسلب:

إنتشرت أجهزة التنظيم السياسي المسمى بالإتحاد الاشتراكي في كل دواوين الحكومة والوزارات وفي المدن والأحياء وأصبح لكل حي في المدينة لجنة شعبية مسئولة عن بيع المواد الغذائية والتموينية لأهالي الحي وكان أعضاء لجان الأحياء من الإتحاد الاشتراكي أي أولئك الانتهازيون والطبلاون من أصحاب المنافع الذين يهرولون للركوب في شاحنات السلطة بهدف الحصول على المغانم والاسلاب. ويمكن للمرء أن يتصور مدى إستغلال السلطة وتفشي الفساد والعبث بحقوق الناس ومصالحهم وما يتبع ذلك من ظلم للكثيرين من المواطنين الذين لا يقبلون أن تجرح كرامتهم أو ينكسون رؤوسهم لهؤلاء الطفيليين. وأذكر في إحدى المرات حيث عدت لبيتي بعد العمل في يوم شديد الحر وقابلتني زوجتي محتجة بأني لا اساعدها في الحصول على إحتياجات البيت من المواد الضرورية التي لا يمكن الحصول عليها إلا من لجان الإتحاد الاشتراكي وقالت بأنها ذهبت ذلك الصباح لإستلام حصتها من القمح وأخبرها المسئول بانها تستحق نصف شوال وعليها أن تحضر جارها لأخذ شوال كامل إذ أن حصة كل بيت هي نصف شوال. فخرجت دون أي شئ في إنتظار عودتي للذهاب للجار. فتعجبت لهذه الشروط الغريبة. وذهبت فورا لمكتب اللجنة الشعبية. وهناك وفي المدخل وجدت ازدحاما من مواطني الحي يقفون في ذلك الحر الشديد في أنتظار الدخول لأخذ حصصهم. فزادني ذلك عجباً وغضباً ووجدت بين الواقفين الدكتورة السيدة نعمات زوجة صديقي وزميل دراستي المرحوم الدكتور الهادي الزين النحاس فسلمت عليها

وعلمت منها أنها عادت من العمل إلى البيت. وعلمت أنه لابد لها من الحضور شخصيا للحصول على نصيبها. فزادني ذلك غضبا ودون تردد إقتحمت الباب ودخلت إلى القاعة المكيفة التي كان يجلس بداخلها السادة الكرام أعضاء لجنة الإتحاد الاشتراكي المسئولون من تلك المهمات. وبصوتي العالي قلت لهم، "طبعا أنتم الاسياد وأصحاب السلطة فتأخذون ما تريدون وتوزعون لمن تريدون، وبقية البشر المساكين يقفون في الحر ويطلب منهم إحضار الجار لأخذ نصف شوال. طيب مادام الكمية المقررة للبيت هي نصف شوال فلماذا لم توزعوا الكميات على قدر الحصص ليأخذ كل مواطن حصته ويذهب دون الإساءة إليهم ودون خلق المصاعب أمامهم".

وكما هي إخلاقيات هذا النوع من الناس، لاذوا بالصمت وبدأ بعضهم يتحدث في همس يتساءلون عن شخصية هذا الذي تجرأ وإقتحم معقلهم، وكشف عورتهم في جلوسهم المترف في القاعة المكيفة بينما المواطنون أصحاب الحق يعانون من الانتظار تحت أشعة الشمس بعد منتصف النهار. وفجأة وقف واحد منهم وهرول نحوي معتذراً، وموافقاً على تقدي لإجراءاتهم وأمر عامل نقل الشوالات بأخذ شوال كامل لعربتي بالخارج وسمح بصرف شوال لكل منزل كما أمر بفتح الباب على مصراعيه ودخل كثيرون إلى القاعة. فدفعت قيمة الشوال وخرجت وعند لقائي مرة أخرى بالأخت الدكتورة نعمات قالت لي شاكره على ما تمخض منه إقتحام معقل سادة الإتحاد الاشتراكي ومعجبة بجرأتي في مخاطبتهم قائله. " والله يا مرتضى أنتو البتعرفوا ليهم لأنكم يتاعين سجون وما يتخافوا منهم زينا" فرديت عليها مستغرباً" والله يا نعمات أنا بالذات ما دخلت السجون زي فاطمة أحمد ولكن هؤلاء الجبناء ما ينفع معهم إلا العنف والتحدي"

كنت أعلم بأن مخابرات النظام تراقبني في حلي وترحالي ولكنني لم أكن أمارس أي نشاط سياسي. أنني أصلا لا أعرف العمل في الظلام. ولست من المغرمين بالعمل أو النشاط السياسي. وإذا كان لي موقف من أي قضية عامة، فانني لا أتردد في إشهار موقفي لا يهمني إن كان يغضب زيداً أو يسر عمراً وأذكر أنني كنت اتردد على بائع "أناتيك" في عمارة أبو العلا الجديدة بالخرطوم. وفي أواخر أيامي في الخرطوم قبل هجرتي إلي الكويت، ذهبت اليه لشراء هدية

لأحد الاصدقاء الأجانب، وعندما أخبرته بأني سأترك البلد، لم يرضه ذلك وقال أنه يعرف الكثيرين من أفراد الاستخبارات السورية. وقد حدثوه بأنه وصلتهم تعليمات بمراقبتي وتجريمي بأية ذريعة كانت، بغرض القاء القبض عليّ. ولكنهم لم يفعلوا لأنهم يعلمون بأنني لا أقوم بأي نشاط سياسي لا مع النظام ولا ضد النظام. إضافة إلى أنهم يعلمون بأني كنت وزيراً سمعته طيبة، أدى خدمة ممتازة لبلده، يعرفها الناس جميعاً ولهذا لم يقدموا للنميري ومن معه ما يطلبون. وهكذا حماني الله من خبث النظام وحقده.

لجان الإتحاد الاشتراكي في الوزارات والمؤسسات الحكومية:

انتشرت لجان الإتحاد الاشتراكي في الوزارات والمؤسسات الحكومية وبالطبع تكونت من المطبلين والانتهازيين وذوي الأغراض والمصالح. فعضو لجنة الإتحاد الاشتراكي كان الآمر الناهي في كل شئ. وكان يخشاه ويخاف منه كل العاملين حتى أولئك الموظفين الذين هم في مرتبة أعلى منه في السلم الوظيفي. وكانت هذه اللجان تمارس إجتماعاتها في المكاتب الحكومية وأثناء ساعات العمل، ولا يجوز رئيس المكتب أو المدير أو الوكيل أن يتدخل فيما يقومون به من توجيهات وإجتماعات للعاملين في المرفق الحكومي. وعلى الرغم من أن هذه اللجان كانت تنتخب من العاملين في المرفق الحكومي إلا أن الغالبية منهم كانوا يبتعدون عن إنتخاباتها أو الحضور إلى إجتماعاتها كراهة في النظام الشمولي باكلمه. ولهذا كان أعضاؤها المتحمسون هم فئة الانتهازيون وأصحاب التطلع للسلطة وإستغلالها وأذكر بعض القصص التي سمعتها أو شاهدت فصولها أثناء عملي كمهندس إستشاري، أروي منها ما يلي:

لجنة الإتحاد الإشتراكي في مؤسسة السكر:

كنت قد اضطلعت بالتصميم والأشراف على بناء مكتب مؤسسة السكر في الخرطوم. وكنت من حين لآخر أذهب للإجتماع بالمسئولين في المؤسسة لمناقشة بعض الأمور التي تخص سير العمل بوصفهم أصحاب العمل. وكنت في

بعض الأحيان لا أجدهم في مكاتبهم لأنهم مشغولون في إجتماع للجنة الإتحاد الاشتراكي في المؤسسة وكان ذلك في بعض الاحيان يسبب تأخيراً في تنفيذ العمل نسبة لعدم صدور قرار صاحب العمل في أمر ما يستلزم قراراً منه. وكان ذلك التأخير يؤدي حسب شروط العقد إلى تعويض للمقاول للأضرار التي تقع عليه من صرف أجور لعمال غير منتجين بسبب الإنتظار لامر بدء عمل جديد أو مواصلة عمل توقف. وفي ذات مره كهذه تحدثت لأحد المسئولين قائلا أن هذا إستهتار وعدم مسئولية وإهدار للمال العام إذ أن وقت أولئك الموظفين الذين يقضونه في أمور الإتحاد الاشتراكي أثناء ساعات العمل يدفع تكاليفه جميع الموظفين من كان منهم مع النظام ومن كان ضده. وإذا كانوا حقا مخلصين للحكومة وحزبها فلماذا لا يعقدون إجتماعات الحزب بعد ساعات العمل حين يكون الوقت ملكاً لهم وبذلك يثبتون للناس بأنهم مخلصون للنظام والحزب. فضحك قائلا "يا أخ مرتضى. أنت عارف الجماعة بتاعين الإتحاد الإشتراكي هم منو. والله ديل لو لقوا ياكلوا الحكومة وحزبها ما يترددوا لحظة"

لجنة الإتحاد الإشتراكي في وزارة الري بمدني:

كونت لجنة للإتحاد الإشتراكي بوزارة الرى بمدني. وفي ذات يوم علمت بأن الملاحظ البنا عضواً فيها فإستغربت من ذلك لأن الصديق الملاحظ البنا وهو إبن الشيخ عبد الله البنا الأستاذ المشهور في التعليم والذي درسني اللغة العربية في المرحلة الثانوية عمل معي كثيرا في مجال البناء والتشييد في الوزارة وكنت أعرف فيه الخير والاخلاقيات الحميدة ولهذا فلما قابلته عتبت عليه إشتراكه مع تلك الفئة الضالة فضحك وقال لي " أنا لست منهم. ولكني دخلت اللجنة أولاً لأبعد شرهم عني وثانياً ليخشاني ويخاف مني الحاقدون والواشون. فأنا اليوم أغدو وأروح ولا يجرؤ أحد من رؤسائي ان يفعل بي شيئاً. فمثلاً إذا تأخرت من العمل لامر طارئ، أو ذهبت لقضاء حاجة. وسالوا عني تأتي إليهم الاجابة بأني في الإتحاد الاشتراكي فهل تصدق لا يجرؤ رئيس أن يستجوبني أو يسالني عن غيابي. دعك من أن يجرأ على عقابي أو إلحاق ضرر بي "وإنفجر ضاحكاً وهو يعلم أني أبغض هذه الأخلاقيات. فواصل حديثه" يامرتضى. البلد

اتغيرت مش زى زمان. والمساكين فيها الأمور أولاد حرام. والواحد علشان يأمن شرهم ويقدر يطعم أولاده لازم يبعد شرهم بأساليبهم وأسلحتهم. إلى أن تأخذ حقوقنا ونمشي المعاش". وحدثني الصديق والزميل المهندس صغيرون الزين وقد كان وزيراً للرى بأنه عندما تقرر أن يرُشح النميرى ليصبح رئيساً للدولة طُلب من لجان الإتحاد الاشتراكي إجراء التصويت السرى بين قوى الشعب العاملة كما كانوا يسمونها وأن تؤيد ترشيحه لرئاسة الجمهورية. وبالفعل أجرى التصويت سراً في الوزارة وجاءت النتيجة "لا" أغلبية. فرفع صغيرون نتيجة التصويت للسيد بدر الدين سليمان أمين عام الإتحاد الاشتراكي ولكن بدر الدين سليمان رفض هذه النتيجة وطلب من صغيرون إعادة التصويت مرة أخرى وأن يكون التصويت علناً برفع الأيدى. وبالفعل قام صغيرون بتوجيه المسئولين في الإتحاد الاشتراكي في الوزارة باعادة التصويت. ومرة أخرى جاءت النتيجة بالأغلبية "لا". فما كان من صغيرون سوى إخطار أمانة الإتحاد بالحقيقة المرة مؤكدا أن إجراءات التصويت كانت علنيه وقانونية ومرة أخرى لم يقبل الأمين العام للإتحاد الاشتراكي هذه النتيجة. وقفل الخط غاضباً وفي اليوم التالي جاء إعلان أمانة الإتحاد الاشتراكي في الاذاعة أن جماهير قوى الشعب العاملة في وزارة الرى أيدت بالاجماع ترشيح الرئيس القائد لرئاسة الجمهورية.

المهندس معاويه صديق الشيخ وغضبه عليّ:

تعرفت على معاوية صديق الشيخ في لندن أثناء بعثتي هناك في أوائل الخمسينات – وتعرفت على زوجته الألمانية وكانت تربط بينه وبيني صداقة وود وكذلك بين زوجتينا الأجنبيتين – وكنت أعلم ما وقع من خلاف بينه وبين زوجته الأمر الذى دعاها لأخذ أبنائها والهروب بهم من الخرطوم إلى ألمانيا. وكنت أعلم بأن الطلاق قد وقع بينهما. وعندما كنت وزيراً جاءني الصديق معاوية في منزلي يطلب مني التوسط لدى المسئولين في توزيع شقق للسكن الحكومي للموظفين المستحقين. وعلمت منه أن لابد أن يكون الموظف متزوجاً ولهذا فهو يطلبني أن اؤيد إدعاءه بأنه متزوج من أجنبية موجودة في ذلك الوقت في بلدها ألمانيا خاصة وأن أحدا لا يعلم بما وقع من طلاق بينهما. فتعجبت لما كان يظنه

بي. وقلت له أمام زوجتي بأني لا أستطيع أن أساعده في ذلك لأني أعلم بأنه لا يستحق الحصول على شقة لأن الشروط لا تنطبق عليه. فغضب يومذاك مني وخرج. ومن يومها لم ألتق به. وجاء يوم بعد أن تركت الوزارة لسنوات أن ذهبت للإدارة المركزية في الخرطوم لتسديد ما عليّ من فاتورة الماء والنور لمنزلي ولمكتبي. وهناك وقفت مع الواقفين أمام شباك مكتب دفع إستحقاق فواتير الإدارة المركزية للمياه والنور. وعندما جاء دوري رأيت المهندس معاوية صديق الشيخ يجلس بالداخل مع العاملين في ذلك المكتب بوصفه أما صديق لواحد منهم أو بوصفه شخصية ذات مكانة وأولئك الموظفون يعرفونه. فسمحوا له أن يجلس بينهم حتى تتم معاملته دون تعرضه للوقوف في الصف كما هو الحال بالنسبة للمواطن مجهول الهوية والمكانة. وبكل حسن نية وبكل صدق ومشاعر حقيقية هتفت بأعلى صوتي في إبتسام وسرور لرؤيته قائلا "إزيك يا معاوية". وكم صدمت وفوجئت برده بصوت سمعه جميع الحاضرين. "دلوقت عرفتني؟؟. ولما كنت وزير تغابيت فيني العرفه ونسيتني". وكان رده بمثابة طعنة خنجر في صدري. خاصة وقد توجهت أنظار الواقفين والجالسين إلى لترى ذلك الشخص الذي كان وزيراً وتغابى المعرفة في أصدقائه أيام العز حسب المفهوم العام. فما كان مني سوى أن تلفت يمنه ويسرة وأنا أنظر في الوجوه والعيون التي تحدق فيّ. وقلت له في تحدي قوي وثقة مفرطة قائلا "اتحداك أن تقول لهؤلاء الناس ماذا فعلته بك أيام كنت وزيرا. فأنا واثق من نفسي وواثق مما فعلته لك يومذاك ولكني لا أذكره. ولكني واثق بأنه سيشرفني. فقله أنت لهؤلاء الحاضرين ولاصدقائك. الذين أجلسوك معهم بالداخل تكريما لك. ولكنه صمت. وظللت أكرر طلبي له متحدياً وهو صامت. والناس تنظر الينا. فقلت له وللحاضرين. سأذهب فورا لبيتي لاعرف الحقيقة وما وقع بيني وبينك وأعود فوراً فلا تتحرك من مكانك حتى أعود. وخرجت مسرعا نحو سيارتي وذهبت لبيتي. وهناك التقيت بزوجتي وقصصت عليها القصة لاني كنت أعلم أنها تعرف كل شئ عني وعن علاقاتي مع أصدقائي ومعارفي، وسألتها، فزودتني بما حدث بيني وبين معاوية. صديق الشيخ إذ كانت تلك آخر مرة دخل فيها بيتي وخرج منه غاضباً. وهرولت عائداً فوراً إلى مكتب الإدارة المركزية. ووجدت بعض الناس لازالوا موجودين. ولكن كان السيد معاوية قد هرب. فحدثت أصدقاءه الجالسين في المكتب

والمواطنين الذين لازالوا ينتظرون دورهم لسداد فواتيرهم بالقصة كاملة. هكذا هو حال بعض الناس عندما يظنون أنك لم تعد ذا منفعة أو مصلحة لهم.

إنهاء عقدى مع شركة بيرة النيل الأبيض:

فجأة ونحن فى قمة تنفيذ الأعمال المرتبطة بفابريقة بيرة النيل الأبيض بواو تقرر إنهاء عقدى للاضطلاع بالخدمات الهندسية الاستشارية دون أخذ المصلحة العامة فى الحساب. بل كانت الدوافع كما كانت دائما من الحاقدين وأصحاب المصالح الذين جاء بهم نظام النميرى، فأمر السيد وزير الصناعة بدر الدين سليمان الذى كان أميناً للاتحاد الاشتراكى بإنهاء عقدى والتحقيق معى بالنسبة للمشروع ومن بين المسائل التى يشملها التحقيق موضوع التعاقد وكيف حصلت عليه وهنا اترك للقارئ أن يتصفح الوثائق التى ارتبطت بهذا الموضوع ليقف بنفسه بمدى الاستهتار وعدم المسئولية التى كان يتصف بها بعض وزراء النميرى وسدنته. كذلك ألفت نظر القارئ إلى مدى العبث بالقرارات التى كانت تصدر من النميرى نفسه. إذ سيجد القارئ أن المهندس مزمل عبد الرسول الذى جاء عنه الكثير فى هذا الكتاب أصبح بأمر حكّام نظام النميرى مديراً للشئون الهندسية فى إدارة التنفيذ والمتابعة بوزارة الصناعة. وعين رئيساً للجنة إستلام الأعمال من مكتبى. كما ألفت نظر القارئ بأن الذين كانوا من وراء إبعادى عن العمل سعياً وراء إلحاق الأذى بى خابت آمالهم عندما جاءتهم الحقائق البينة تثبت أمانتى المهنية وخدماتى المميزة. ولم يجدوا ثغرة واحدة لينفذوا منها لتلطيخ سمعتى وشرفى. فدفعهم حقدهم الأسود إلى حرمانى من حقوقى المشروعة التى كفلها عقدى الموقع بينى وبين المؤسسة. وأوعزوا للمسئولين بعدم دفع ما تبقى لى من أتعاب وهكذا ظللت أطالب بحقى إلى أن أبعد المدعو بدر الدين سليمان وجاء بعده الزميل المهندس بشير عبادى الذى تكرم وأمر بصرف استحقاقى بعد مضى أكثر من عام كما تشهد بذلك المكاتبات المنشورة فى هذا الكتاب.

إنهاء أعمالي في السودان والهجرة إلى الكويت

في أوائل عام ١٩٧٦، وصلتني رسالة من السيد/ عبد اللطيف يوسف الحمد مدير عام الصندوق الكويتي للتنمية العربية يطلب إلى الإضطلاع بمهمة إستشارية لمشروع ري وادي أبين في اليمن الجنوبي. فسافرت إلى الكويت ومن ثم إلى عدن وبعد أداء مهمتي عدت إلى الكويت حيث قضيت بضعة أيام في مقر الصندوق لكي أقدم تقريري عن المهمة التي أوكلت إليّ وأثناء ذلك عرض على السيد عبد اللطيف أن أعمل في مؤسسته مستشاراً هندسياً للسدود والري ووعدته أن أفكر في الموضوع بعد أن أستلم عرضه وبعد أن أشاور زوجتي. وبعد فترة من عودتي للخرطوم إستلمت العرض وقررت إنهاء أعمالي في السودان وقفل مكتبي في الخرطوم والهجرة إلى الكويت ورحلت إلى هناك في الثالث من سبتمبر ١٩٧٦ وفي الكويت بدأت حلقة جديدة من حياتي وجهدي ستكون موضوع كتابي المقبل إن شاء الله وهنا في الختام أود أن أذكر بأن النميري لم يعد يهتم بأخباري ونشاطي إلى أن جاء يوم بعد عام من هجرتي حيثما كان النميري مدعواً في نادي الإداريين بالخرطوم وكانت الميكروفونات تلعلع بفضائله وعبقريته وإنجازاته. وكانت شقيقتي المناضلة "فاطمة" معتقلة في منزل بجوار النادي تحت ذمة التحقيق معها. فما كان منها إلا أن وقفت على طربيزة بقرب الحائط وأطلت على الحفل وتحدثت إليهم مهاجمة النميري وتنابلته، فهرول رجال المباحث والشرطة وأنزلوها بالقوة، وألقوا بها في غرفة وأقفلوا عليها الباب. وفي اليوم التالي تحدث النميري مع المهندس يحيى عبد المجيد وزير الري — كما روى لي "يحيى" - قائلا له "كلم صاحبك مرتضى يمسك أخته مني". فرد يحيى مستغربا "ياريس ده مرتضى ترك البلد ليهو سنة" إلا لعن الله النميري، ولعن اليوم الذي قدر له أن يتربع على رأس الحكم في السودان.

الملاحق

المقالة الأولى

حتنهار بيارة السوكي الأولى والثانية – وتبقى الحقيقة فهي أجدى وأنفع لشعبنا

لقد إطلعت على المقال (حتى لا تنهار بيارة السوكى الثانية) بقلم السيد حمد على بقادى بعدد الأيام الصادر بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٩٧١ ولكم سررت جانب أخر وبعد تفكير إستقر رأىّ أن أكتب ما جال بخاطري وأنا أقرا المقال. قد يكون ذلك في مقالة واحدة أو عدة مقالات وقد يكون متصلاً بموضوع البيارة و لم يكن وأن كان صادرا من تدريبي كمهندس أو تركيبي النفسي والإخلاقي. أمل أن يتسع صدركم وتفسحوا مجالا لما اكتب..

وكما يبدو مما كتب السيد أحمد على بقادي بان سيادته صحفي يسعى لى الحقيقة ويجرى ورائها ويبحث منها حتى توفرت لديه من أمر بيارة السوكي ؛ يقول سيادته:

"والآن دعونا نستعرض حقاً ما جاء في بيان السيد الوزير لنر كيف ختلف مع الحقائق التي توفرت لدينا."

ومن أجل الحقيقة التي ظل يبحث عنها كل أمين ومخلص في هذا البلد بدأ بتسجيل سروري لأن اقرأ نقدا علىّ كوزير في الحكومة وكم تمنيت أن أقرأ ل يوم نقداً لما يستحق النقد في أقوال وأفعال الدولة والمسئولين ابتداءً من لأخ الرئيس وأنت نازل على أن يكون في أسلوب ومنهج يختلف عن الذي نتهجه السيد أحمد على بقادي. فكم من الإنجازات والأعمال والقرارات تحققت كم من بيانات وخطابات وأقوال صدرت منذ فجر الخامس والعشرين من مايو ما أثر ويؤثر على حياة الكثيرين من الناس ولا أظن أنها خالية من النواقص العيوب وكم صدرت عنها من بيانات ولم يسعدني الحظ أن أقرا الجملة التي سررت لها وهي (دعونا نستعرض ما جاء في بيان السيد الوزير (أو السيد رئيس) أو (الحكومة) لنر كيف يختلف مع الحقائق التي توفرت لدينا).

وحسب إعتقادى فأن الصحافة والصحفيين يبحثون دائما من الحقائق حتى

ولو كانت يسيره دمله من أن يسعدهم الحظ حتى تتوفر لديهم. وكم وددت فى هذا العهد الثورى أن اقرأ ما قلّ من الاشادة والتطبيل للأشخاص والأفعال وكم تمنيت أن استمتع كل صباح بما يكتب فى الصحف من نقد بان وقولة الحق فى شجاعة وإقدام حتى لو اصابت من قريب أو بعيد ذوى المراكز والسلطة. فالسلطة تفسد: بهذا فقط يشعر القارئ بأن تأميم الصحافة قد أحدث تغييراً وجاء بفجر جديد وبأن الصحف المؤممة لم تصبح صحفاً للحكومة والحاكمين بل الصحافة للشعب ومن أجل الشعب والحقيقة وكما ذكرت لم يسعدنى الحظ أن اقرأ مقاله واحدة كتبت عن بيان أو خطاب أدلى به مسئول فى الدولة تتناوله بنقد أو تصحيح اللهم إلا ما كان يصدر من المسئول نفسه.

لقد كنت فى الماضى أرى بأن زيداً وهو شخص كسائر الناس فى فئته إن كان مثقفاً أو عاملاً أو مزارعاً أو تاجراً أو ضابط يصبح عبقرى زمانه عندما يحتل مركزاً فى السلطة ويصبح كل ما يقوله أو يفعله معجزة أو أمر لم يفطن له أحد من قبل وكم كنت اتساءل اللهم هل المراكز تخلق الرجال؟ وتفتق فيهم العبقريات؟

وعندما أراد الله لى أن أصبح وزيراً لم أجد ذلك ولم أشعر بهذا التغيير لا فى تركيبى العقلى ولا الجسمانى ووجدت نفسى والله على ما أقول شهيد كما كنت.... أخطئ وأصيب أثور واغضب واضحك وأفرح وملابسى لم تضيق علىّ إذ ظل ما تحتها كما كان لم يتغير أو يتبدل ولم يزيد ولم ينتفخ لأن المهندس قد صار وزيراً.

وأذكر فى أول اجتماع لى كوزير فى مجلس مديرية النيل الأزرق أن وجدت نفسى بين الكثيرين من زملائى وأساتذتى وبدأت أسمع كلاماً كالذى سمعته وأنا فى حضرة وزير فى العهود البائدة. سمعت بأن سيادتى سيوجه المجلس ويصحح الاخطاء وينطق بما خفى على الآخرين من الآراء الصائبة وسينظر لى الجميع للعون والإنقاذ كل ما يختلط الأمر وذلك بما تجود به عبقريتى. سألت نفسى وقتها هل أصبحت شخصاً آخر ينصح فيتسمع الجميع ينطق بالآراء الحكيمة الصائبة يحل العقد والمشاكل عندما يفشل الجميع. وكان من بينهم كما ذكرت من كان فى الماضى يجادلنى ولا يقبل كل ما أقول وكان من

بينهم من علمني وكان أستاذي اللهم هذا إفتراء على نفسي قبل أن يكون على الآخرين فأنا واحد منهم. فلماذا أقبل لنفسي ما ليس لي. وأحمد الله أن تحدثت وقتها وقلت لهم في امانة وصدق جئت اليكم كواحد منكم ليس لي حق أكثر من غيري ورئيس المجلس بوجودي لا زال هو السيد المحافظ.

وعندما أدلي برأي فهو ليس منزلاً، أصيب وأخطئ كسائر الاعضاء أقول كلاماً فارغاً أو مليئاً لمن أراد أن يأخذ برأي إذا وافق عليه ولمن أراد أن يفنده أن لم يوافق عليه. وحكاية الوزير بتاعة زمان دي أحسن تسميها حمدت الله ولازلت أحمده على ذلك فراحة ضميري أولى عندي قبل إراحة ضمائر الآخرين.

وسرني أيضا في مقالة السيد بقادي ذلك الـ (شيئا ما) الذي آمل ألا يكون وقفا على شخصي الضعيف - والذي أثار اهتمامه بالمعلومات التي وردت ودفعه دفعاً للبحث وتجميع المزيد من المعلومات حول ما اسماه حقيقة ما جرى في السوكي).

ذلك الـ (شيئا ما) الذي لم يعرِّفه السيد أحمد بقادي للقراء ولم يكن في ذلك صريحاً وواضحاً كما ذكر في صدر مقاله - ذلك الـ (شيئا ما) هو ما يطلبه شعبنا في جميع الصحفيين أو المهتمين بالمسائل العامة في هذا العهد حتى يحركهم ويثير اهتمامهم بالمعلومات المتصلة بكل أمر يصدر من المسئولين لكي يصلوا إلى الجانب الآخر من الموضوع أن كان هنالك جانباً آخر لم يكشف لقرائهم خاصة في ما هو أكبر وأهم من بيارة السوكي. وسرني أيضا أن السيد أحمد على بقادي قد أكد أن ما شجعه على الكشف عن المعلومات التي إستقاها حول ما أسماه حقيقة ما جرى في السوكي أمران كلاهما هام وواجب وطني في إعتقادي فأولهما وهو (السكوت على الخطأ ومحاولة مداراته في المسائل المتصلة بالمصالح الوطنية مسألة لا تجوز) خاصة في هذا العهد وفي هذه المرحلة منه بالذات حين لا توجد رقابة شعبيه لها الصلاحيات الدستورية لممارسة ذلك الحق وحين لم يقم تنظيم سياسي قادر على الرقابة والمتابعة وحين لم يصدر الميثاق بعد وحين لا يزال الكثيرون من الناس يخشون توجيه النقد علانيه لكي لا يدفعوا بانهم ثورة مضادة فيصيبهم الأذى.

(فقد يؤدي) كما قال السيد أحمد بقادي (هذا السكوت في المستقبل إلى

تكرار الخطأ الأمر الذي يكبدنا خسائر فادحة سواء بحساب الزمن أو التكاليف)

وأما ثانيهما وهو (أن السيد مرتضى قد عرف صريحاً وواضحاً في معالجة المسائل الوطنية ولا أظنه قط إلا مرحباً بصراحتنا ووضوحنا في معالجة واحدة من المسائل التي تهم وزارته في المكان الأول)، فهذه الصفات التي تكرم السيد بقادي ونعتني بها مشكوراً غير واردة ولا يقبل أن تكون سبباً أو دافعاً لتشجيعه أو غيره من الصحفيين أو غير الصحفيين لتوجيه النقد يجب أن يصدر النقد البناء ضد أي مسئول مهما كان مركزه ومهما كانت صفاته الشخصية. إن كان صريحاً وواضحاً وإن كان غامضاً متعسفاً إن كان مرحباً بصراحتكم ووضوحكم في معالجة الأمور العامة وإن كان سينزل عليكم غضبه أو عقابه بمالة من حماية وسلطان.

وفي رأيّ أن الشخص الذي لا يرحب بالنقد الخالي من الإثارة أو الإساءة ومن هو غير صريح وواضح أي غير أمين وصادق وشجاع في المسائل الوطنية أو في معاملات الناس عليه أن لا يتصدى لقيادة الناس وقيادة الناس يا سيد بقادي تنطبق على من في السلطة أو من يكتب في المسائل العامة أو من يحتل مركزاً في نقابة أو هيئة أو يتصدى لتوعية الجماهير وقيادتها فذلك ليس من شيم القادة فشيمة القيادة هي رحابة الصدر وعدم الانفعال والتشنج وإحترام أراء الغير ومناقشتها في موضوعية هادفة والتواضع والاعتراف بالخطأ وإصلاحه فلا تجعل ذلك سبباً لتشجيعك على النقد أو عدمه وليكن شعارك وشعار غيرك النقد البناء. النقد البناء. وكثرة النقد لا تضر وقلته ضارة. وكثرة الثناء مضرة وقلته لا تضر فمن قبل منكم في رحابة صدر نقدكم البناء في صراحة ووضوح في معالجة المسائل العامة فهذا واجبه وما يقتضيه مركزه ومن لم يقبل فليتنحى أو فليذهب إلى الجحيم لأن تلك المسائل ليست هي ملك خاص أو ورثة عائلية لأحد بل هي أمر هذا البلد وأمر أهله الطيبين وما نحن جميعاً إلا زائلون وسيبقى العمل الصالح والمقالة الصادقة للأجيال القادمة أمانة في عنق التاريخ وثق يا سيد بقادي بأنها لو كانت دائمة لأحد لما كنا نحن فيها اليوم.

مرتضى أحمد إبراهيم

وزير الري والقوى الكهربائية المائية

نشرت في جريدة "الأيام" الجمعة ٢٦ فبراير ١٩٧١

المقالة الثانية

لتنهار بيارة السوكي الأولى والثانية وتبقى الحقيقة فهي أجدى وأنفع لشعبنا.

اتابع حديثي اليوم عن الجانب المؤسف من مقال السيد بقادي وهو ليس قليل. فابدأ أولا لا بلومه وحده بل اعاتب الأخوة المسئولين عن جريدة الأيام لتغاضيهم عن التجريح الذي جاء في المقال فحذف ما يسئ ويجرح ولا ينفع الناس ولا يكشف حقيقة واجب الجريدة المؤممة.فالسيد بقادي قد أعطى القارئ عن قصد أو دون قصد ما يوحي له بأننا لم نسكت على الخطأ فحسب في المسائل المتصلة بالمصلحة العامة بل حاولنا مداراته. فالخطأ ليس عيباً وكشفه ليس جنحة ولكن العيب كل العيب هو السكوت عليه دعك من مداراته فذلك يصبح تضليلاً وخيانة يلزم إنزال أشد العقاب ومثل هذا القول والإتهام لا يليق أن يلقى بغير حساب ويسطر في الجرائد في أسلوب من الإثارة والتجني والطعن

ثانياً. وعلى الرغم من أن السيد بقادي قد ذكر بأنه بحث وتقصي المزيد من المعلومات حتى توفرت لديه الحقائق لم يكن منصفاً لشخصي ولا للمسئولين في الوزارة. فهو لم يكلف نفسه يسير العناء من أن يتحقق فيما أسماه بالبيان الصحفي إذ لكم يصدر بيان صحفي عن الموضوع فكل ما في الأمر وكل ما كتب في الأيام هو ملخص إجابات تلفونية على أسئلة معينة صاغها محرر الأيام في كلماته وأسلوبه ولو تحقق السيد بقادي من ذلك لما أشار في عدة مواقع من مقالة عن ما اسماه بالبيان ولما كتب (أن السيد الوزير لم يذكر في بيانه الصحفي السبب الفني الاساسي الذي أدى إلى إنهيار البيارة).

ولو كان السيد بقادي دقيقاً في تقصي الحقائق لكان من المنطق عندما تقمصه ذلك الـ (شيئا ما) وأثار اهتمامه بالمعلومات التي وردت أن يبدأ بالإتصال بي بالتليفون فقط دون أن يكلف نفسه عناءً لكي يتحقق من صحة ما ورد فيها وتفاصيلها وتفاصيل أخرى أن وجدت وكان ذلك بالطبع سيساعده أكثر

ويسهل مهمته في البحث (عن الجانب الآخر من الموضوع).

ثالثاً: وبإفتراض أن دافع السيد بقادي هو الحقيقة والمصلحة العامة فمن المنطقي أيضا أن يتصل بي للتعرف على وجهة نظري فيما إستقاه من معلومات خطيرة حول ما أسماه ما جرى في السوكي قبل أن يستقر رأيه لكشفها كحقيقة ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وقبل أن يصل إلى قراره بأن هناك خطأ في المسائل المتصلة بالمصالح الوطنية تجرى محاولة منا لمداراته.

أما فكر السيد بقادي وهو ليس مهندساً ولا خبيراً بشئون الري كما ذكر بالإضافة إلى أنه مدفوعاً (دفعاً للبحث وتجميع المزيد من المعلومات حول حقيقة ما جرى في السوكي). أما خطر له لحظة بأن هذا المرتضى الذي(قد عرف صريحاً وواضحاً) قد يكون لديه معلومات أخرى ربما تدحض أو تزعزع تلك التي إستقاها من الآخرين أو تكون تافهة وغير مقنعة تؤكد اكتشافاته وتزيد مقاله دعما وقوة؟ أما خطر له بأن هذا (المرتضى الصريح الواضح) ربما تم تضليله فنطق بما أوحى اليه من أولئك الذين أرتكبوا الأخطاء الفنية التي لا تغتفر) وهو بعد لا علم له عما (أجمع عليه كل المهندسين) وحتى أولئك (الذين اشرفوا على عمليات حفر البيارة) ولا يعلم عن المعلومات والحقائق الوفيرة التي تحصل عليها السيد بقادي فاقنعته ودفعته لهذا الحد فيقنع هذا (المرتضى الصريح الواضح) أيضا ويعلن الحقائق التي كانت غائبة عنه ويصحح أخطاءه ومعلوماته وينزل العقاب على مرتكبيها ومحاولي مداراتها. وهذا بالطبع ما يهدف اليه السيد بقادي إذ أنه قال (السكوت على الخطأ ومحاولة مداراته في المسائل المتصلة بالمصالح الوطنية مسألة لا تجوز).

وكما يبدو أيضا مما كتب تحت عنوان (كان إنهيار البيارة محتما) بأن كل المهندسين الذين سألهم وحتى الذين اشرفوا على عمليات حفر البيارة كانوا يعلمون سلفا بأن إنهيار البيارة أمر محتما طالما لم تستعمل الستاير الحديدية ولم تغيب عنهم هذه الحقيقة الأولية، كتب السيد بقادي (يقول المهندسون أنه كان يجب منذ حفر تلك البيارة الكبيرة في وقت فيضان النهر وعلى مسافة لا تبعد

عنه سوى ١٠٠ متراً أن تقام حواجز من الحديد) أما يوحي هذا بأنني شخصيا أو المسئولين في الوزارة هم الذين أصروا على عدم استعمال الستائر الحديدية، الا يعني هذا تجريح واساءة لأولئك المهندسين وإتهامهم بالعمل على تخريب اقتصاديات البلاد مع سبق الاصرار إذ هم قد سكتوا عن القرارات الخاطئة حتى قبل بدء العمل أما عن رهبة أو خوف وأما عن المبالاة إذ أن صاحب الزبده قد قال اشوها أن سخنت أنا صاحب الزبدة أو المسئولون الفنيون في الوزارة.

واسوأ من ذلك وما هو أشد وأعظم الاساءة البالغة للمهندسين الذين اشرفوا على العمل فهم كما كتب السيد بقادي (لم تغيب عنهم هذه الحقيقة الأولية) فصورهم بأنهم نوع من الموظفين يشرفون على تنفيذ عمل كبير يرتبط بمواعيد محددة وهم يعلمون سلفاً بانه خاسر وليس بذي فائدة وعلى الرغم من ذلك يقبلون تنفيذه وتحمل مسئولياته لأن كبيرا قد أصر على تنفيذه. هذا الحديث يا سيد بقادى ليس فقط طعن في امانتهم المهنية بل إتهام خطير لهم بخيانة الأمانة التي حملها لهم الشعب كله. أن لم تستطع أثباته عليهم فسيجلب عليك المتاعب والمشاكل.

لم تقف عند هذا الحد يا سيد بقادى بل واصلت تجنيك عليهم وطعنت في كفاءتهم ومقدرتهم إذ ابحت لنفسك أن تكتب في نهاية العمود الاول من المقال (ولكنهم عجلوا بإنهيار البيارة عندما حاولوا شفط المياه التي تسربت اليها بالطلمبات فاتسعت المسام الرملية وزاد تدفق المياه بدلا من أن يتوقف).

لمعلوميتك ومعلومية القراء المحترمين أقرر لك حقيقة طبيعية وعلمية بأن تسرب المياه من طبقات الأرض لا يوقفه الشفط بالطلمبات.

وإتهام آخر كبير وخطير لي شخصياً يوحي به مقالك أيضا وهو أني قد كذبت وضللت عمداً فيما ذكرته من أسباب إنهيار البيارة فيما جاء في (بياني) في جريدة الأيام بعدد الخميس ١٩٧١/٢/١١ (وواضح أن تسرب المياه إلى الحفرة الرئيسية جاء نتيجة لظاهرة غير متوقعه ونتيجة لوجود مجرى قديم منذ آلاف

السفين ولم تكن طبقاته قوية مما أدى إلى تسرب أكثر من ١٠٠ ألف متر مكعب في حوالي نصف ساعة) إذ تقول في مقالك (ومما يزيد من مخاوفنا من تكرار الخطأ أن السيد الوزير لم يذكر في بيانه الصحفي السبب الفني الاساسي الذي أدى إلى إنهيار البيارة) فأنا قد ذكرت السبب الاساسي الفني من قبل ولكنك لا تقبل بأن هذا كل ما أعمله بل إزدادت مخاوفك لأنني أخفيت السبب الفني الاساسي الحقيقي ولم أذكره.

هذه أسئلة يطرحها على ما جاء في مقالك - أسئلة وتحليلات وإستنتاجات شرعية سيصل اليها كل من هو في المستوى العادي من الفهم والاستيعاب وأنا لازلت افترض حسن نيتك ونبل مقصدك.

وإلى اللقاء

يتبع....

مرتضى أحمد إبراهيم

وزير الري والقوى الكهربائية المائية

جريدة "الأيام" الأحد ٢٨ فبراير ١٩٧١

المقالة الثالثة

لتنهار بيارة السوكي الأولى والثانية - وتبقى الحقيقة فهي أجدى وأنفع لشعبنا

واليوم أواصل مناقشة مقال السيد بقادى فيما جاء فيه عن المهندسين الذين سألهم وتكرموا عليه بشرح الأسباب الفنية الحقيقية التى أدت إلى إنهيار البيارة فالم بحقيقة ما جرى فى السوكى وزوده بالمعرفة عن منشات الحواجز الحديدية. وكيفية ومتطلبات استعمالها وشفط المياه المتسربة من طبقات الأرض عند حفر بيارات طلمبات الرى مفترضا افتراضا شرعيا الآتى:

أولاً:- أنهم ليسوا من البيوتات الهندسية الأجنبية أو سماسرة البنك الدولى أو شركات المقاولات العالمية التى لم تظفر بالعمل فى وزارة الرى كما كان سابق حالها قبل الخامس والعشرين من مايو عام ٦٩. فآراء هؤلاء تثير إهتمامى ولا أنا داخل معهم فى مناقشات فنيه لعدم خلوهم من الغرض.

ثانياً: أنهم مهندسون يحملون مؤهلات فى الهندسة جامعية أو فوق الجامعية ولهم الخبره فى تنفيذ أو الأشراف على تنفيذ بيارات طلمبات الرى ولهم الخبرة فى إستعمال الستائر الحديدية. وسيشرفنى أن اتعرف بهم وأقضى معهم الساعات الطوال بمكتبى فى الخرطوم أو فى مكان العمل بالسوكى لمناقشة هذا الموضوع والوصول إلى النتائج العلمية والمنطقية. وارحب بهم ترحيباً حاراً بل أنى بهذا أدعوهم باسم المهنة والزمالة فى حرارة وصدق وأمام سمع وبصر كل فئات شعبنا وباسمها وباسم الثورة والحكومة أن يتقدموا اليوم إلى وليس غد. ومن أجل بلادنا وأهلها الطيبين الذين ما بخلوا علينا بشئ ليعلمونا ويؤهلونا لخدمتهم وخدمة وطننا. وليعتبروا ندائى هذا بطاقة دعوة خاصة لأى منهم رسمية ووطنية وأؤكد لهم من هذا المنبر بأن دافعى هو الوصول إلى الحقائق العلمية والنتائج العلمية فى موضوع إستعمال الستائر الحديدية فى بيارة السوكى والأسباب التى أدت إلى إنهيارها.

وبعد هذا النداء الوطني الحار أتوجه إلى السيد بقادي - وأنا لا زلت أفترض حسن نواياه ونبل مقاصده - فهو الصحفي الصريح الواضح في معالجة واحدة من المسائل التي تهم وزارتي كما قال - أدعوه مخلصاً ليتصل بأولئك المهندسين الذين جلس اليهم الساعات ليستمع إلى شرحهم وأفكارهم في المسائل الهندسية المعقدة وشباكها ومتطلباتها حتى تمكن من كتابتها في إسلوب مبسط للقارئ السوداني. وهو ليس مهندساً ولا خبيراً بشئون الري كما قال. أدعوه ليحثهم على الإسراع لمقابلتي بمكتبي أو بيتي لا كوزير له النفوذ والسلطة ولكن كزميل مهنتهم انشد العلم وزيادة المعرفة وأتوق للمناقشات وشرح المسائل الهندسية

وطالما كان هدفه وهدف أولئك المهندسين بل هدفنا جميعنا هو الحقيقة والمصلحة العامة. فانني أعده أمام جميع القراء المحترمين وبضمان السلطة الثورية في أعلى قمتها وعد الحر الأمين أن أصرح ببيان صحفي موقعا بامضائي معترفا بخطأي وخطأ زملائي الذين اقنعوني بتلك الأسباب والعوامل في إنشراح وطيب خاطر وبروح رياضية ورقاقيه لا تعرف الحقد أو التشفي. أن ثبت ما قالوه له من أسباب إنهيار البيارة وإستعمال الستائر الحديدة وشاكراً ومقدراً للسيد بقادي شخصياً جهده الكبير في خدمة وطنه ومواطنيه.

وإن كنا على حق واثبتنا بكل سهولة ووضوح لاؤلئك الاخوة الزملاء المهندسين الذين سالهم، خطا تحليلاتهم واستنتاجاتهم، وبكامل اقتناعهم أعدهم وعد الحر الامين وبضمان السلطة في اعلى قمتها إلا يصيبهم أذى من قريب أو بعيد في الحاضر أو المستقبل ولا يُشّهر بهم أو يقلل من قدرهم حتى لو كانوا من العاملين بهذه الوزارة.

وساغفر للسيد بقادي كل ما ورد من إتهامات وقذف وطعن في حقي وحق غيري في مقاله الذي نشره في الأيام واعتبر الأمر كما لم يكن.

بهذا قد وضعت صراحتي ووضوحي وتفاني وإخلاصي وثوريتي وحماسي

وعلمي ومؤهلاتي وكفاءتي وتجاربي وسمعتي وتاريخي، وضعتها كلها في الميزان وهي كل ما املك ويستحق أن يمتلك، وضعتها معك ومع الذين من ورائك من مهندسين وغير مهندسين، أن كانوا في السلطة أو من اخرجوا منها، أن كانوا منفرضين أو خالين عن الغرض في تحدي كبير واضح، لا معتمداً على نفوذ أو سلطان ولا محتميا بالأوامر الجمهورية ولا ملوما بتهديد وإتهام ولا مستعرضا عضلاتي، سلاحي العلم والمعرفة والأمانة في العمل والصدق في القول

كل هذا لكيلا يضلل شعبنا بما يكتب في جرائدة المؤممة أن كان صادرا من السلطة أو من خارج السلطة، أن كان من اصدقاء الثورة أو من اعدائها المستترين، وغدا سترجح كفة الحق كما كانت عبر التاريخ، وسيظهر الصالح والطالح، وها أنا والقراء لمنتظرون،

وإلى اللقاء في المقال الرابع

يتبع...

مرتضى أحمد إبراهيم

وزير الري والقوى الكهربائية المائية

جريدة "الأيام" الأحد ١ مارس ١٩٧١

المقالة الرابعة

لتنهار بيارة السوكي الأولى والثانية وتبقى الحقيقة فهي أجدى وأنفع لشعبنا.

يسرني أن أقدم اليوم للقراء المحترمين زميلي السيد المهندس يحيى عبد الحميد وكيل الوزارة والمسئول الفني الأول فيها والذي أصر على كتابة هذا المقال متصديا بالرد على المسائل الفنية التي جاءت في مقال السيد بقادى بوصفه المسئول الأول عنها وإنتهز هذه الفرصة لانبه بأنني حتى كتابة هذا لم يتصل بي كاتب المقال ولا المهندسون الذين سالتهم تلبية لندائي الذي وجهته لهم بالأمس.

وإلى اللقاء في المقال الخامس

مرتضى أحمد إبراهيم

مقال السيد/ يحيى عبد المجيد

بالأشارة لما ورد في مقالة السيد بقادى (حتى لا تنهار بيارة السوكى الثانية) والتى تعرض فيها إلى مسائل فنية في أمر تلك البيارة وأن إنهيارها كان حتميا بسبب خطأ فنى وأن الدراسات كانت مرتجلة وغير مستوفاه كما تعرض للخسارة والتى قدرها بـ ١٠٠,٠٠٠ جنيه لحفر البيارة الأولى والثانية.

كنا نرجوأ أن يكلف السيد بقادى نفسه وهو يسعى وراء الحقائق أن يتصل بالمسئولين في هذه الوزارة للحصول على تلك الحقائق قبل أن يتصدى للكتابة في مثل هذه الأمور الفنية موجها اتهامات خطيرة إلى مهندسي هذه الوزارة بالوقوع في خطأ فنى ومحاولة مداراة هذا الخطأ.

وحتى لا نثقل على القارئ الكريم بمسائل فنيه معقدة سنحاول شرح الظروف التى أدت إلى إنهيار البيارة في إسلوب مبسط كرد على الإتهامات التي وردت في المقالة.

هل كانت الدراسات مرتجلة وغير مستوفاة؟؟

إن مشروع السوكي هو أحد المشروعات التي قام مهندسون إستشاريون بدراستها قبل عدة سنين ضمن مشروعات إستغلال خزان الروصيرص وقد درس من كل النواحي الهندسية والزراعية والاقتصادية وقدم تقرير كامل عنه عام ١٩٦٧ وقد تقرر تنفيذه قبل الثورة بعد اجتماعات بين المسئولين في وزارة الري والزراعة والتخطيط كما تم الإتفاق قبل الثورة أيضا مع شركة يابانية لتمويله وتنفيذه ووافقت الحكومة آنذاك على ذلك وبعد الثورة مباشرة وبعد الدراسة التي شملت النواحي المالية والمتطلبات الاقتصادية وإمكانات وزارتي الري والزراعة تقرر تنفيذ المشروع في عامين ليكون معدا للزراعة في يوليو ١٩٧١ أي سنتين لتعمير ... ٨٥ فدان تروي بالطلمبات وهو مضمن كأحد مشروعات الخطة الخمسية ومعتمد بواسطة التخطيط ومجلس الوزراء.

وبعد أن تسلمت هذه الوزارة الخرائط الأولية لمحطة الطلمبات في شهر أغسطس ١٩٧٠ من الشركة الموردة للطلمبات بدأت في تصميم الأعمال المدنية لمبنى الطلمبات وأجرينا دراسات ميدانية حدد فيها الموقع على بعد ٦٠٠ متر من النهر وكان هذا تقديرا لأبعاده من النهر لتفادي مشكلة المياه أثناء الحفر وللمبنى نفسه. وأجريت المساحات الطبغرافية وقامت مصلحة الجيولوجيا لحفر الثقوب الاختبارية للموقع لتحديد طبقات الأرض وموقف المياه بها كما وضعت برامج دقيقة يمل العمليات الهندسية من الحفر وحتى إدارة الطلمبات

وقد أثبتت الثقوب الاختبارية أن الطبقات تتكون من مواد طينيه وطينيه رمليه حتى منسوب الاساسات كما أثبتت إسلوب العمل على عمق ستة أمتار من سطح الأرض وقد عقدت العديد من الاجتماعات لبحث إسلوب العمل في الحفر وكان من الأساليب التي بحثت استعمال الستائر الحديدية. أو حفر آبار حول الموقع وشفط المياه عن طريق الطلمبات لخفض منسوب المياه أو احاطة الحفر بمصرف لتجميع المياه المتسربه وشفطها بواسطة الطلمبات وكلها أساليب هندسية معمول بها واختيار أي إسلوب فيها يتوقف على طبيعة الموقع الجيولوجية وطريقة الحفر والإمكانيات المتاحه من المعدات والنواحي المالية

والاقتصادية

وتجدر الاشارة هنا إلى أن عملية الاساسات العميقة هي من أصعب العمليات الهندسية لما فيها من مفاجآت يعجز العلم عن اكتشافها بواسطة الثقوب الإختبارية اللهم إلا أن يلجأ إلى تكثيف الثقوب بدرجة تكشف عما في باطن الأرض شبراً فشبراً وهذا غير عملي بالطبع. وكم من موقع حددت الثقوب الاختباريه مستوى الصخور فيه كانت النتيجة غير ذلك عند إجراء حفر الاساس. حدث هذا ويحدث في بلاد العالم وفي بلادنا والأمثلة كثيرة.

وقد استبعد الستائر الحديدية في مشروع السوكي للأسباب التالية:-

أولاً: كان لابد من أحاطة الموقع من كل جوانبه بواسطة الستائر الحديدية ودفنها لعمق يصل إلى الطبقات الصماء لمنع تسرب المياه وقد أثبتت الثقوب الاختبارية أن العمق لتلك الطبقة يصل إلى أعماق بعيدة من سطح الأرض لا يمكن الوصول اليها بواسطة الستائر.

ثانياً: ولو فرض مثلا أن الطبقة الصماء تقع على بعد ٢٠ مترا من سطح الأرض يقدر العدد المطلوب من هذه الستائر بـ ٢٥٠٠ وحدة. وأتضح من الدراسات والإمكانيات المتاحة في البلاد من هذه الستائر وعدم وجود هذا العدد المطلوب وأن جلبها من الخارج يكلف كثيراً ويحتاج إلى وقت لا يمكن معه إنهاء العمل في وقته المحدد ناهيك عن أن الطبقة الصماء أعمق من عشرين متراً.

ثالثاً: وحتي ولو وجدت تلك الستائر واحيط الموقع بها فأن المعدات التى جهزت للحفر كالكراكات سوف لا تتمكن من العمل وكان هذا يعني أن يحفر بالأيدي العاملة مما يكلف كثيرا وفي وقت أكبر.

رابعاً. وحتي لو عملت تلك الستائر فانها إذا لم تكن قد وصلت إلى الطبقة الصماء الغير قابلة لتسرب المياه بالشكل الذي حدث في البيارة سيحدث فيها أيضاً وأن الستائر سوف لا تقيها من تلك المياه. كما أن وضع الستائر من جانب واحد من جهة النهر سوف لا يؤدي الغرض حيث أن المياه تتسرب من كل الجهات.

خامساً: ولو فرضنا أن تأخر العمل أمر مقبول ولا مانع فيه فانه من

الإمكان في هذه الحالة حفر البيارة بدون إستعمال الستائر وذلك عند إنخفاض منسوب الفران في شهور التحاريق.

ومن هذا يتضح أن الدراسات لم تكن مرتجلة وغير مستوفية بل أن هذا الموقع قد نال من الدراسات مالم يناله أي موقع آخر سواء في الطلمبات التي شيدت بواسطة وزارة الري أو مئات الطلمبات المقامة على النيل والتي أقيمت بواسطة الجهات الأخرى.

هل أدى شفط المياه التي تسربت للحفره بالطلمبات لاتساع المسام الرمليه وأحدث شقاً بين النهر والبيارة تدفقت منه المياه وبالتالي عجل بإنهيار البيارة.

(١) أن هذا الزعم من الناحية الهندسية والواقعية غير صحيح وغير وارد ولم يحدث إطلاقا. ودعنا الآن نسرد الذي حدث بالتفصيل.

لقد بدأ حفر البيارة من سطح الأرض واستمر لعمق ستة أمتار وفي هذا الأثناء لم تكن هنالك مياه متسربة من النهر إلى داخل الحفره وعندما استمر الحفر لاكبر من عمق سته أمتار بدأت المياه تتسرب من حوالي الحفرة بكميات قليلة. وكان هنالك عدد من الطلمبات تقوم بشفط هذه المياه المتسربة كلما استمر الحفر إلى أدنى. وهنا يجب أن يعلم القارئ أن مقدار التسربه كان أقل من واحد متر مكعب في الثانية وأن كفاءة الطلمبات المتوفرة لشفط هذه المياه أيضا أقل من متر مكعب في الثانية وبالرغم من ذلك كانت الطلمبات أكثر من العدد المطلوب لشفط التسرب مما يؤكد أن مقدار المياه المتسربه كان قليلا وأن المياه استمرت تتسرب والحفر مستمر إلى أن بلغ الحفر من سطح الأرض ١٤ مترا ولم يؤثر الشفط في كل هذا العمق لما اسماه الكاتب بإتساع المسام الرمليه التي قيل أنها عجلت بإنهيار المياه. وثمة ظاهرة أخرى تؤكد أن اتساع المسام الرملية لم يؤدى للذي حدث وهي أن المياه المتسربه من حوالي الحفرة كانت مياه صافية وخالية من ذرات الرمل والطين وخلافه ويجب علينا أن نذكر القارئ أيضا أن مقدار التسرب كان كما قلنا أقل من متر مكعب في الثانية بينما كان إندفاع المياه التي أدت لإمتلاء الحفر عند عمق ١٤ مترا والتي تدفقت بقوة من المصرف

الأرضي هو خمسين متراً مكعب في الثانية.

(٢) هذا جانب والجانب الآخر هو أن طبقة الأرض التي كان يتسرب منها الماء بمعدل أقل من متر مكعب في الثانية تتكون من طين ورمل وأن هذه الطبقة مستمرة حتى مستوى حفر الاساسات وإلى عمق أكثر منه ولذلك كان معروفاً أن مقدار التسرب سوف لا يزيد كثيراً عن هذا القدر حتى نهاية الحفر الذي يبلغ عمقه في النهاية كما ذكرنا ١٥ متراً ونصف.

(٣) لو كان تدفق المياه التي أدت لامتلاء البيارة ناتجاً من إتساع المسام الرملية تحت تأثير الضغط بالطلمبات لحدث هذا التدفق في شكل ماء منساب من النهر من كل الجوانب وعلى طول الطبقة بأكملها ولكن الذي حدث أن الماء تدفق من فتحة صغيرة للغاية في شكل نافورة أفقية طولها حوالي ٢٠ متراً بقوة دافعة وعندها امتلأت البيارة من ذلك في نصف ساعة .

(٤) مما تقدم يتضح أن ضغط المياه التي تسربت لم يؤد إلى إتساع المسام ولم يؤد إلى حدوث ما اسماه الكاتب شق بين النهر والبيارة

(٥) إن تفسيرنا للظاهرة التي حدثت هو أن هذه الفتحة التي أنفجرت منها المياه هي عبارة عن مصرف أرضي طبيعي ظل موجوداً منذ تكوين طبقات الأرض المتاخمة للنهر ونسبة لصغر حجمه فإنه لا يمكن اكتشافه مسبقاً إلا بالصدفة أو إذا وقع أحد الثقوب بالصدفة في هذا المصرف وفي هذه الحالة بالذات لم يظهر هذا المصرف الأرضي في الثقوب الاختبارية التي عملتها مصلحة الجيولوجيا وأنه لو كان هنالك مقاول في أي بقعة من بقاع العالم يقوم بحفر مثل هذه البيارة وتدفقت فيها المياه بهذا الاندفاع الهائل نتيجة لهذا المصرف الغير متوقع فإنه يعتبر غير مخطئ وغير مدان ولا تحتسب عليه تكاليف الخسارة الناجمة من تدفق المياه بهذه الصورة وذلك وفقاً لقوانين وشروط العطاءات العالمية المعمول بها ومثل هذا البند يشار اليه في القوانين العطاءات بالمخاطرة الغير مرئية وغير منظورة وغير متوقعة والناتجة من أسباب طبيعية.

(٦) ينبغي أن يعلم أيضاً أنه لا يمكن التكهن أو القطع بأن هنالك مصرفاً

أرضياً مماثلاً لهذا في الموقع الجديد الذى يجرى فيه حفر البيارة الثانية وإذا حدث أن كان هنالك مصرف غير منظور فإن البيارة الجديدة سوف يحدث لها ما حدث للبيارة الأولى ويكون السبب في ذلك هو ظاهرة طبيعية غير متوقعه وغير قابلة لأن يتحكم فيها

ورغم ذلك أننا نعتبر أن حدوث مثل هذه الظاهرة أمر بعيد الاحتمال وقد اجرينا دراسات على الموقع الجديد الذى اختير على بعد ٧٥ متراً من الموقع القديم واجريت عليه اختبارات جيولوجية اثبتت أن طبقاته ذات نفاذية ضئيله كما أن موقف مستوى الماء للنهر أقل مما كان عليه أثناء حفر الموقع الأول كما أبعد من خط سير المصرف المقدر من الموقع الأول. ويسير فيه العمل بطريقة مطمئنة.

إن البرامج التى وضعت لإنهاء العمل في هذا المشروع في آخر شهر يوليو بإذن الله لم تكن ارتجالية بل كان نتيجة لدراسات دقيقة إتخذت فيها كل الاحتياطات ونؤكد أن المشروع سيكون جاهزاً للزراعة في هذا التاريخ.

وعندما تحدث السيد بقادى عن الخسارة لم يكن على علم ايضا بالحقائق فالمصدر الذى حصل منه على تلك المعلومات لم يوفق في إعطائه المعلومات الصحيحة ونود أن نوضح الحقائق التالية:

أولاً. إن تكاليف حفر بيارة السوكي لا يشكل أكثر من ١٪ جملة تكاليف مشروع السوكي البالغة ٢.٥ مليون جنيه وأن العمليات الهندسية يكون فيها دائما بند لمقابلة المصروفات الغير منظورة تتراوح بين ٥٪ إلى ١٠٪ من تكاليف أى مشروع. ووضع هذا البند عند وضع تقديرات مشروع السوكي.

ثانياً: أن جملة الحفريات في مشروع السوكي بما فيه البيارة تبلغ ١١ مليون متر مكعب. وأن مكعبات حفريات البيارة لا تزيد على ١٪ من جملة المكعبات.

ثالثاً أن بيارة السوكي الأولى ستكون جزء من مدخل الطلمبات وينتج عن هذا تقليل طول الترعة الرئيسية بنفس القدر وبهذا سيحدث وفراً في تكاليف حفرها

رابعاً: أن جملة الخسائر في البيارة الأولى لم تزد على ١٨,٠٠٠ جنيه وأن حفر البيارة الجديدة سوف لا يزيد على ٢٠,٠٠٠ جنيه وأن مجموع ما صرف وما سيصرف سوف لا يتعدى المبلغ الأول المقدر لحفر البيارة والذي قدر بحوالي ٥٠,٠٠٠ على أساس إستعمال الأيدي العاملة. وكان الوفر نتيجة استعمال الالات الحافرة.

ويقول السيد بقادي أنه يتمنى أن تحقق تقديرات السيد الوزير المتفائلة ويشير إلى ضرورة عدم تكبيد الخزينة العامة مزيداً من الخسائر بسبب الإرتجال وعدم دراسة المشاريع ذات الطابع الفني دراسة مستوفاة تقلل من الاخطاء ونرجوا أن نبين الحقائق الآتية:-

أولاً: ليس للسيد الوزير دخل في تقدير المسائل الفنية المتعلقة بدراسة وتصميم وتنفيذ المشاريع فهي من اختصاص الفنيين في الوزارة وحدهم بالتنسيق مع الوزارات الأخرى كوزارة الزراعة ووزارة التخطيط.

ثانياً: وأن المقصود بأن دراسات مشروع السوكي غير مستوفاة فهذا ليس صحيحاً. فهذا المشروع كما شرحنا من قبل درس منذ سنين عديدة وبدئ في التفكير في تنفيذه منذ عام ١٩٦٨ وأن جميع دراساته مستوفاه وكاملة وأن الذي حدث لبيارة السوكي لم يكن نتيجة قصور في الدراسات.

ثالثاً: اتسمت مقالة السيد بقادي وهو يوجه حديثه كرد على ما أسماه ببيان السيد الوزير بالاساءة والتجريح لمهندسي هذه الوزارة باتهامهم بالوقوع في خطأ فني ومحاولة مداراة هذا الخطأ طعنهم في شرف المهنة وفي وطنيتهم ونقول للسيد بقادي أن هؤلاء المهندسين وطنيون كوطنيته حريصون غيورون على بلادهم وعلى مصالحها العامة. وكانت الامانة تقتضي من السيد بقادي وهو يتعرض لموضوع من صميم اختصاص الفنيين في هذه الوزارة وهو حريص على جمع الحقائق أن يتصل بهم للحصول على تلك الحقائق ويمكنه بعد ذلك أن يعرضها على من يريد من المهندسين للتاكد من صحتها أو خطأها قبل أن يخوض في مسائل فنية يجهل ابجديتها ويتعرض للناس بمثل هذه الإتهامات الباطلة .. ومن المؤسف أن يفترض كل من يتصدى بالكتابة في المسائل العامة أنه وطني أكثر

من الناس الاخرين. حريص على المصلحة العامة أكثر من حرص الآخرين وأنني كوكيل لهذه الوزارة أنفي نفيا باتا ما جاء في مقالة السيد بقادي من أمور فنية وإتهامات وليذهب السيد بقادي للسوكي ليرى بعينه ما يبذله هؤلاء المهندسين وكل العاملين من جهد وتضحيات.

ويؤسفنا أن يوجه السيد بقادي مثل هذا الذي ورد في مقاله للسيد مرتضى ولا ندري دوافعه فالأخ مرتضى مهندس ري قبل أن يكون وزيراً. عمل لأكثر من عشر ن عاما في أعمال الري المختلفة فمن الإجحاف أن يركز عليه الهجوم والإتهام في مسائل فنيه. هو كوزير لا دخل له بها ومن الأحرى أن توجه لوكيل هذه الوزارة فهو المسئول الأول عنها - لا الوزير. اللهم إلا أن كان الغرض أمر نجهله

يحي عبد المجيد

وكيل وزارة الري والقوى الكهربائية المائية

جريدة "الأيام" ٢ مارس ١٩٧١

المقالة الخامسة

لانهيار بيارة السوكي الأولى والثانية، وتبقى الحقيقة فهى أجدى وأنفع لشعبنا.

وهكذا كفة الحق راجحة كما كانت دائما، والحقيقة باقية ومنتصرة ابداً مهما أثير حولها من هبا ضباب، ومهما هيأ لبعض الناس أن الباطل قد جاز.

فالسيد بقادى الذى أدعى بأنه يريد أن يعالج واحدة من المسائل التى تهم وزارتى فى صراحة ووضوح مدفوعا لذلك خدمة للمصلحة الوطنية محذراً بأن السكوت على الخطأ فى هذه المسائل أمر لا يجوز سكت ولم يحرك ساكنا ونداثى المخلص الأمين يجلجل فى أذنيه ويرتفع عاليا فى الآفاق حتى أصبح حديث المدينة كلها، لا ولم يسع إلىّ أو يتصل بى واحد من أولئك المهندسين الذين سألهم، والذين وجهت لهم دعوتى العاجلة وندائى الحار.

فقد تأكد لى بأن أولئك المهندسين أما أن يكونوا من ذوى المصالح من الأجانب أو ممن يدعون بأنهم مهندسين، فكلمة المهندس فى بلادنا تطلق دون حساب حتى على من تخرجوا من منازلهم.

وأؤكد اليوم للقراء المحترمين بأن زملائى الذين يحملون المؤهلات العلمية والخبرة العلمية والذين اعرفهم جميعا ليس بينهم واحد يسمح لنفسه أن يناقش المسائل الهندسية ويتجنى على زملاء له فى المهنة عن طريق المقالات الصحفية ولاهم من ذوى الأغراض ومدبرى الفتن والمؤامرات، فأولئك طريقهم إلىّ أو إلى زملائى فى الوزارة طريق عديل يسير أن كان لهم نقد أو رأى فى أى عمل هندسى تقوم به وزارتى لحملوه لنا بانفسهم وناقشوه معنا بروح رفاقيه ودية.

وقبل أن اختم الحديث عن الحقائق فى أمر بيارة السوكى أرى من واجبى أن أضيف لما كتبه زميلى المهندس السيد يحى عبد المجيد أن كلمة (إنهيار) التى اختارها كاتب المقال عنوانا له كلمة قصد بها الأثارة، فكلما حدث فى السوكى أن حفرة محطة الطلمبات قد إمتلأت بالماء للأسباب التى ذكرت، وحفرت للأساسات

واحدة أخرى فكلمة بيارة الطلمبات تعني الانشاءة الخرصانية والمواسير الموصلة والطلمبات ونحن لم نصل بعد لتلك المرحلة وكنا في آخر مرحلة الحفر ولذلك فأن استعمال كلمة إنهيار خطأ أزعج بعض القراء الكرام فاتصلوا لي للأيضاح وهذا ما لم يحدث.

وشئ آخر رأيت أن أطلع عليه القراء وهو أنني قد قررت دعوة كبار المهندسين من داخل الدولة وخارجها وكبار الجيولوجيين وإخصائي ميكانيكية التربة وكبار الصحفيين والسيد أحمد على بقادي نفسه للسفر معي لكسوكي يوم الثلاثاء القادم على متن طائرة خاصة للوقوف على كل الحقائق ومناقشتها مع كبار مهندسي الرى والمشرفين على التصميم والتنفيذ ومشاهدة كل شئ على الطبيعة بدلا من الجدل من مكاتبنا الوثيره في الخرطوم والكتابة على صفحات الجرائد عن جهود رجال قاموا بأنفسهم بتخطيط المشروع وتصميم جميع منشأته ووضع برامج تنفيذه وكيفية تنفيذه في كفاءة ومسئولية وبما تمليه عليهم وطنيتهم وضمائرهم وبعد هذا يقرؤون في صحف الدولة نفس الدولة التي حملتهم تلك المسئولية... يقرأون من بعض الناس في الخرطوم أن المدعو مرتضى أو غير مرتضى هو الذي فعل هذا وذاك وقرر هذا وذاك كأنما عنده عصا موسى وكأنهم سوائم ترعى في البوادى يهشها ايما شاء ويحركها هذا المرتضى أو غيرها كقطع الشطرنج

بقي أن يعرف القراء المحترمين بعض الحقائق عن السيد بقادى الموظف بمكتب الأمم المتحدة بالخرطوم وكاتب المقال المشهور.

– فبقادي هو الصحفي الذي هاجم وزارة الزراعة والغابات وفي عهد ثورة مايو في أعمالها في الجنوب ورد عليه موظفوها مفندين إتهاماته.

– هو الصحفي الذي كتب وفي عهد ثورة مايو أيضا مقالة (عبد العاصي البيروقراطي يكرر نادرة اليمين في السودان) الذي جاء فيه (وورثت شركة التبغ السودانية طيارة وأنها قدمتها هدية لأحدى الوزارات ولكن الوزارة رفضت

لأن فى ميزانيتها ليست هناك اعتمادات لتشغيلها وأنها قدمتها لوزارة أخرى. والأخيرة اشترطت تأمين الطائرة ومصاريف تشغيلها والشركة رفضت وأن هذه الطائرة لا زالت اسيرة بمطار جوبا) وثبت بأن كل هذا غير صحيح.

- فهو كاتب المقال (كل عند العرب صابون) عن وزارة التجارة وادعى أن مجلس الوزارة قرر أن تحتكر وزارة الزراعة إستيراد المبيدات الحشريه وأن المبيدات معدومه في البلاد ألخ ما جاء في ذلك المقال. وكذبت الوزارة على لسان وكيلها فى فبراير الماضى كل المعلومات التى وردت فيه.

ومن المؤسف حقا أن يستمر السيد بقادى فى نشر المعلومات الغير صحيحة فى أعمال الوزارات والمؤسسات دون أن يحاول مرة واحدة من التأكد منها من جهات الاختصاص قبل نشرها على أنها حقيقة واقعة وبطريقة مثيرة مشككة. ليس ذلك فحسب بل أباح لنفسه أن يكيل الإتهامات الخطيرة والإساءة البالغة والطعن لي ولزملائي المهندسين في الوزارة فى موضوع حفر بيارة السوكى.

وجميع من أطلع على مقالاتى يعلم باننى قد أعطيت السيد بقادى كل الفرص وهيأت له كل الظروف لكى يصحح موقفه وكنت أمينا وعفيفا فى مخاطبتى له ومناقشتى لمقاله. وتوسلت اليه ليخطو معى لكشف الحقائق التى غابت عنه من أجل المصلحة العامة واعطيته في ذلك الضمانات كل الضمانات ولكنه أثر السكوت والأحتماء بمكتب الأمم المتحدةبالخرطوم الذى يقع بالقرب من مكتبى ولم يدفعه ضميره حتى لمجرد الإتصال التليفونى ليعتذر عما اقترفه من ذنب فى حقى وحق غيرى.

بعد كل هذا كان فى مقدورى أن أثار لنفسى ولزملائى المفترى عليهم بما تكلفه لنا القوانين والأوامر ونحن نعمل فى الخدمة العامة ولكنى آثرت الترفع عن ذلك لثلاثة أسباب:-

أولها: أننى فى السلطة ومؤمن بأن الحق معى. ومن كان الحق معه فسلاحه

المنطق والحجة ولا حاجة له بأدوات القمع التي بيده.

ثانيها. أملا في أن يراجع السيد بقادي موقفه ومنهجه وأسلوبه في النقد ويفكر مليا في ماضيه ومستقبله فالحياة قصيرة وغداً ستبقى ذكرى المرء وأفعاله الحسنة فما الداعي لاساءة الناس والتجني عليهم.

وثالثهما. ليتعلم المسئولون عن صحافتنا المؤممة من اخطائهم فلا يسمحوا لصحفاتها أن تكون ميدانا لنشر المعلومات الخاطئة في إثارة وتشكيك والمقالات المجرحة التي تضر ولا تفيد، تسئ ولا تقوم تضلل ولا توضح وتخرب ولا تشيد.

بهذا الجهد المتواضع في خدمة الحق ومن أجل الحقيقة اكتفي وبالله التوفيق.

مرتضى أحمد إبراهيم

وزير الري والقوى الكهربائية المائية

جريدة "الأيام" الأحد ٧ مارس ١٩٧١

كلمة وزير الرى والقوة الكهربائية المائية
فى افتتاح مشروع السوكى

مشروع السوكى:

تبدأ قصة هذا المشروع فى أكتوبر عام ١٩٦٤ حينما قام المستشارون سير ميردوخ ماكدونالد وشركاه- بتكليف من حكومة السودان - بدراسة لصلاحية المشروع وتقدير العائد المتوقع منه وعلى ضوء تلك الدراسة تم تحديد مبدئى لمساحة المشروع وموقع الطلمبات ونوعية التربة، وقدرت التكاليف الاجمالية للمشروع بخمسة ملايين وستة عشر الف جنيه بلغت تكلفة المشروع ٣,٥ مليون جنيه (١٩٧١/٧) أى تنخفض بمبلغ ٣٠٪ من التقديرات عام ١٩٦٤. ليقوم على أرض تبلغ مساحتها ١١٣ ألف فدان وقدرت فترة أربع سنوات لاكتمال العمل فيه.

وبعد اكتمال الدراسة بدأت مرحلة جديدة.. مرحلة تمويل المشروع وتنفيذه فتقدمت شركة ماروبين اليابانية عارضة على حكومة السودان تمويل شراء الطلمبات ومعدات الحفر والزراعة واستمرت المفاوضات عامى ١٩٦٨ و ١٩٦٩ وإنتهت بإتفاق مبدئى على أن تقدم الشركة اليابانية لحكومة السودان قرضا مقداره ١١ مليون دولار واشترطت استخدام مهندسين مستشارين يابانيين لمراجعة تصميمات وتقديرات المشروع التى اعدها المستشارون البريطانيون وقدرت تكاليف الاعمال الاستشارية التى سيقوم بها المستشارون اليابانيون بمليون دولار.

الذين قاموا بالتصميم والإنجاز

الريح عبد السلام

مساعد الوكيل للإنشاء والتعمير - بكالوريوس هندسة مدنية "لندن" - دبلوم الدراسات العليا علم المياه "لندن" عضو جمعية المهندسين المدنيين وعضو جمعية المهندسين المائيين شهادة أبحاث مبانى المياه (زيورخ).

محمد الهادي عبد الملك

نائب كبير مهندسي المشروعات - بكالوريوس هندسة مدنية جامعة "الخرطوم" دبلوم الدراسات العليا "علم الاساسات".

عثمان مصطفى

كبير المهندسين الميكانيكين - بكالوريوس هندسة ميكانيكية "الخرطوم" ماجستير هندسة ميكانيكية

كامل الأمين

مساعد الباشمهندس للمساحة - دبلوم كلية غردون.

محمود بشير جماع

كبير مهندسي التشييد - دبلوم هندسة مدنية "الخرطوم" زمالة المهندسين الأمريكيين دبلوم علم الهيدرولجية شهادة تخصص هيدرولجي.

عثمان محمد الخير

مقيم أول بالمشروعات - بكالوريوس هندسة مدنية "الخرطوم" دبلوم الدراسات العليا علم المياه عضو جمعية المهندسين المدنيين

الخير حاج الأمين

نائب كبير مهندسي التشييد - بكالوريوس هندسة مدنية "الخرطوم" دبلوم الدراسات العليا علم الخرصانة.

معتصم الحسن طه

مقيم أول بالمشروعات - بكالوريوس هندسة مدنية "الخرطوم" ماجستير علوم الري والصرف.

محمود صالح

مساعد كبير المهندسين - الميكانيكين للإنشاء بكالوريوس هندسة ميكانيكية.

بدوي الفضل المنشد

باشمهندس القنوات - بكالوريوس هندسة مدنية "الخرطوم" عام المنشئات عضو جمعية المهندسين المدنيين - عضو جمعية المهندسين عضو جمعية المهندسين الانشائيين - عضو جمعية المهندسين الامريكيين

محمد بدوي جبريل

باشمهندس الصيانة الميكانيكية الشهادة الأهلية العليا "معهد فنـ

إبراهيم حمد

باشمهندس المنشئات - بكالوريوس هندسة مدنية "الخرطـ الدراسات العليا "الخرطوم" ماجستير المنشئات وعضو جمعية المدنيين.

محمد الحسن كاروري

باشمهندس الإمدادات والعقودات - بكالوريوس هندسة مدنية " شهادة الدراسات العليا علم الخرصانة.

عبد الفتاح يوسف

المهندس المقيم لمشروع السوكي - بكالوريوس هندسة مدنية " ماجستير علم الخرصانة.

فيصل طه الحسين

باشمهندس الرئاسة بالتشييد، بكالوريوس هندسة مدنية "ا دبلوم الدراسات العليا علم المياه.

أحمد الطاهر النسيم

المهندس الميكانيكي المقيم لمشروع السوكي، شهادة الأهلية العليـ الفني الخرطوم".

محمد صالح حسن

كبير مهندسي المشروعات - بكالوريوس هندسة مدنية "القاهر

علم إستغلال المياه، ماجستير هندسة ميكانيكية.

محمد حامد أحمد

مهندس قسم المباني - دبلوم المعهد الفني.

خميس محمد

مهندس الحفريات - شهادة الأهلية العليا "المعهد الفني".

يوسف عبد الله

مهندس الرئاسة - الشهادة الأهلية العليا

محمد سلام محمد

الأمين عبد القادر محمود

مهندس المنشئات الصغيرة - بكالوريوس هندسة مدنية "الخرطوم"

بابكر آدم بابكر

مهندس الورشة - الشهادة الأهلية العليا "معهد فني"

الضو أدريس جبارة

منشئات صغرى - بكالوريوس هندسة مدنية الخرطوم

أحمد الصادق عبده

مهندس الكراكات - الشهادة الأهلية العليا "معهد فني"

محجوب محمد الأمين

مهندس محطة الطلمبات - بكالوريوس هندسة مدنية "الخرطوم"، دبلوم الدراسات العليا علم المياه.

الأمين عبد الرحيم

قسم المباني - الشهادة الأهلية العليا.

محمد الطيب

محطة الطلمبات – بكالوريوس هندسة مدنية "جامعة الخرطوم".

لورنس أيوب

مهندس مساحة – الشهادة الأهلية العليا "معهد فني".

جمعة آدم المكي

قسم الدوسر – الشهادة الأهلية العليا "معهد فني".

كمال محمد الهادي

محطة الطلمبات – بكالوريوس هندسة مدنية "جامعة الخرطوم".

حفظ الله ميرغني

مهندس مساحة – الشهادة الأهلية العليا "معهد فني"

إبراهيم الخليل

مهندس مساحة الشهادة العليا "معهد فني"

أبو بكر آدم محمد

قسم التركترات – الشهادة الأهلية العليا "معهد فني".

عبد القادر عبد الفضلي

محطة الطلمبات – بكالوريوس هندسة مدنية "جامعة الخرطوم"

عبد المجيد محمود

مهندس مساحة – الشهادة الأهلية العليا "معهد فني".

عثمان أبو زيد

قسم الكهرباء – الشهادة الأهلية العليا "معهد فني".

عز الدين القرشي

محطة الطلمبات – الشهادة الأهلية العليا "معهد فني".

تاج السر أحمد

مهندس مساحة - الشهادة الأهلية العليا "معهد فني".

عبد الجليل

مهندس مساحة - الشهادة الأهلية العليا "معهد فني".

كلمة
وزير الري والقوى الكهربائية المائية
في أفتتاح مشروع السوكي
١٩٧١/٧/٧

الأخ الرئيس نميري

الأخوة أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء

السادة السفراء المحترمين

ضيوفنا الأعزاء

باسم العاملين في وزارة الري والقوة الكهربائية المائية أرحب بكم ترحيبا حارا واشكركم لتلبيتكم لدعوتنا للحضور وتكبدكم مشاق السفر وعنائه للوصول إلى هذه البقعة الطيبة مشاركة لنا في حفلنا المتواضع ابتهاجا بإنتهاء العمل في مشروع السوكي.

اسمحوا لي أيها الأخوة الأفاضل والضيوف الكرام أن أعبر عن فرحي وإبتهاجي وغبطتي وسروري في هذا اليوم المبارك الذي أصبح فيه مشروع السوكي حقيقة ملموسة يدّر الخير والبركة على أهل هذه المنطقة وعلى أهل السودان جميعا وها هو هدفنا وغايتنا أولا وأخيرا.

وثانيا لأننا قد أوفينا عهدا قطعناه وأنجزنا وعدا أعلناه ورددنا الأمانة إلى أهلها كاملة غير منقوصة ولأننا ما نطقنا بكلمة أو نشرنا بيانا في أمر مشروع السوكي إلا وكان صدقا وحقيقة لا كذب فيه ولا تضليل ولم تداري شيئا أو نخفيه عن الناس وها هي الأيام ولله الحمد تثبت ما قلناه وها هو الإنجاز يؤكد ما خططناه وتوقعناه دافعنا في ذلك، أن ننهي عهدا طويلا شبع فيه شعبنا من الوعود الجوفاء وتفتح صفحة جديدة في التعامل بين السلطة والمواطنين عنوانها الصدق في القول والأعتراف بالخطأ والتمسك بالحقيقة والوفاء بالوعود.

وثالثاً: لأننا قد استطعنا أن نؤكد لشعبنا وثورته أن لهم فى العاملين فى هذه الوزارة أبناء برره قادرون على تحمل المسئوليات الجسام فى وعى وكفاءة دون أرشاد أو أشراف من البيوتات الاستشارية الهندسية ودون عون أو مساعدة من المقاولين الأجانب.

ورابعاً: لأننا أثبتنا بالعمل والإنجاز بأنه من الممكن بناء سودان الثورة فى مشاريعه المختلفة دون تهيئة الظروف المثالية ومع وفرة المعوقات والسلبيات التى لابد أن تعترض تنفيذ أى عمل فى بلد نامى كالسودان إذ فى ممارسة العمل والإنتاج يمكن حل المشاكل والتغلب على السلبيات أن كانت فى نقص الكوادر وقدرتها أو وقوع الكوارث وأضرارها أو عدم وجود العناية الطبيبة وأثارها أو غير ذلك مما هو موجود ومتوقع فى أى موقع لعمل وحالم من يظن بأنه لا يمكن تحقيق الإنجازات وإقامة العمران والبناء أن لم تعد الظروف المثالية أولا وأن لم تحسب كل كبيرة وصغيرة وتجهز وتدبر قبل البدء فيه وأن تمسكنا بذلك فأن بلادنا المتخلفة لن تحظ بأى تطور وتقدم وعلينا حينذاك نحن جيل الثورة لعنة الأولين والآخرين

وخامساً: نؤكد لكم بأن ما ستشاهدونه اليوم من بناء وتشييد لم تحققه الآلات والمعدات ولا السواعد والحوافز وحدها ولكن العملية كلها فى المقام الأول قد تحققت وأكتملت قبل أن يصل إلى هذا المكان رجل واحد أو مكنه واحدة، تحقق هذا العمل الكبير وتأكد لنا وأكتمل هنا هنا فى قلوبنا وضمائرنا ولولا ذلك لما قام مشروع السوكى مهما هئ له من إمكانيات، فمن أراد أن ينجز عملا فليبحث عنه فى داخل نفسه فان وجده قائما راسخا فأن ذلك العمل قد تحقق وأن وجده سرابا مهزوزا فلن ينقذه الرجال أو المعدات ولن يتحقق له أمل أو ينجز له عمل.

وسادساً: لقد أثبتنا بالممارسة والتجربة بأن قدرات الجماهير العاملة كفيلة بتحقيق المعجزات والتغلب على المستحيلات ولا يمكن وضع حدود لها وقوالب ولا يمكن حسابها والتكهن بمداها إذا وجدت الظروف الطيبة واستظلت براية الاشتراكية والعدالة الاجتماعية وخلى لها الجو من الفساد والتسلط، فأن ما وصلناه من أرقام قياسية فى الإنتاج فى مشروع سوبا للتسمين تضاءل وإنتهى

في مشروع الجموعية الذي نفذناه في خمسة وأربعين يوما وما كان رقما قياسيا في مشروع الجموعية نزل إلى المرتبة الثانية بالمقارنة لما برز لنا وتحقق في مشروع السوكي وها أنا بالأمس قد أعلنت للناس ضرب أول مسمار في نعش مستويات الإنتاج في السوكي بما وصل اليه العاملون من رقم قياسي في صب خرصانة الاساسات في بيارة مشروع سنار الذي يجري العمل فيه الآن على الضفة الأخرى من هذا الموقع محطمين بذلك اسطورة السوكي الذي تحتفلون به اليوم.

أخي الرئيس حضرات الضيوف

لابد لي أن اعترف بأنه على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله العاملون في وزارتي في هذا المشروع إلا أن هناك أخوة لنا لهم الفضل في كثير من البذل والعطاء مما جعل هذا اليوم حقيقة واقعة ومما أكمل لنا هذا البناء، ولابد لي أن اذكرهم عرفانا بفضلهم علينا وتسجيلا لجهدهم معنا وهم العاملون في وزارة المواصلات من أوصلوا لنا المعدات والمواد ومن ركبوا لنا خطوط التلفونات والعاملون في وزارة الأشغال بشقيها من قاموا بتوصيل التيار الكهربائي الذي لولاه لما دارت الطلمبات وللذين امدونا بمواد البناء وشيدوا منازل الزراعة والمرافق العامة ومقاولي القطاع الخاص الذين شيدوا المنازل أو حفروا الآبار أو وردوا الحجر والطوب والرمل والخرصانة ثم الأخوة في وزارة الزراعة الذين كانوا معنا في الحقل على الدوام يتسلمون الأرض التي نعدها ونجهزها فيحرثونها تهيئة للزراعة في تعاون وتنسيق وود وزمالة ثم رجال البوليس والإدارة وشركة اندرتز النمساوية التي وردت وركبت الطلمبات متعاونة معنا في اللحاق بالبرنامج المعدل بمجهود كبير مقدر من مهندسيها للتركيب الذين معنا هنا اليوم ثم مواطني السوكي وسنار الذين وقفوا معنا يمدون لنا العون ويجزلون لنا العطاء يتقاسمون معنا الحزن والأسى يوم أن حلت بنا الكارثة وامطروني في الخرطوم ببرقياتهم مهنئين بالنصر المبين يوم أن قامت البيارة الثانية، لهم ولغيرهم من المواطنيين شكرنا وتقديرنا ولا اخالني أنسى زملائي ورفاق الدرب الذين بادروا بالاهتمام والتشجيع وما بخلوا علينا بمساعدة طلبناها أو

باستفسار عما يجرى فى مشروع السوكى فى عطف واهتمام واشادة وتأييد، فأنت على رأسهم أيها الأخ الرئيس وصديقى السيد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر الذى كم وددت لو كان بيننا اليوم والأخ الدكتور سيد أحمد الجاك وزير النقل والمواصلات والأخ السيد أبيل ألير وزير الأشغال والأخ محمد عبد الحليم وزير الخزانة والتخطيط والأخ منصور محجوب الذى كان له قصب السبق فى اقرار المشروع عام ٦٩ يوم أن كان وزيرا للخزانة والأخ عبد الكريم ميرغنى وزير التخطيط آنذاك وكل من تمنى لنا التوفيق وحفانا بالتشجيع والمباركة فى كلمة مسموعة أو مكتوبة أو برقية أو خطاب.

ولابد لى أيضا أن اتقدم فى شجاعة بأسفى العميق وإعتذارى الشديد لكل من ظن أو تراءى له باننى قد اخطأت فى حقه أو اسأت اليه شفاهة أو كتابة فى السر أو العلن فى داخل الوزارة أو خارجها فيما اتصل بتنفيذ هذا المشروع أو غيره فلم يكن دافعى وغرضى سوى المصلحة العامة أولا وأخيرا وما اعتقدت بأنه الحق والله على ما أقول شهيد.

أخى الرئيس. الأخوة أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء دعونى أؤكد لكم لا كوزير معكم فى السلطة ولكن بوصفى مهندس رى عملت فى هذه الوزارة لأكثر من عشرين عاما واشتركت بصورة أو أخرى فى جميع مشاريعها وإنجازاتها فى تلك الفترة بأن هذا المشروع قد خطط وصمم ونفذ بطريقة لم تعرفها هذه الوزارة من قبل من حيث المستوى الراقى فى التخطيط والبرامج والجودة فى الأداء وإستعمال أحدث النظريات الهندسية التى لم يحظ جيلى بدراستها والضبط والربط فى حسم وعدل فى كل أوجه العمل وثقوا بأن لكم فى هؤلاء الرجال كتيبة منظمة ضاربة كتيبة من العلماء والعمال ذوى الخبرة والمعرفة قادرين على إنجاز كل ما تقرره الحكومة من مشاريع زراعية على طول البلاد وعرضها دون تدخل أو فرض وصاية من أحد فى الداخل والخارج، فأعطوهم ثقتكم واستمعوا لنصحهم وخذوا برأيهم فيما تخصصوا فيه لأنهم أصحاب امتياز فى مهنتهم ولأنهم شرفاء فى كلمتهم ولأنهم شجعان فى تقدمهم ولأنهم على خلق عظيم، والله يعلم بانهم قادرون على بلوغ هذا المستوى الرفيع من الأداء، مؤهلون على المضى قدما فى طريقهم ومنهجهم بنفس الروح والأسلوب أن كنت أنا فى قيادتهم أو ذهبت.

أخوتي وزملائي العاملين في وزارة الري..

عمال وفنيين ومهندسين كتبة ومحاسبين من اسهموا في هذا الـه
الكبير أو شاركوا في غيره خير عاملين من بذل في الجهد مخلص جسور أتو
اليكم في نهاية كلمتي هذه مشيدا بما قدمتموه لوطنكم وما حققتموه لشعب
فقد كنتم عند حسن ظني بكم فلست سوى واحد منكم جئت من بين صفو
التي بنيناهابالعرق والنضال عبر عشرات من السنين، اسأل الله لكم ولي ق
له: اللهم احمني وإياكم من الغرور والتكبر والتفاخر والتجبر لأنك تعلم بأنن
نات بإعجاز ولم نبلغ الكمال وكل ما فعلناه هو خطوة واحدة في سبيل رف
شعبنا وفاء لأمانة في عنقنا وسدادا لدين علينا تحقيقا للمبادئ والأهد
العظيمة التي حملناها عبر السنين وآمنا بها ليوم الدين رسالة حق في أفكا
وقيما عزيزة علينا. تلك المبادئ والأهداف التي هيئ الله لها أن توثق وت
صبيحة الخامس والعشرين من مايو الاغر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

فابريقة بيرة النيل الابيض

THE WHITE NILE BREWERY

P. O. Box No. 1478
KHARTOUM (SUDAN)
Telegrams "BREW" Khartoum
Telephone 81192-81, 98 81104

WAU واو
KHARTOUM OFFICE
مكتب الخرطوم

ص.ب ١٤٧٨ الخرطوم - السودان
تلغرافياً : برو - الخرطوم
تلفونات ٨١١٩٢-٨١١٩٨-٨١١٠٤

Your Ref نمرتكم
Our Ref نمرتنا ن ب/هـ/٤٠

Khartoum الخرطوم في ١٩٧٦/٤/٦

السيد / مرتضى أحمد ابراهيم ،
مهندسون استشاريون ،
الخرطوم .

تحية طيبة ،

الموضوع: انتهاء العقد الموقع مع المشروع للاشراف على تنفيذ منشآته

بعد انتهاء الفترة الاساسية من العقد المشار اليه عاليه في أول فبراير ١٩٧٦ فقد تقرر أن يناط بمسئولية الاشراف على تنفيذ ما تبقى من أعمال الى وزارة التشييد والاشغال العامة وقد تم الان تكوين لجنة للاستلام منكم في الخرطوم و واو وتتشكل هذه اللجنة: كل من السادة:-

١) السيد / المهندس مرسل عبد الرسول — م/ المدير للشئون الهندسية، ادارة التنفيذ والمتابعة - رئيساً

٢) السيد / المهندس عبد القادر يحي — رئيس قسم المشروعات، ادارة التنفيذ والمتابعة

٣) السيد / المهندس علي عبد الرحمن صديق — وزارة التشييد والاشغال العامة

٤) السيد / حسين خرطوم — المستشار القانوني، ادارة التنفيذ والمتابعة ،

٥) السيد / عمر محمد شعبان — ضابط متابعة، ادارة التنفيذ والمتابعة ،

وسوف يتم انتهاء العقد كليا بعد انتهاء استلام اللجنة والتي ستبدأ في الاستلام منكم خلال الايام القادمة.

سوف ينظر في أمر استحقاقكم عن الفترة من أول فبراير وحتى اكتمال الاستلام على ضوء خطابكم بتاريخ ١٩٧٦/٣/٢٠.

لا يفوتنا أن نتقدم الى سيادتكم باجزل الشكر لما لمسناه من تعاون صادق وتفاني مخلص طيلة فترة اشرافكم على تنفيذ منشآت المشروع وعملكم المتواصل لحل المشاكل التي واجهت التنفيذ ولاجراء كل ما يلزم

THE WHITE NILE BREWERY
WAU
KHARTOUM OFFICE

فابريقة بيرة النيل الابيض – واو

مكتب الخرطوم

– ٢ –

من تصديق أو تصميم سواء في المراحل الاولى من التصميم أو أثناء التنفيذ بما يتمشى مع أى تعديلات في المعدات أو متطلبات الانتاج أو ظروف التنفيذ، ونكرر شكرنا الجزيل لسيادتكم متمنين لمكتبكم كل تقدم ومزيداً من الاسهام في بناء هذا البلد.

عادل يوسف عسكر
المدير التنفيذي بالانابة

صورة الى:

السيد / كبير المهندسين – واو

٠٠٠/[illegible]/٠٠٠

المهندس مرتضى أحمد ابراهيم

ص.ب ١٤٣٠ الخرطوم
تلفون ٧٣٤٧٤ مكتب
٤٣٣٤٣ منزل

نمرتكم
نمرتنا

MURTADA A IBRAHIM
Dipl.ING. VDI. M.I.C.E
CONSULTING ENGINEER

P. O. Box 1430
KHARTOUM
TEL. 73474 Office
43343 Res.

Your Ref.
Our Ref.

التاريخ : ٣٠ / ٥ / ١٩٧٦ النمرة / أأ / ٧٦ / ١٧

السيد أحمد كامل الماحي
رئيس لجنة تقصي الحقائق في مشروع كنانة
مديرية النيــــل الأبيض

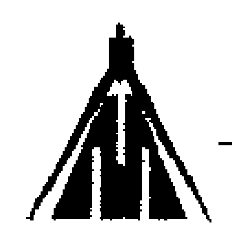
بعد التحيــــة ،

أرجو أن أعبر لسعادتكم الكبير عن سعادتي وسروري أن أتيحت لي الظروف لمعرفة سعادتكم ابان رحلتنا الى واو في مطلع هذا الشــــهر ولك أيضا خالص شكري لاتاحتك الفرصة لنا ، ولا بد من أن توضح جسانبا من الحقائق في هذا الموضوع ،

ولقد حاولت أن أحصر نفسي بقدر الامكان في حدود الاجابة على الاسئلة وإن وجدت إطالة منه أو خروجا عن الموضوع فالعذر لي في ذلك واعذرني فذاكرتي الا أتركه أمرا مبهما أو غير واضح في هذا الموضوع الكبير والمتشابك التفاصيل ،

ولقد خالفت الحسن الأدبي والنظم واسمح من هنا وهناك ولا أجد من يشفع الله عليه باستعطافي واستجداء عطفي عليهم قبل أن تتخذ بعض القرارات ما يسبب الضرر للأبرياء والمشروع ، وإني لواثق بأنك بعد الاطلاع على ما كتبته ستجد أن أبرياء عديدين لم يؤذوا أحدا بقدر ما أذى المشروع بالعمل كما جاء في خطابي للسيد مدير المشروع بالانابة رقم COR/P/76/13 of 4-5-76
مرة أخرى لك خالص شكري وعظيم تقديري وامتناني لك ولجنتكم الموقرة بالســــداد والتوفيق ،

المخلــــص
مرتضى أحمد ابراهيم



مهندس مرتضى احمد ابراهيم

ص.ب ١٤٥٠ الخرطوم
تلفون : ٧٣٤٧٤ مكتب
٤٣٩٤٣ منزل

مرجعكم
مرجعنا

MURTADA A IBRAHIM
Dipl. ING. VDI. M.I.C.E
CONSULTING ENGINEER

P. O. Box 1450
KHARTOUM
TEL. 73474 Office
43943 Res.

Your Ref.
Our Ref.

(١)

(١) على اى اساس اعتمد تم فى وضع التصميم الخاص بالمرحلة الاولى ؟
وماهى الكيفية التى تمت بها مناقشة ومراجعة مع الجهات المعنية ؟
وما رأيكم فى القول بأن مستوى التصميم قد جاء عاليا بالنسبة لماهو
مطلوب فى مثل هذه الحالة مما زاد قيمة التكاليف الى حد كبير ؟

ان طبيعة عمل المهندس الاستشارى هو ان يقوم بتصميم المنشآت المطلوبة حسب متطلبات العميل وبعد مشاورته ثم يقوم بالرسم المبدئى ويطلع العميل عليه وتتم مناقشته فى هذه المرحلة وتجرى فيه اى حذف أو تعديلات حسب رغبة العميل بعد ذلك تتم التصميمات النهائية والرسومات النهائية يتم ذلك فى حدود مهارة المستشار وعنايته وخبرته المعقولة :-

" All reasonable skill, care and diligence in the discharge of the services agreed to be performed by him".

وعلى العميل ان يمد المستشار دون اجر وفى زمن معقول بكل مايحتاج اليه الاخير من معلومات فى حوزته وأى مساعدة معقولة يطلبها المستشار لتمكنه من تقديم خدماته المطلوبة فى الاتفاق المادة (٨ - ١) من الاتفاق .
وبناء على ذلك حددت لنا متطلبات العميل بالنسبة للمرحلة الاولى فى خطاب السيد المدير التنفيذى نمرة/ مشروعات/٢/٦/١ بتاريخ ١٩٧٣/٥/٨ .

ولهذا قمنا برحلة لواو فى الفترة بين ٧٣/٦/٣ و ٧٣/٦/٥ بصحبة المدير التنفيذى وهناك اجتمعنا مع المحافظ ومهندسى الاشغال السيد لوراى والمهندس المقيم الايطالى لكبرى نهر الجور الذى كان تحت التشييد آنذاك وتعرفنا على مواد البناء الموجودة بالمنطقة وأساليب المبانى وتقاليدها ومستوياتها وماهى المساحات والمسافات فى كل نوع وتكاليفه واستمعنا الى نصائحهم وارشاداتهم وبالذات من السيد لوراى (الذى جاء تصميمنا على حسب توجيهاته) وبعد ذلك قمت بكتابة تقرير مفصل واضح يحدد معالم المبانى المقترحة ومواد البناء التى سنقيم منها فى حدود الاحتياجات التى حددت لنا فى خطاب ٧٣/٥/٨ وبعثت بهذا التقرير للسيد المدير التنفيذى وتمت مناقشته معه وبالتالى خدماتنا المطلوبة .



مهندس مرتضى احمد ابراهيم

ص.ب ١٤٥٠ الخرطوم
تلفون ٧٣٤٧٤ مكتب
٤٥٩٤٣ منزل

MURTADA A. IBRAHIM
Dipl.ING. VDI M.I.C.E
CONSULTING ENGINEER

P. O. Box 1450
KHARTOUM
TEL. 73474 Office
45943 Res.

Your Ref.
Our Ref.

وكان ذلك في شهر يونيو ٧٣ • والمستندات بملفاتنا •

ثم بدأنا بالرسومات المبدئية على ضوء اتفاقنا مع العميل • وبعد اكتمالها ووضع معالم تلك المنشآت استدعينا السيد المدير التنفيذي الى مكتبنا في اجتماع ضم جميع المهندسين الذين كانوا يقومون بذلك العمل وتمت مناقشة الرسومات وحذف ما حذف وعدل ما عدل حسب رغبته وتجدر الاشارة هنا بان رئيس تيم المهندسين المعماريين الذين قاموا بالتصميم هو السيد المهندس هاشم عثمان مساعد وكيل وزارة الاشغال الان وقد حضر هذا الاجتماع وقاد كل المناقشات والحوار بعد ذلك بدأت اعمال التصميمات النهائية •

اما عن مستوى التصميم والذي جاء عاليا بالنسبة لما هو مطلوب في مثل هذه الحالة " فليس هناك قاعدة ثابتة او مستوى معين للتصميم او مقياس محدد مطلوب في مثل هذه الحالة وان ماتم من تصميم اخذ في الاعتبار المواد المحلية والمستويات المحلية الموجودة هناك ومتطلبات المصنع المزمع انشاؤه كما حددها العميل واؤكد لك بان ما نفذ من مباني في جميع مراحل هذا المشروع لايختلف عما هو قائم في واو كمصنع التعليب او استراحة المديرية او بنك الوحدة او غيرها • والمواد هي الحجر والخشب المحلي والزنك والخرسانة المستعملة هناك •

اما عن التكلفة العالية فسببها احجام المقاولين عن العمل في تلك المنطقة النائية في الوقت الذي يجدون فيه عملا يكفي ويفيض في الشمال • ولتعلم بان هذا المشروع هو اول عمل يبدأ الحجر يقطع في واو بواسطة مقاول من الشمال (مصنع التعليب نفذ بواسطة الروس وكبري الجور بواسطة الطليان) ويمكن أن تعلم بان الاعلان عن العطاء لهذه المنشآت قد اعيد عدة مرات لعدم تقدم المقاولين لاخذ مستندات العطاء وكم من مرة اضطر السيد المدير التنفيذي للاتصال ببعض المقاولين مستجديا لهم ان يتكرموا باخذ المستندات ليشتركوا في المنافسة ولاحياة لمن تنادي • وما حدث بعد ذلك في عطاءات مباني مشروع الكسنافد في الجنوب يعرفه الكثيرون ممن لهم صلة بموضوع العطاءات لاعمال المباني في الجنوب • فاسباب التكلفة العالية لاعمال المباني في ذلك الجزء من الوطن معلومة ومعروفة •

مهندس مرتضى أحمد إبراهيم

ص.ب ١٤٥٠
الخرطوم
تلفون ٧٣٤٧٤ مكتب
٤٥٥٤٣ منزل

MURTADA A IBRAHIM
Dipl.ING VDI M.I.C.E
CONSULTING ENGINEER

P. O. Box 1450
KHARTOUM
TEL. 73474 Office
45543 Res.

Your Ref.
Our Ref.

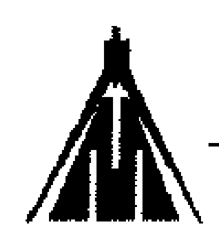
(٣)

(٢) أسباب تنفيذ هذه المرحلة ببعض التعديل كالغاء الاستراحة فكيف تم هذا الالغـــــاء ؟
وما أثره على اتعابكم الخاصة بهذا الجزء فيما يتعلق بالتصميم والتنفيذ ؟

بعد العطاءات مباشرة اتضح للسيد المدير التنفيذي بأن التكلفة مرتفعة بالنسبة لما كان يتوقع (وصل عطاءان فقط من جملة ٦ تسلموا المستندات بعد أن أعيد الاعلان عدة مرات) ولهذا رأى أن يعدل في مخططات هذه المرحلة بغرض تقليل التكلفة . وبالفعل ألغيت بعض الاعمال وعدلت بعضها وتم تخفيض حوالي ٢٠ الف جنيه بدء في العمل على هذا الاساس وحسبت اتعابنا في التصميم والاشراف عد على التنفيذ على القيمة بعد التخفيض وهكذا سار العمل بخيره وشره حتى جــــاء اجتماع ٢/٢/٧٥ الذي عقد بواو وحضره جميع المسئولين وعلى رأسهم السيد مدير المشروع ومندوبي المقاول . ووضح بأن العمل لن ينتهي حسب متطلبات العقد وأن المقاول قد عجز في الايفاء بما التزم به وبات من المؤكد أن مدير المشـــــروع قد عقد العزم على استعمال سلطاته في المادة ٢٤ من شروط العقد لنزع ما تبقى من عمل في هذه المرحلة . ومنذ ذلك الاجتماع بدأت عملية نزع العمل والتي انتهت بالاتفاق بين المقاول ووزارة المالية قسم المشتريات ومدير المشروع والقرارات التي صدرت في هذا الشــــأن .

وفي ٢/٣/٧٥ وصلني خطاب من واو نمرة م ب ن ب / م . و / ٤-٣ من السيد عبدالله عبدالله سليمان كبير المهندسين في المؤسسة يلغي فيه الاستراحة " بعد التباحث والدراسة مع السيد مدير المشروع قد تقرر الغاء مباني الاســـتراحة الخ الخ ... "

أولاً : ليس من سلطة صاحب العمل أن يقوم بأي الغاء لأي عمل تم التعاقد عليه فمسألة التعديل والاضافة او الحذف في العمل هي سلطة ممنوحة فقط للمهندس وجاءت مفصلة في المادة ٢٣ من شروط العقد ولو صدر هذا القرار مني للمقاول لتتبع من ذلك اعادة النظر في اسعار العقد بما يكفل مصالح المقاول لانه اجراء يسبب أضرارا بالغة به ولهذا امتنعت عن اصدار هذا القرار للمقاول اذ رأيت بأنه ظالم،



مهندس مرتضى احمد ابراهيم

ص.ب ١٤٥٠
الخرطوم
تلفون ٧٣٤٧٤ مكتب
٤٥٣٤٣ منزل

نمرتكم
نمرتنا

MURTADA A IBRAHIM
Dipl.ING. VDI. M.I.C.E
CONSULTING ENGINEER

P. O. Box 1450
KHARTOUM
TEL. 73474 Office
45343 Res.

Your Ref.
Our Ref

(٤)

كان صاحب العمل يقوم باجراءاته لنزع ملكية من حل فليس هناك داعيا لاثارة هذا الموضوع الذى سيكون كرتا رابحا فى يد المقاول ؟

ولكن وضح لى بانه بعد نزع العمل ومجيء المقاول الجديد أو الجهة التى سيناط بها اكمال العمل المنزوع فان مدير المشروع سيكون من حقه الغاء الاستراحه قبل الدخول فى التعاقد الجديد ويكون عند ذلك اننا وحدنا المتضررين بالنسبه لاتعابنا فى الاشراف فى نهاية العمل اما اتعابنا فى التصميم فلن تتأثر الا ان مدخلاتنا قد ادينه كاملة كما جاء فى المادة (٦) والمادة (٩) من الاتفاقيه بيننا وبين العميل وتسلمنا استحقاقنا حسب المادة (٢ ا ـ ا) والمادة (١١ ـ ٣) ولكن اتعابنا فى الاشراف ستتعرض لتأثير كبير من جراء هذا الالغاء، الذى لم يتم قبل البدء فى التنفيذ بل جاء بعد ماتقرب من عام والتخفيض او الزيادة التى تمنيها الاتفاقيه والتى ستصرف عند نهاية اكمال العمل ويسوى فيها حسابنا المستحق عن السنة الاولى فى الاشراف هى التخفيضات او الزيادات الناتجه عن طبيعة الموقع وظروف التنفيذ كما هو معروف فى اعمال المبانى وذلك لان اتعابنا فى الاشراف وتتضمن على غير التأليف مرتبات ومصروفات المهندسين ومساعديهم وتكاليف ترحيلهم وسكنهم الخ وهذه التكاليف تقع علينا شهريا ان كانت هناك استراحه او لم تكن ؟

ولهذا بادرنا بالاجتماع مع المسئولين فى المؤسسه وقمنا بمناقشة هذا الموضوع وصلنا الى اتفاق يرضى الطرفين جاء فى خطابى للسيد مدير المشروع رقم DWMBW/Cons/ACA/75/1 بتاريخ ٢١/٤/٧٥ وبموافقة سيادته بخطابه رقم [illegible] بتاريخ ٢٦/٥/٧٥ .

(٣) اذا صح ان بعض نتائج وزارة الاشغال قد ضمت الى جداول هذه المرحلة فما اثر ذلك على الاتعاب الخاصه بالتصميم ؟

ان التعديل الواقعه فى الجداول رقم ١٩ ورقم ٢٠ ورقم ٢١ فى الجزء الثانى من مستندات العطاء للمرحلة الاولى - خاصه بالمؤسسه وحسابات بكمياتها المضمنه فى تلك الجداول ومواصفاتها التى قامت بهم هيئة تنفيذ المشروعات او بعثت بهم الى مدير المشروع (ان كانوا مأخوذة من الاشغال) ليتم تضمينها فى مستندات العطاء ؟

١٩٧٨/١/١١

الاخ الفاضل المهندس بشير عبادي المحترم
وزير الصناعة ـ الخرطوم

بعد التحية الطيبة ،

ارجو ان اشير لمقابلتي لك في اغسطس الماضي بشأن اتعاب مكتبي ابان عملنا كمستشارين لمصنع بيرة النيل الابيض وطلبي المتواضع في اتخاذ قرار في الامر اما بدفع استحقاقنا أو اللجوء الى التحكيم كما تقضي بذلك الاتفاقية الموقعة بيننا وبين مدير المصنع .

وكم سيحزنني ان تمر ايامك في هذا المركز وانت المهندس الوحيد الذي شغله منذ ان بدأت مطالبتنا مع المسؤولين في الوزارة دون ان تتخذ قرارا فيه بما سيعني ان الموضوع بأكمله ما هو الا ظلم المقتدر الذي يسنده القانون وأربأ بك من هذه الصفة فهل لي ان اطلب اليك ان تفي بما وعدتني يوم ذاك .

لك مرة أخرى خالص شكري وتحياتي .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

المخلص

المهندس مرتضى أحمد ابراهيم

العنوان :
الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية
ص . ب ٢٩٢١ ـ الكويت



السيده المناضلة الجسورة فاطمة أحمد إبراهيم وزوجتي الصورة إنجا إبراهيم، وهما السيدتان اللتان كان لهما أكبر الأثر في حياتي



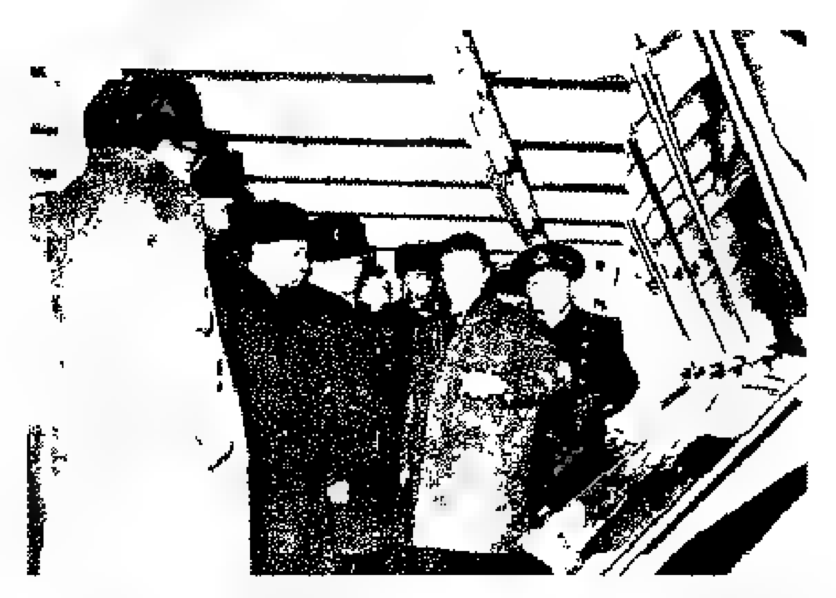
مقابلة الزعيم والقائد جمال عبد الناصر في منزله بالمنشية عام ١٩٧٠ وفي الصورة الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر



اجتماع في رئاسة مشروع الجزيرة حيث ترأست الاجتماع ويجلس عن يميني محافظ الجزيرة السيد حسن متوكل



اجتماع مجلس محافظة النيل الأزرق في سبتمبر ١٩٦٩ يتوسطه المحافظ صلاح قرشي



النميري وشخصي بجانبه والمهندس سيد أحمد الجاك في زيارة الاتحاد السوفيتي

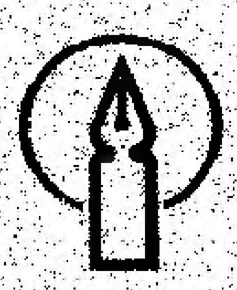


زيارة الرئيس النميري للاتحاد السوفيتي وبراسي في أقصى اليسار

الفهرس

رقم الايداع ٩٩٥٥ / ٩٣

مطبعة الجلاوى
٥٩ ش مسجد قباء - مدينة قباء - القاهرة



إصدارات مركز الدراسات السودانية بالقاهرة